سلسلة مؤلفات أبي عبدالرحمن نور الدين الحبيشي (١٢)

السلامة

من أذى الخلق

تأليف

أَبِيْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ

نور الدين بن أحمد بن قايد الحبيشي

غفر الله له ولوالديه

تقديم أصحاب الفضيلة

فضيلة الشيخ: أَبِيْ مُحَمَّد عَبْد الحَمِيْد الزَّعْكَرِيّ

فضيلة الشيخ: أَبِيْ عَبْد اللهِ فَيْصَل الحَاشِدِيّ

فضيلة الشيخ: أَبِيْ عَبْد الرَّحْمٰن رَدْمَان الحُبَيْشِيّ

فضيلة الشيخ: أَبِي اليَمَان عَدْنَان المَصْقَرِيّ

حفظهم الله تعالى

دار الإمام الشافعي
للطباعة والنشر والتوزيع
اليمن - عدن

السلامة

من أذى الخلق

اسم الكتاب: «السلامة من أذى الخلق»
المؤلف: أبو عبد الرحمن نورالدين الحبيشي
مقاسات الكتاب: (٢٤×١٧).
رقم الإيداع: (/ ١٤٤٧هـ)
تاريخ التنسيق: ١٤٤٧هـ
الطبعة: (الأولى)
دار الإمام الشافعي عدن اليمن

السلامة

من أذى الخلق

تأليف
أبي عبد الرحمن
نور الدين بن أحمد قايد الحبيشي

تقديم أصحاب الفضيلة

فضيلة الشيخ: أبي محمد عبد الحميد الزعكري

فضيلة الشيخ: أبي عبد الله فيصل الحاشدي

فضيلة الشيخ: أبي عبد الرحمن ردمان الحبيشي

فضيلة الشيخ: أبي اليمان عدنان المصقري

دار الإمام الشافعي
للطباعة والنشر والتوزيع
اليمن - عدن

ما أحسن ما قيل في فضلِ تأليفِ الكُتُبُ:

وما من كاتبٍ إلّا سيفنى ❊❊❊ ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفّك غير شيء ❊❊❊ يسرّك في القيامة أن تراه

أجلّ ما كسبت يد الفتى قلم ❊❊❊ وخير ما جمعت يداه الكتب

وما أحسن ما قيل:

أموت ويبقى كل ما قد كتبته ❊❊❊ فيا ليت من يقرأ كتابي دعا ليا

لعل الإله يمن بلطفه ❊❊❊ ويرحم تقصيري وسوء فعاليا

وما أحسن ما قيل:

ولي يومٌ سأرحل دون ريبٍ ❊❊❊ فهلاَّ ما نشرتُ نشرتموه

لعل الله يجزينا بخيرٍ ❊❊❊ وما من سيءٍ عنّي ادفنوه

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أو أن يصنف كتابًا في العلم؛ فإن تصنيف العالم ولده المخلد قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أحياءُ)**.اهـ من "صيد الخاطر" (١/ ٣٤).

وقال الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إني لأفرح بالكتاب حين يخرج أعظم من فرحي بالولد)**.اهـ

مقدمة فضيلة الشيخ: أبي محمد عبد الحميد الزعكري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ أما بعد:

فقد طالعت رسالة: «**السلامة من أذى الخلق**» **تأليف**: **الداعي إلى الله الأخ المفضال أبي عبد الرحمن نور الدين بن أحمد الحبيشي** فرأيته قد جمع فيها جمعًا طيبًا وإن كان الباب واسعًا لكن الإشارات تغني عن كثرة العبارات فما على الإنسان إلا الصبر على ما ينوبه وينزل به كما قيل:

ما سلم الله من بريته *** ولا بني الهدى فكيف أنا

وفقه الله أخانا أبا عبد الرحمن وجزاه الله خيرا ونفع به

عبد الحميد بن يحيى الزعكري

١٨/ شعبان/ ١٤٤٧هـ

صورة مقدمة فضيلة الشيخ: أبي محمد عبد الحميد الزعكري

مقدمة فضيلة الشيخ: أبي محمد عبد الحميد الزعكري وفقه الله

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم أما بعد :
فقد طالعت رسالة: *«السلامة من أذى الخلق»*
تأليف: *الداعي إلى الله الأخ المفضال أبي عبد الرحمن نور الدين بن أحمد الحبيشي* فرأيته قد جمع فيها جمعاً طيباً وإن كان الباب واسعاً لكن الإشارات تغني عن كثرة العبارات فما على الإنسان إلا الصبر على ما ينوبه وينزل به كما قيل
ماسلم الله من بريته *** ولا بني الهدى فكيف أنا
وفقه الله أخانا أبا عبد الرحمن وجزاه الله خيرا ونفع به

عبد الحميد بن يحيى الزعكري
١٨/ شعبان / ١٤٤٧

مقدمة فضيلة الشيخ: أبي عبد الله فيصل الحاشدي

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ الأنبياءِ والمرسلين، نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد:

فقد اطّلعتُ على كتاب: «السلامة من أذى الخلق» للطالب النجيب: نور الدين الحُبيشي، فرأيتُه رسالةً نافعةً، ونصيحةً صادقةً، تلامس واقعَ الناس، وتداوي داءً متكرّرًا في القلوب؛ إذ بيَّن مؤلِّفُه أنَّ السلامة المطلقة من أذى الخلق مطلبٌ متعذّر، وأنَّ طريق الأنبياء والصالحين محفوفٌ بالابتلاء والأذى، وأنَّ العاقلَ من يُحسِن الصبر، ويجمل الصفح، ويحتسب ما يلقاه عند ربِّه.

وقد أحسن المؤلِّف حين قرَّر أنَّ اللهَ سبحانه لم يسلم من طعنِ بعض خلقه، ولا أنبياؤه من أذى أقوامهم، ولا أتباعُهم من امتحان الناس لهم؛ فكيف يرجو

عبدٌ لنفسه صفاءَ الطريق وخلوَّه من شوائب البشر؟! بل الحكمةُ كلُّ الحكمة في معرفة سنن الابتلاء، وفقه التعامل مع الناس بالحلم والرفق، مع حفظ الدين والكرامة، وجاءت صفحات الكتاب مؤيَّدةً بالشواهد، معزَّزةً بأقوال السلف، ومزدانةً بلمساتٍ تربويّةٍ رقيقة، تُذكِّر القارئ بقول ابن الوردي رحمه الله:

ليس يخلو المرءُ من ضـــدٍّ ولو ❊❊❊ حاول العُزلةَ في رأسِ الجبل

فهو كتابٌ يوقظ البصيرة، ويهذّب النظرة إلى الخلق، ويغرس معاني الصبر والاحتساب، ويبعث في النفس طمأنينةَ من فهم سنّة الله في عباده.

فجزى الله مؤلِّفَه خير الجزاء، ونفع به قارئيه، وجعله خالصًا لوجهه الكريم، وبارك في جهده، ونفع به طلاب العلم والسالكين طريق الإصلاح.

وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

جرى القلم بما تقدم

وكتبه:

أبو عبد الله فيصل الحاشدي

١٨ شعبان ١٤٤٧

صورة مقدمة فضيلة الشيخ: أبي عبد الله فيصل الحاشدي

مقدمة فضيلة الشيخ: أبي عبد الله فيصل الحاشدي وفقه الله

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ الأنبياءِ والمرسلين، نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين،

أمّا بعد:

فقد اطَّلعتُ على كتاب «السلامة من أذى الخلق» للطالب النجيب نور الدين الحُبيشي، فرأيتُه رسالةً نافعةً، ونصيحةً صادقةً، تلامس واقع الناس، وتداوي داءً متكرّرًا في القلوب؛ إذ بيَّن مؤلِّفُه أنَّ السلامة المطلقة من أذى الخلق مطلبٌ متعذِّر، وأنَّ طريق الأنبياء والصالحين محفوفٌ بالابتلاء والأذى، وأنَّ العاقلَ من يُحسِن الصبر، ويجمل الصفح، ويحتسب ما يلقاه عند ربّه.

وقد أحسن المؤلِّف حين قرَّر أنَّ اللهَ سبحانه لم يسلم من طعن بعض خلقه، ولا أنبياؤه من أذى أقوامهم، ولا أتباعُهم من امتحان الناس لهم؛ فكيف يرجو عبدٌ لنفسه صفاءَ الطريق وخلوَّه من شوائب البشر؟! بل الحكمةُ كلُّ الحكمة في معرفة سنن الابتلاء، وفقه التعامل مع الناس بالحلم والرفق، مع حفظ الدين والكرامة.

وجاءت صفحات الكتاب مؤيَّدةً بالشواهد، معزَّزةً بأقوال السلف، ومزدانةً بلمساتٍ تربويّةٍ رقيقة، تُذكِّر القارئ بقول ابن الوردي رحمه الله:

ليس يخلو المرءُ من ضدٍّ ولو...
حاول العُزلةَ في رأسِ الجبل

فهو كتابٌ يوقظ البصيرة، ويهذّب النظرة إلى الخلق، ويغرس معاني الصبر والاحتساب، ويبعث في النفس طمأنينةً من فهم سنّة الله في عباده.

فجزى الله مؤلِّفَه خير الجزاء، ونفع به قارئيه، وجعله خالصًا لوجهه الكريم، وبارك في جهده، ونفع به طلاب العلم والسالكين طريق الإصلاح.

وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

جرى القلم بما تقدم

وكتبه أبو عبدالله فيصل الحاشدي
١٨شعبان ١٤٤٧

مقدمة فضيلة الشيخ: أبي عبد الرحمن ردمان الحبيشي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان في كبد، وجعل الدنيا دار ابتلاء وتمحيص، وجعل السلامة من الناس نعمة لا يدركها إلا من رزقه الله الحكمة وسعة الصدر، وصلى الله على نبينا محمد، الذي أوذي في سبيل الله فما زاده الأذى إلا صبرًا ويقينًا وجلد أما بعد: فإن الأذى سنة ماضية في حياة البشر، لا يسلم منها أحد، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، بل ما سلم منها رب العالمين جل في علاه سبحانه وبحمده.

وكما قال ابن الوزير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما سَـــلِمَ الله من بريَّته *** ولا نبيُّ الهدى فكيفَ أَنَا

وقد قيل: (من عاش بين الناس فلا بد أن يُؤذى، ومن تعامل مع الخَلق فليُعِدّ قلبًا كبيرًا يغفر، وصدرًا واسعًا يحتمل). لكن هل يمكن للمرء أن يسلم من أذى الناس؟ الجواب: لا يمكن له أن يسلم البتة.

كما قيل:

ولســـت بـنـاج مـن مـقـالـة طـاعـن *** ولو كنت في غار على جبل وعر

ومن ذا الذي ينجو من الناس ســالما *** ولو غاب عنهم بين خافيتي نسر

وقـد عـلـمـت أنـنـي لا أســلـم *** من جاهل معاند لا يعلم

فكل من سار على طريقة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على فهم السلف الصالح رضي الله عنهم، لا بد أن يؤذى وينال منه ويتهم بما ليس فيه، فلا بد أن يؤذى ويرمى بالتنطع والتشدد وغير ذلك من أنواع التهم، ولهذا روى الترمذي وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **وشيخنا مقبل بن هادي الوادعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن سعد بن أبي وقاص** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «**الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**».

وفي الصحيح عن عائشة أن ورقة بن نوفل قال للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ**»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ

الوَحْيُ الحديث، فلن يسلم أحد من الأذى لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فكيف بمن دونهما كما **قال ابن الوردي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ليسَ يخلو المرءُ مِنْ ضـــدٍّ *** ولَو حاولَ العُزلةَ في رأسِ جبَلْ

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من ظن أنه يسلم من كلام الناس فهو مجنون قالوا: عن الله ثالث ثلاثة وقالوا عن حبيبنا محمد ساحر ومجنون فما ظنك بمن هو دونهما؟! وكما قيل: كلام الناس مثل الصخور إمّا أن تحملها على ظهرك فينكسر أو تبني بها برجًا تحت أقدامك فتعلو وتنتصر، وفي شرع الله ما يعين على أذى الناس فأول ما يُستعان به بعد توفيق الله على دفع أذى الناس الاستعانة بالله تعالى، فهو القائل سبحانه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة الأنعام:١٧]. ومن دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كما عند ابن حبان عن البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ**». فالاستعانة بالله أمرها عظيم في صد أذية المؤذين ومكر الماكرين ثم الصمت عن الجاهلين، فإن الله أمر نبيه بذلك، فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [سورة الأعراف:١٩٩].

فلا تجادل السفيه، ولا ترد على كل ناعق، فإنك إن وقفت لكل حاقد، أضعت وقتك وأهلكت قلبك ثم احفظ لسانك وسرك، فإن أكثر ما يأتيك

الأذى منه هو كلامك المرسل، وبوْحك لمن لا يؤتمن، **وقد قال أحد الصالحين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إذا أردت أن تسلم من الناس، فاجعل لسانك وراء قلبك، وسرك في صدرك**»، ولا تُظهر نعمة الله عند من لا يحب لك الخير، فقد قال يعقوب عليه السلام لابنه: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [سورة يوسف:٥].

فليس كل قلب يحتمل رؤيتك سعيدًا، ولا كل نفس ترضى لك ما ترضاه لنفسك، ومما يعين على دفع أذى الناس: إحسان الظن، وتقديم العذر، وكظم الغيظ، فإن كثيرًا من الأذى يُدفع بالحلم، ويُمحى بالصفح، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [سورة فصلت:٣٤].ومما يدفع به أذى الناس الصبر فهو الزاد الأعظم، وهو وصية الله لنا في كتابه العظيم ثم وصية الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين وفي سنن ابن ماجه عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**». وكما قيل:

إني رأيت وفي الأيام تجربة *** للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في أمر يؤلمه *** واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر
تَعَوَّدتُ مَسَّ الضُرِّ حَتّى أَلِفتُهُ *** وَأَسلَمَني طولُ البَلاءِ إِلى الصَبرِ

وَوَسَّـــع صَـــدري لِلأَذى كَثرَةُ الأَذى ❊❊❊ وَكانَ قَديمًا قَد يَضيقُ بِهِ صَدري

إِذا أَنـا لَـم أَقبَـل مِنَ الـدَهرِ كُـلَّ مـا ❊❊❊ أُلاقيهِ مِنهُ طالَ عَتَبي عَلى الدَهرِ

هذا وقد قرأت رسالة: أخينا الباحث النشيط المفيد الداعي إلى الله صاحب الخلق الحميد: أبي عبدالرحمن نور بن أحمد بن قايد الحبيشي الموسومة بعنوان: (**السلامة من أذى الخلق**) فرأيتها رسالة قيمة نافعة في هذا الباب جدير طبعها ونشرها والاستفادة منها خاصة: في هذه الأزمنة التي كثر فيها الأشرار والفجار وقل الصالحين والأخيار إلا ما رحم ربي، فمثل هذه الرسالة يحتاجها كل مسلم وكل عالم وكل طالب علم و كل داع إلى الله كي يثبت على هذا الطريق المحفوف بالمخاطر والمهالك عافانا الله والمسلمين من كل شر، وقد ذكر فيها أخونا نور حفظه الله فوائد تشد لله الرحال فدونك أيها القارئ اللبيب والأخ العزيز هذه الرسالة المباركة النافعة بإذن الله، فلله در أخينا نور من باحث مفيد ثبتنا الله وإياه على الكتاب والسنة حتى نلقاه إنه جواد كريم وأسأل ربي بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يصرف عنا وعنه كيد الكائدين ومكر الماكرين وأذى المؤذين إنه جواد كريم.

وكتب: أبو عبد الرحمن ردمان بن أحمد الحبيشي

الإثنين/ ٢١/ شعبان لعام ١٤٤٧هـ

محافظة إب حرسها الله وسائر بلاد المسلمين

مقدمة فضيلة الشيخ: أبي اليمان عدنان المصقري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الصبر على الأذى خُلُقٌ عظيم، وسُنَّةٌ ماضية في طريق الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والدعاة، فما سَلِمَ نبيٌّ من أذى قومه، بل صبروا واحتسبوا، فكانت العاقبة لهم. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا﴾.

قال تعالى: ﴿وَكَذلِكَ جَعَلنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ المُجرِمينَ وَكَفى بِرَبِّكَ هادِيًا وَنَصيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

وهي سنة كونية كما جعل الله لكل نبي عدو فكذلك لكل ولي وعالم عدو، وكما وعد الله بالنصر والولاية لكل نبي ورسول فكذلك وعد الله المؤمنين بالنصر والتأييد.

وقد اطّلعتُ على هذا الكتاب الذي مضمونه: «**الصبر على الأذى وما سَلِمَ الأنبياءُ من الأذى**» **للأخ الفاضل الباحث أبي عبد الرحمن نور الدين**، فوجدته كتابًا نافعًا، جمع فيه نصوص الكتاب والسنة، وساق فيه نماذج من صبر الأنبياء عليهم السلام، بأسلوبٍ واضح وتذكيرٍ حسن، يحتاجه أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ والدعوة في هذا الزمان.

وإني أوصي بقراءته والانتفاع بما فيه، سائلاً الله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارئه، وأن يرزقنا جميعًا الصبر والثبات على الحق. والله الموفق والمستعان. ولا قوة إلا بالله.

أبو اليمان

٢٠ شعبان ١٤٤٧ هـ

دار الحديث السلفية بشحوح

صورة مقدمة فضيلة الشيخ: أبي اليمان عدنان المصقري

مقدمة فضيلة الشيخ: أبي اليمان عدنان المصقري وفقه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الصبر على الأذى خُلُقٌ عظيم، وسُنَّةٌ ماضية في طريق الأنبياء والدعاة، فما سَلِمَ نبيٌّ من أذى قومه، بل صبروا واحتسبوا، فكانت العاقبة لهم. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا﴾.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

وهي سنة كونية كما جعل الله لكل نبي عدو فكذلك لكل ولي وعالم عدو.

وكما وعد الله بالنصر والولاية لكل نبي ورسول فكذلك وعد الله المؤمنين بالنصر والتأييد.

وقد اطّلعتُ على هذا الكتاب الذي مضمونه «الصبر على الأذى وما سَلِمَ الأنبياءُ من الأذى» للأخ الفاضل الباحث أبي عبد الرحمن نور الدين، فوجدته كتابًا نافعًا، جمع فيه نصوص الكتاب والسنة، وساق فيه نماذج من صبر الأنبياء عليهم السلام، بأسلوبٍ واضح وتذكيرٍ حسن، يحتاجه أهل العلم والدعوة في هذا الزمان.

وإني أوصي بقراءته والانتفاع بما فيه، سائلاً الله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارئه، وأن يرزقنا جميعًا الصبر والثبات على الحق.

والله الموفق والمستعان. ولا قوة إلا بالله.

أبو اليمان

٢٠ شعبان ١٤٤٧ هـ

دار الحديث السلفية بشحوح

أبيات شعرية في مدح هذا الكتاب بعنوان السلسبيل في بيان أنه ليس إلى السلامة من الناس سبيل للشاعر: أبي أحمد صالح العجيلي وفقه اللّه

قال الشاعر: أبو أحمد صالح العجيلي وفقه الله

مَنْ يَا تَرَى يَسْلَمُ مِنْ طَاعِنِ *** وَحَاسِدٍ أَوْ شَامِتٍ مُغْرِضِ

مَهْمَا سَعَى الإِنْسَانُ فِي وُدِّهِمْ *** لا بُدَّ لِلإِنْسَانِ مِنْ مُبْغِضِ

مَا سَلِمَ الرَّحْمَنُ مِنْ خَلْقِهِ *** وَلا رَسُولُ اللهِ مِنْ مُعْرِضِ

وَلا أَبُوبَكْرٍ وَمَنْ بَعْدَهُ *** مِنْ سَبَائِيٍّ حَاقِدٍ رَافِضِي

وَهُمْ مَعَ الرُّسْلِ لَنَا أُسْوَةٌ *** وَاللهُ أَرْضَاهُمْ وَعَنْهُمْ رَضِي

هَيْهَاتَ أَنْ تَسْلَمَ مِنْ شَرِّهِمْ *** فِي اللَّوْحِ مَكْتُوبٌ وَأَمْرٌ قُضِي

حَتَّى وَلَوْ أَصْبَحْتَ فِي شَاهِقٍ *** يَنَالُكَ التَّشْوِيهُ مِنْ فَوْضَوِي

فَارْجِعْ إِلَى اللهِ وَلا تَحْتَفِلْ *** بِالْقِيلِ وَالْقَالِ مِنَ الْمُغْرِضِ

لا تُسْخِطِ الْمَوْلَى لإِرْضَائِهِمْ *** كَلا وَعَهْدِ اللهِ لا تَنْقُضِ

مَنْ مَدْحُهُ زَيْنٌ وَمَنْ ذَمُّهُ *** شَيْنٌ وَإِنْ يَرْفَعْكَ لا تُخْفَضِ

ذَاكَ هُوَ اللهُ تَعَالَى اسْمُهُ *** فَلْيَسْخَطِ النَّاسُ إِذَا مَا رَضِي

إِلَيْكَ بَحْثًا طَيِّبًا نَافِعًا *** فِي الْبَابِ هَذَا أَيُّهَا الْمُسْتَضِي

كِتَابُ نُورِ الدِّينِ مِنْ حُسْنِهِ *** كَأَنَّهُ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ الْمُضِي

أَجَادَ نُورُ الدِّينِ إِحْكَامَهُ *** بِحُجَّةٍ هَيْهَاتَ لَمْ تُدْحَضِ

فَطَالِعِ الْبَحْثَ تَجِدْهُ حَوَى *** فَوَائِدًا كَاللَّبَنِ الأَبْيَضِ

وَالْفَضْلُ للهِ عَلَى عَبْدِهِ *** لَوْلاهُ لَمْ يُكْتَبْ وَلَمْ يَنْهَضِ

قالها بتاريخ ٢٠ شعبان/ ٨/ ١٤٤٧هـ

***

صورة الأبيات الشعرية في مدح هذا الكتاب: السلامة من أذى الخلق بعنوان: السلسبيل في بيان أنه ليس إلى السلامة من الناس سبيل

قال الشاعر: أبو أحمد صالح العجيلي وفقه الله

مَنْ يَا تَرَى يَسْلَمُ مِنْ طَاعِنٍ *** وَحَاسِدٍ أَوْ شَامِتٍ مُغْرِضِ

مَهْمَا سَعَى الإِنْسَانُ فِي وُدِّهِمْ *** لا بُدَّ لِلإِنْسَانِ مِنْ مُبْغِضِ

مَا سَلِمَ الرَّحْمَنُ مِنْ خَلْقِهِ *** وَلا رَسُولُ اللهِ مِنْ مُعْرِضِ

وَلا أَبُوبَكْرٍ وَمَنْ بَعْدَهُ *** مِنْ سَبَائِيٍّ حَاقِدٍ رَافِضِي

وَهُمْ مَعَ الرُّسْلِ لَنَا أُسْوَةٌ *** وَاللهُ أَرْضَاهُمْ وَعَنْهُمْ رَضِي

هَيْهَاتَ أَنْ تَسْلَمَ مِنْ شَرِّهِمْ *** فِي اللَّوْحِ مَكْتُوبٌ وَأَمْرٌ قُضِي

حَتَّى وَلَوْ أَصْبَحْتَ فِي شَاهِقٍ *** يَنَالُكَ التَّشْوِيهُ مِنْ فَوْضَوِي

فَارْجِعْ إِلَى اللهِ وَلا تَحْتَفِلْ *** بِالْقِيلِ وَالْقَالِ مِنَ الْمُغْرِضِ

لا تُسْخِطِ الْمَوْلَى لإِرْضَائِهِمْ *** كَلا وَعَهْدِ اللهِ لا تَنْقُضِ

مَنْ مَدْحُهُ زَيْنٌ وَمَنْ ذَمُّهُ *** شَيْنٌ وَإِنْ يَرْفَعْكَ لا تُخْفَضِ

ذَاكَ هُوَ اللهُ تَعَالَى اسْمُهُ *** فَلْيَسْخَطِ النَّاسُ إِذَا مَا رَضِي

إِلَيْكَ بَحْثًا طَيِّبًا نَافِعًا *** فِي الْبَابِ هَذَا أَيُّهَا الْمُسْتَضِي

كِتَابُ نُورِ الدِّينِ مِنْ حُسْنِهِ *** كَأَنَّهُ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ الْمُضِي

أَجَادَ نُورُ الدِّينِ إِحْكَامَهُ *** بِحُجَّةٍ هَيْهَاتَ لَمْ تُدْحَضِ

فَطَالِعِ الْبَحْثَ تَجِدْهُ حَوَى *** فَوَائِدًا كَاللُّبَنِ الأَبْيَضِ

وَالْفَضْلُ للهِ عَلَى عَبْدِهِ *** لَوْلاهُ لَمْ يُكْتَبْ وَلَمْ يَنْهَضِ

قالها بتاريخ ٢٠ شعبان/ ٨/ ١٤٤٧هـ

محتوى هذا الكتاب

(١): ما سلم الله سبحانه وتعالى من أذية خلقه

(٢): ما سلم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أذية أقوامهم فهم أشد الناس بلاء وأذية

(٣): ما سلم جبريل عليه السلام والملائكة عليهم السلام من الأذية

(٤): ما سلم الصحابة رضي الله عنهم من الأذية

(٥): ما سلم العلماء من الأذية

(٦): ما سلم أهل الخير من الأذية والألقاب السيئة

(٧): من ظن أن يسلم من كلام الناس فهو مجنون فرضا الناس غاية لا تدرك

(٨): استمر إيها الداعي إلى الله في دعوتك ولا تبالي بمن يُؤذيك

(٩): كل من تمسك بالسنة حصل له الأذى

(١٠): أيها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا بد أن تُؤذى

(١١): معنى الأذى

(١٢): إياك أيها المسلم أن تُؤذي أو تُعادي وليًا من أولياء الله

(١٣): خطر أذية المسلمين

(١٤): المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده

(١٥): أذية الجار من أسباب دخول النار

(١٦): أذية الناس وظلمهم سبب للإفلاس يوم القيامة

(١٧): إياك أيتها المرأة أن تُؤذي زوجك

(١٨): كن أيها المسلم ممن يُرجى خيره ويُؤمن شره

(١٩): كن أيها المسلم مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر

(٢٠): الغيبة من أعظم الأذية

(٢١): النميمة من أعظم الأذية

(٢٢): من أعظم الأذية التفريق بين الزوج وزوجته

(٢٣): سوء الظن من أعظم الأذية

(٢٤): التجسس على الناس من أعظم الأذية

(٢٥): لا يجوز أذية الحيوان فكيف بالذي يؤذي إنسان

(٢٦): ما ينفعك أن يعذب أخاك المسلم بسببك

(٢٧): إن لم تنفع أخاك فلا تضره

(٢٨): لا تطلب من الناس اليوم الخير اطلب منهم كف الأذى

(٢٩): إياك أن تظلم غيرك بقوتك فيدعو عليك

(٣٠): كف شرك عن الناس أيها المسلم

(٣١): من أذية المسلم لأخيه المسلم تعيره بالذنوب المعاصي

(٣٢): من أذية الناس استحقارهم والسخرية منهم

(٣٣): من أذية الناس الطعن في نياتهم

(٣٤): من أذية المسلم تخويفه وترويعه

(٣٥): من أذية المسلم أخذ ماله بغير حق

(٣٦): من أذية المسلم أخذ أرضه بغير حق

(٣٧): من أذية المسلم نبزه بالألقاب السيئة والطعن في نسبه

(٣٨): من أذية المسلم أن تقول فيه ما ليس فيه

(٣٩): من أذية المسلم أن تحسده على ما أنعم الله عليه

(٤٠): من الإحسان إلى الخلق كف الأذى عنهم

(٤١): من حسن الخلق مع المرأة تحمل الأذى منها

(٤٢): ينبغي على المرأة أن تعلم أن ما يصيبها من أذى أو ألم وصبرت عليه فهي مأجورة

(٤٣): من أذية الناس وضع الأذى في طريقهم

(٤٤): فضل إماطة الأذى عن طريق الناس

(٤٥): الصبر على أذى المؤذي أو معاقبته

(٤٦): احذر من المن والأذى في بذل الصدقة

(٤٧): احذر من إبطال صدقتك بالمن والأذى

(٤٨): تسمية الحيض بالأذى

(٤٩): بعض الأشياء التي تسبب الأذية

(٥٠): قد يكون الأذى مطهراً للإنسان من الذنوب والمعاصي

(٥١): الأمر بإماطة الأذى عن بعض الأشياء

(٥٢): احذر من أذية البهائم والحيوانات بتجوعها أو تحميلها فوق طاقتها أو حبسها عن الطعام والشراب

(٥٣): ليس من الأذى قتل الحيوانات المؤذية

(٥٤): متى تضرك أذية الناس

(٥٥): إذا أردت أن تسلم من أذية الناس فلا تخبرهم بكل شيء حتى لا تؤذى ولا تحسد منهم

(٥٦): كيفية التعامل مع المؤذي والحاسد أن تحسن إليه

(٥٧): الوصية بالصبر على الأذى

(٥٨): ختاما نصيحة لكل مسلم

***

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فقد منَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عليَّ بتأليف هذا الكتاب المبارك الذي هو بعنوان: (**السلامة من أذى الخلق**) أقدمه بين يديك أيها القارئ الكريم لكي تتأمل ما قد حواه مما هو متعلق بالأذية، وما فيه من التسلية لك أيها العبد المسلم السائر على طريق الحق والهدى الذي من سائر عليه لا يكاد يسلم من أذية المؤذين لذا ينبغي أن يُصبر الإنسان نفسه على ذلك ولا يتلف ولا يبالي بما يناله ويحصل له من أذى المؤذين، فالعاقبة للمتقين، والخزي والذل للمؤذين، وهذه سنة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في خلقه.

فسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يجعل فيه البركة والنفع.

❊❊❊

سبب تأليف هذا الكتاب

هو أنني: عندما قرأت في كتاب وفي سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجدت أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يسلم من أذية خلقه، وكذا أنبيائه عليهم الصلاة السلام ولا الملائكة ولا الصحابة ولا العلماء ولا أهل الخير لم يسلموا من الأذى.

عزمت واستعنت بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن أجمع في هذا الكتاب ما يتعلق بهذا الموضوع المهم الذي اعتبره نصيحة لكل من تُسوّلُ له نفسه أذية الخلق أو أذية الصالحين أو أذية أهل الخير سواء بقوله أو بفعله أو بأي نوع من أنواع الأذية.

وكلُ ذلك بتوفيق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لي، وإعانته وتسهليه، فله الحمد المنة.

أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يجعلني ممن يخدمه دينه، وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن يستعملني في طاعته، وفيما يرضيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَزَالُ اللهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدين بغرس يستعملهم في طاعته**». [1]

---

(١) **رواه ابن حبان** في "صحيحه" (٣٢٦)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٥/ ٥٧١)، من حديث **أبي عنبة الخولاني** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كلمة شكر

أشكر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى على توفيقه، وتسديده، وإعانته لي؛ فله الحمد وله الشكر والمنة، على كل النعم التي أنعم بها علينا، والتي نتقلب فيها ليل نهار سر جهار، ومن ذلك طلب العلم والتفقه في الدين فهو القائل سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [سورة إبراهيم:٧].

وهو القائل سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [سورة البقرة:١٥٢].

وهو القائل سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [سورة النساء:١٤٧].

وهو القائل سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾ [سورة القمر:٣٥].

وهو القائل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [سورة النمل:٤٠].

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَمَنْ شَكَرَ اللهَ عَلَى مَا رَزَقَهُ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ، وَمَنْ شَكَرَ اللهَ عَلَى مَا أَقْدَرَهُ عَلَيْهِ مِنْ طَاعَتِهِ زَادَهُ مِنْ طَاعَتِهِ، وَمَنْ شَكَرَهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِهِ مِنَ الصِّحَّةِ زَادَهُ اللهُ صِحَّةً، وَنَحْوَ ذَلِكَ)**. اهـ من "فتح القدير" (٣/ ١١٨).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **قال فضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان يُقال من عرف نعمة الله بقلبه، وحمده بلسانه لم يستتم ذلك حتى يرى الزيادة لقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [سورة إبراهيم:٧]. اهـ من "عدة الصابرين" (١٢١).

وعَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **كَانَ شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي سَفَرٍ، فَنَزَلَ مَنْزِلًا، فَقَالَ لِغُلَامِهِ: ائْتِنَا بِالسُّفْرَةِ نَعْبَثْ بِهَا، فَأَنْكَرْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا تَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ مُنْذُ أَسْلَمْتُ إِلَّا وَأَنَا أَخْطِمُهَا وَأَزُمُّهَا غَيْرَ كَلِمَتِي هَذِهِ، فَلَا تَحْفَظُوهَا عَلَيَّ، وَاحْفَظُوا مِنِّي مَا أَقُولُ لَكُمْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يَقُولُ: «إِذَا كَنَزَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، فَاكْنِزُوا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ». **رواه أحمد** في "مسنده" (١٧١١٤)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٧/ ٦٩٥).

الشاهد من الحديث قوله: «وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ».

وقال أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "سننه" (١٣٦٢) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ مَيْسَرَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُقْرِئُ، حَدَّثَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ، يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيُّ، عَنْ الصُّنَابِحِيِّ، **عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**»، فَقَالَ: «**أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»، وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذٌ الصُّنَابِحِيَّ، وَأَوْصَى بِهِ الصُّنَابِحِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ. وإسناده صحيح، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "صحيح أبي داود" (١٣٦٢)، وهو في "الصحيح المسند" (٢/ ١٦٩) **للإمام الوادعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومن باب الفائدة: فقد جاء هذا الحديث عن ثلاثة من الصحابة وهم: معاذ بن جبل وقد تقدم ذكره.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أَنَّ النَّبِيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ».** رواه البزار في "مسنده" (٢٠٧٥)، وهو في "الصحيح المسند" (١/ ٦٦٣)، **للإمام الوادعي** رَحِمَهُ اللَّهُ.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عن النبي الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «أتحبون أن تجتهدوا في الدعاء؟ قولوا: اللهم أعنا على شكرك، وذكرك، وحسن عبادتك».** رواه أحمد في "مسنده" (٧٩٦٩)، وإسناده صحيح.

وكما قيل: (إن الدولة التي يحوطها الدين لا تُغلب والنعمة التي يحرسها الشكر لا تُسلب). اهـ

وبعد شكري لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على ما أنعم عليَّ من النعم العظيمة، فمن باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**لا يَشْكُرُ الله من لا يَشْكُرُ النَّاس**»، (١) وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ، لَا يَشْكُرُ اللهَ، وَمَنْ لَا يَشْكُرُ الْقَلِيلَ، لَا يَشْكُرُ الْكَثِيرَ**». (٢)

أتقدم بالشكر الجزيل للإمام المحدّث العلامة: مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ أمام الدعوة السلفية في اليمن حرسها الله وسائر بلاد المسلمين أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يرحمه، وأن يجزيه عنا وعن الإسلام خير الجزاء فقد خدم الدعوة السلفية خدمة عظيمة لا نظير لها شهد له بذلك القاصي والداني.

وهكذا أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة شيخنا العلامة المحدّث الناصح الأمين: يحيى الحجوري حفظه الله الذي قائم على الدعوة بعد موت شيخه **الإمام الوادعي** رَحِمَهُ اللَّهُ خير قيام شهد له بذلك القاصي والداني، فأسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجزيه عنا، وعن الإسلام خير الجزاء.

---

(١) **رواه أحمد** في "مسنده" (٧٩٣٩)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (١/ ٧٧٦)، **ورواه أبو داود** في "سننه" (٤٨١١)، **والترمذي** في "سننه" (١٩٥٤)، وهو في "الصحيح المسند" **للإمام الوادعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (٢/ ٣٥١)، من حديث **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **رواه أحمد** في "مسنده" (١٨٤٥٠)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٢/ ٢٧٢)، من حديث **النعمان بن بشير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهكذا شكر الله لشيخنا **جميل الصلوي**، وشيخنا **تركي العبديني**، وشيخنا **حسين الحطيبي**، وشيخنا **رشاد الضالعي**، وشيخنا **محمد الزُّبيدي**، وشيخنا **محمد السناحي**، وبقية المشايخ الكرام حفظهم الله الذين لهم الفضل علينا بعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فقد تربينا على أيديهم تربية منهجية علمية سلفية على ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، فشكر الله لهم على كل ما يقومون به، من تعليم أبناء المسلمين لكتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتوحيد، والعقيدة الصحيحة عقيدة أهل السنة والجماعة، فجزاهم الله عنّا، وعن الإسلام، والمسلمين خير الجزاء.

الشكر والثناء للمشايخ الكرام الذين قدّمُوا لهذا الكتاب:

وهكذا أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الشيخ: أبي محمد عبد الحميد الزّعكري حفظه الله، وبارك الله فيه، وفي علمه، ومؤلفاته، وأهله، وماله، وما يملك.

فقد قدم لهذا الكتاب بمقدمة طيبة مباركة يشكر عليها أسال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يرفع قدره في الدارين.

وهكذا أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الشيخ: أبي عبد الله فيصل الحاشدي حفظه الله وبارك الله فيه، وفي علمه، ومؤلفاته، وأهله، وماله، وما يملك.

فقد قدم لهذا الكتاب، بمقدمة طيبة مباركة، يشكر عليها أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يرفع قدره في الدارين.

وهكذا أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الشيخ: أبي عبد الرحمن ردمان الحبيشي حفظه الله، وبارك الله فيه، وفي علمه، ومؤلفاته، وأهله، وماله، وما يملك.

فقد قام بمراجعة هذا الكتاب، وقدم له بمقدمة طيبة مباركة يشكر عليها، أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يرفع قدره في الدارين فهو من الناصحين، ومن المحبين، ومن المشجعين لي، ومن المتعاونين معي أيُما تعاون، ومن تشجيعٍ أيُما تشجيع، وأيُما تحفيز فجزاه الله خير الجزاء، وأسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجعل كتبي التي يراجعها ويقدم لها هو وبقية المشايخ في ميزان حسناته، وحسنات الجميع.

وهكذا أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الشيخ: أبي اليمان عدنان المصقري حفظه الله وبارك الله فيه، وفي علمه، ومؤلفاته، وأهله، وماله، وما يملك.

فقد قدم لهذا الكتاب، بمقدمة طيبة مباركة، يشكر عليها أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يرفع قدره في الدارين.

الشكر والثناء لإخواني المحبين والمشجعين والمتعاونين معي:

وأشكر الشيخ المبارك المحب للخير: أبي محمد عبد السلام البيضاني حفظه الله على تشجيعه ومحبته وأخلاقه الطيبة أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يبارك الله فيه، وفي جهود الطيبة المباركة.

وهكذا شكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لإخواني الفضلاء الكرماء الأخ الفاضل: **مالك العتابي**، والأخ الفاضل: **خالد الكحلاني**، والأخ الفاضل: **عمر الأزرقي** والأخ الفاضل: **وسام الريشاني** حفظهم الله.

وشكر الله لأخينا الحبيب الكريم الشهم المحب للخير: أبي طارق غازي بن قاسم الضالعي حفظه الله.

وهكذا شكر الله لأخينا الحبيب الكريم الشهم المحب للخير: أبي عبد الرحمن ضيف الله السعيدي حفظه الله.

وهكذا أشكر الأخ الفاضل المبارك والمجتهد النشيط المنسق البارع المتميز: عبد الله بن مقبل الجحافي حفظه الله منسق الكتب الذي نسق هذا الكتاب، وغيره من الكتب على أحسن حال.

وهكذا أتقدم بالشكر الجزيل لأخينا الفاضل المبارك: أبي أحمد محمد اللحجي حفظه الله، فهو من المحبين للخير جزاه الله خيراً، أسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يبارك فيه، وفي أهله، وماله، وما يملك.

وهكذا أتقدم بالشكر الجزيل لأخينا الفاضل المبارك: أبي علي سالم السعدي حفظه الله، فهو من المحبين للخير جزاه الله خيراً، أسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يبارك فيه، وفي أهله، وماله، وما يملك.

وهكذا أتقدم بالشكر الجزيل لأخينا الفاضل المبارك: أبي محمد عبد الرحمن الهندواني حفظه الله فهو من المحبين، والمشجعين لي على الخير، أسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يبارك فيه، وفي أهله، وماله، وما يملك.

وهكذا أتقدم بالشكر الجزيل لأخينا الفاضل المبارك: أبي الدحداح مراد البعداني حفظه الله، فهو من المحبين للخير جزاه الله خيراً، أسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يبارك فيه، وفي أهله، وماله، وما يملك.

وهكذا أتقدم بالشكر الجزيل لأخينا الفاضل المبارك: أبي جابر محمد بن قاسم علي الحبيشي أسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يبارك فيه، وفي أهله، وماله، وما يملك، وأن يغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين.

وهكذا لا أنسى أن أشكر: والدتي المباركة حفظها الله من كل سوء ومكروه، وأسأل الله أن يمن عليها بالصحة، والعافية التي لها فضل علي بعد الله في استمراري في طلب العلم، والدعوة، والتأليف، هي وإخواني **حفظهم الله جميعًا.**

وهكذا رحم الله: والدي أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يغفر له، وأن يجمعنا، وإياه في دار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وبعد هذا الشكر: أرجو ممن قرأ هذا الكتاب أن يدعو لي؛ ولوالدي، ولمشايخي، ولسائر المسلمين بالرحمة والمغفرة والثبات على الكتاب والسنة حتى الممات.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَأَرجُو إِنْ تَمَّ هذَا الْكِتَابُ أَنْ يَكُونَ سَائِقًا للمُعْتَنِي بِهِ إِلى الْخَيْرَاتِ حَاجزًا لَهُ عَنْ أَنْواعِ الْقَبَائِحِ والْمُهْلِكَاتِ. وأَنَا سَائِلٌ أَخًا انْتَفعَ بِشيءٍ مِنْهُ أَنْ يَدْعُوَ لِي، وَلِوَالِدَيَّ، وَمَشَايخي، وَسَائِرِ أَحْبَابِنَا، وَالمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ. وعَلَى اللهِ الكَرِيمِ اعْتِمادي، وَإِلَيْهِ تَفْوِيضي وَاسْتِنَادي، وَحَسبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)**.اهـ من "رياض الصالحين" (٧).

كتبه:

العبد الفقير إلى عفو ربه القدير

أبو عبد الرحمن نور الدين بن أحمد قايد الحبيشي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

يوم الأربعاء٢٣ شهر شعبان/ ٨/ ١٤٤٧هـ

كان هذا العمل في منزلي في م/ الضالع/ مديرية سناح

❊❊❊

ما سلم الله سبحانه وتعالى من أذية خلقه

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [سورة الأحزاب:٥٧].

وقال ابن الوزير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما سَلِمَ اللهُ من بريَّته * ولا نبيُّ الهُدى فكيف أنا!** (١)

فرعون الطاغية ينازع رب العالمين في ربوبيته، ويقول للناس أنا ربكم الأعلى:

فهذا فرعون الطاغية ينازع رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في ربوبيته، ويقول للناس أنا ربكم الأعلى قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن فرعون أنه قال لقومه: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [سورة النازعات:٢٤].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن فرعون أنه قال لقومه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ

(١) اهـ من "العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم" (١/ ٢٢).

فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [سورة القصص:٣٨].

وهذا النمرود قبحه الله ينازع رب العالمين سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في ربوبيته، ويدعي أنه يحي ويميت: قال الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة البقرة:٢٥٨].

رد الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عليه بقوله عن نبيه إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة البقرة:٢٥٨].

وهكذا تقول النصارى قبحهم الله أن الله ثالث ثلاثة:

قال الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عن النصارى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾ [سورة المائدة:٧٣].

رد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **عليهم بقوله:** ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [سورة الإخلاص:٢].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ وهذا من أقوال النصارى المنصورة عندهم، زعموا أن الله ثالث ثلاثة: الله، وعيسى، ومريم، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

وهذا أكبر دليل على قلة عقول النصارى، كيف قبلوا هذه المقالة الشنعاء، والعقيدة القبيحة؟! كيف اشتبه عليهم الخالق بالمخلوقين؟! كيف خفي عليهم رب العالمين؟! قال تعالى - راداً عليهم وعلى أشباههم -: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ﴾ متصف بكل صفة كمال، منزه عن كل نقص، منفرد بالخلق والتدبير، ما بالخلق من نعمة إلا منه، فكيف يجعل معه إله غيره؟ " تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيراً.

ثم توعدهم بقوله: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ثم دعاهم إلى التوبة عما صدر منهم، وبين أنه يقبل التوبة عن عباده، فقال: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [سورة المائدة:٧٤].

أي: يرجعون إلى ما يحبه ويرضاه من الإقرار لله بالتوحيد، وبأن عيسى عبد الله ورسوله، عما كانوا يقولونه ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾ عن ما صدر منهم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: يغفر ذنوب التائبين، ولو بلغت عنان السماء، ويرحمهم بقبول توبتهم، وتبديل سيئاتهم حسنات، وصدر دعوتهم إلى التوبة بالعرض الذي هو غاية اللطف واللين في قوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [سورة المائدة:٧٤].

ثم ذكر حقيقة المسيح وأُمِّه، الذي هو الحق، فقال: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [سورة المائدة:٧٥].

أي: هذا غايته ومنتهى أمره، أنه من عباد الله المرسلين، الذين ليس لهم من الأمر ولا من التشريع، إلا ما أرسلهم به الله، وهو من جنس الرسل قبله، لا مزية له عليهم تخرجه عن البشرية إلى مرتبة الربوبية.اهـ من "تفسيره" (٢٣٩).

ومما قالوا قبحهم الله أن الله هو المسيح ابن مريم:

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنهم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [سورة المائدة:٧٢].

رد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليهم بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [سورة المائدة:٧٢].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يخبر تعالى عن كفر النصارى بقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ بشبهة أنه خرج من أم بلا أب، وخالف المعهود من الخلقة الإلهية، والحال أنه عليه الصلاة والسلام قد كذبهم في هذه الدعوى، وقال لهم: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ فأثبت لنفسه العبودية التامة، ولربه الربوبية الشاملة لكل مخلوق.

أحداً من المخلوقين، لا عيسى ولا غيره: ﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ وذلك لأنه سوى الخلق بالخالق، وصرف ما خلقه الله له – وهو العبادة الخالصة – لغير من هي له، فاستحق أن يخلد في النار.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ ينقذونهم من عذاب الله، أو يدفعون عنهم بعض ما نزل بهم. اهـ من "تفسيره" (٢٣٩).

ومما قالوا قبحهم الله أن الله تعالى فقير وهم أغنياء:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنهم: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [سورة آل عمران:١٨١].

رد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليهم بقوله عن نبيه موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [سورة إبراهيم:٨].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [سورة الزمر:٧].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [سورة محمد:٣٨].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [سورة فاطر:١٥].

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ». رواه مسلم في "صحيحه" (٢٥٧٧).

الشاهد من الحديث قوله: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ».

ومما قالوا قبحهم الله أن يد الله مغلولة لا تنفق:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[سورة المائدة: ٦٤].

رد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليهم بقوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [سورة المائدة: ٦٤].

ومما قالوا قبحهم الله أنهم أبناء الله وأحبائه:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾.

رد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليهم بقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [سورة المائدة:١٨].

ومما قالوا إن عزيز ابن الله، والمسيح ابن الله:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ﴾ [سورة التوبة:٣٠].

رد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليهم بقوله: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة التوبة:٣٠].

ومما قالوا قبحهم الله أن الله أمرهم بفعل الفاحشة:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنهم: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ﴾ [سورة الأعراف:٢٨].

رد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليهم بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف:٢٨].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول تعالى مبينا لقبح حال المشركين الذين يفعلون الذنوب، وينسبون أن الله أمرهم بها: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ وهي: كل ما يستفحش ويستقبح، ومن ذلك طوافهم بالبيت عراة ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾ وصدقوا في هذا ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ﴾ وكذبوا في هذا، ولهذا رد الله عليهم هذه النسبة فقال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ أي: لا يليق بكماله وحكمته أن يأمر عباده بتعاطي الفواحش لا هذا الذي يفعله المشركون ولا غيره ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وأي افتراء أعظم من هذا؟.اهـ"من تفسيره" (٢٨٦).

وهكذا اتهام إبليس عليه لعنة الله أن الله أغواه:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن إبليس أنه قال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة الحجر:٣٩].

ومما قالوا إن الله اتخذ له ولداً:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنهم: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [سورة البقرة:١١٦].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنهم: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِيُّ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة يونس:٦٨].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنهم: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [سورة الكهف:٤].

رد الله عليهم وأنكر عليهم بقوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأنعام:١٠١].

وبقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [سورة الجن:٣].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يخبر تعالى عن شناعة قول المشركين، الذين جعلوا لله تعالى ولداً، وهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولم يكن له كفوا أحد، وإن ذلك باطل من عدة أوجه:

منها: أن الخلق كلهم عباده، والعبودية تنافي الولادة.

ومنها: أن الولد جزء من والده، والله تعالى بائن من خلقه، مباين لهم في صفاته ونعوت جلاله، والولد جزء من الوالد، فمحال أن يكون لله تعالى ولد.اهـ من "تفسيره" (٧٦٣).

ومن قبح صنيعهم أنهم أضافة البنات إلى الله:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [سورة النحل:٥٧].

رد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بقوله: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [سورة الطور:٣٩].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ﴾ كما زعمتم: ﴿وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ فتجمعون بين المحذورين؟ جعلكم له الولد، واختياركم له أنقص الصنفين؟ فهل بعد هذا التنقص لرب العالمين غاية أو دونه نهاية؟.اهـ من "تفسيره" (٨١٦).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَٰتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾ [سورة الصافات:١٥٣].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [سورة الصافات:١٤٩].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول تعالى لنبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾ **أي**: اسأل المشركين بالله غيره، الذين عبدوا الملائكة، وزعموا أنها بنات الله، فجمعوا بين الشرك بالله، ووصفه بما لا يليق بجلاله، ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ **أي**: هذه قسمة ضيزى، وقول جائر، من جهة جعلهم الولد لله تعالى، ومن جهة جعلهم أردأ القسمين وأخسهما له وهو البنات التي لا يرضونهن لأنفسهم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ ومن جهة جعلهم الملائكة بنات الله، وحكمهم بذلك. اهـ من "تفسيره" (٧٠٨).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [سورة النحل:٥٧].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حيث قالوا عن الملائكة العباد المقربين إنهم بنات الله: ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي: لأنفسهم الذكور حتى إنهم يكرهون البنات كراهة شديدة فكان: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ [سورة النحل:٥٨].

من الغم الذي أصابه: ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [سورة النحل:٥٨].

﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي: كاظم على الحزن والأسف إذا بشِّر بأنثى، وحتى إنه يفتضح عند أبناء جنسه ويتوارى منهم من سوء ما بشر به، ثم يعمل فكره ورأيه الفاسد فيما يصنع بتلك البنت التي بشّر بها: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾ [سورة النحل:٥٩].

أي: يتركها من غير قتل على إهانة، وذل: ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ [سورة النحل:٥٩].

أي: يدفنها وهي حية وهو الوأد الذي ذم الله به المشركين: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [سورة النحل:٥٩].

إذ وصفوا الله بما لا يليق بجلاله من نسبة الولد إليه ثم لم يكفهم هذا حتى نسبوا له أردأ القسمين وهو: الإناث اللاتي يأنفون بأنفسهم عنها ويكرهونها فكيف ينسبونها لله تعالى؟ فبئس الحكم حكمهم، ولما كان هذا من أمثال السوء التي نسبها إليه أعداؤه المشركون، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ [سورة النحل:٦٠].

أي: المثل الناقص، والعيب التام: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [سورة النحل:٦٠].

وهو كل صفة كمال، وكل كمال في الوجود فالله أحق به من غير أن يستلزم ذلك نقصا بوجه وله المثل الأعلى في قلوب أوليائه، وهو التعظيم والإجلال والمحبة والإنابة والمعرفة: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [سورة النحل:٦٠].

الذي قهر جميع الأشياء، وانقادت له المخلوقات بأسرها: ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [سورة النحل:٦٠]

الذي يضع الأشياء مواضعها فلا يأمر ولا يفعل إلا ما يحمد عليه، ويثنى على كماله فيه.اهـ من "تفسيره" (٤٤٢).

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [سورة النجم:٢١].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: أتجعلون لله البنات بزعمكم، ولكم البنون؟.

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [سورة النجم:٢٢].أي: ظالمة جائرة، وأي ظلم أعظم من قسمة تقتضي تفضيل العبد المخلوق على الخالق؟ تعالى عن قولهم علواً كبيراً.اهـ من "تفسيره" (٨١٩).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [سورة الإسراء:٤٠].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا إنكار شديد على من زعم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ اتخذ من خلقه بنات، فقال: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ أي:

اختار لكم الصفوة والقسم الكامل، واتخذ لنفسه من الملائكة إناثًا حيث زعموا أن الملائكة بنات الله: ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ فيه أعظم الجرأة على الله حيث نسبتم له الولد المتضمن لحاجته، واستغناء بعض المخلوقات عنه، وحكمتم له بأردأ القسمين، وهن الإناث وهو الذي خلقكم، واصطفاكم بالذكور فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.اهـ من "تفسيره" (٤٥٨).

ومما قالوا في قولهم قبحهم الله أن الملائكة بنات الله:

﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [سورة الزخرف:١٩].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أنهم جَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الله إِنَاثًا، فتجرأوا على الملائكة، العباد المقربين، ورقوهم عن مرتبة العبادة والذل، إلى مرتبة المشاركة لله، في شيء من خواصه، ثم نزلوا بهم عن مرتبة الذكورية إلى مرتبة الأنوثية، فسبحان من أظهر تناقض من كذب عليه وعاند رسله)**.اهـ من "تفسيره" (٧٦٣).

رد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بقوله: ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إن الله رد عليهم بأنهم لم يشهدوا خلق الله لملائكته، فكيف يتكلمون بأمر من المعلوم عند كل أحد، أنه ليس لهم به علم؟! ولكن لا بد أن يسألوا عن هذه الشهادة، وستكتب عليهم، ويعاقبون عليها)**. اهـ من "تفسيره" (٧٦٣).

ومن أذية الله تعالى سب الدهر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»**. متفق عليه. (خ٤٨٢٦ -م٢٢٤٦).

قال العلامة العباد حفظه الله: فمعناه: أن من سبّ الدهر فإنما مسبّته تُوجّه إلى الله عز وجل؛ لأن الله تعالى في الحقيقة هو الذي يُسيّر الدهر، ولكن ليس معنى ذلك أن الله تعالى يناله ضرر، بل كما سبق في الحديث القدسي: «**إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ولن تبلغوا ضرّي فتضروني**». (١) بل الله عز وجل هو الذي ينفع وهو الذي يضر، فهو النافع الضار سبحانه وتعالى.

وهذا الحديث مثل ما جاء في القرآن: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [سورة الأحزاب:٥٧]. اهـ من "شرح سنن أبي داود" (٦٧/ ١٨).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: **عند قوله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «**يؤذيني ابن آدم**» (٢) أي: يلحق بي الأذى فالأذية لله ثابتة ويجب علينا إثباتها؛ لأن الله أثبتها لنفسه،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

فلسنا أعلم من الله بالله، ولكنها ليست كأذية المخلوق بدليل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١].

وقدم النفي في هذه الآية على الإثبات؛ لأجل أن يرد الإثبات على قلب خال من توهم المماثلة، ويكون الإثبات حينئذ على الوجه اللائق به تعالى، وأنه لا يماثل في صفاته كما لا يماثل في ذاته، وكل ما وصف الله به نفسه، فليس فيه احتمال للتمثيل إذ لو كان احتمال التمثيل جائزاً في كلامه سبحانه، وكلام رسوله فيما وصف به نفسه لكان احتمال الكفر جائزاً في كلامه سبحانه، وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: «**ابن آدم**»: شامل للذكور والإناث، وآدم هو أبو البشر، خلقه الله تعالى من طين وسواه ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة وعلمه الأسماء كلها.

واعلم أنه من المؤسف أنه يوجد فكرة مضلة كافرة، وهي أن الآدميين نشأوا من قرد لا من طين، ثم تطور الأمر بهم حتى صاروا على هذا الوصف، ويمكن على مر السنين أن يتطوروا حتى يصيروا ملائكة، وهذا القول لا شك أنه كفر، وتكذيب صريح للقرآن فيجب علينا أن ننكره إنكاراً بالغاً، وأن لا نقره في كتب

المدارس، فمن زعم هذه الفكرة يقال له: بل أنت قرد في صورة إنسان، ومثلك كما قال الشاعر:

إذا ما ذكرنا أدما وفعاله *** وتزويجه بنتيه بابنيه في الخنا
علمنا بأن الخلق من نسل فاجر *** وأن جميع الناس من عنصر الزنا

قوله: «**يسب الدهر**»: الجملة تعليل للأذية، أو تفسير لها، أي: بكونه يسب الدهر، أي: يشتمه ويقبحه ويلومه وربما يلعنه - والعياذ بالله - يؤذي الله.

والدهر: هو الزمن والوقت، وقد سبق بيان أقسام سب الدهر.

قوله: «**وأنا الدهر**»: أي: مدبر الدهر ومصرفه، لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٠].

ولقوله في الحديث: «**أقلب الليل والنهار**». والليل والنهار هما الدهر، ولا يقال بأن الله هو الدهر نفسه، ومن قال ذلك فقد جعل الخالق مخلوقًا، والمقلِّب (بكسر اللام) مقلَّبًا (بفتح اللام).

فإن قيل: أليس المجاز ممنوعًا في كلام الله، وكلام رسوله ﷺ وفي اللغة؟ أجيب: إن الكلمة حقيقة في معناها الذي دل عليه السياق والقرائن، وهنا في الكلام محذوف تقديره: وأنا مقلب الدهر لأنه فسره بقوله: «**أقلب الليل والنهار**». والليل والنهار هما الدهر، ولأن العقل لا يمكن أن يجعل

الخالق الفاعل هو المخلوق المفعول، المقلب هو المقلب، وبهذا عرف خطأ من قال: إن الدهر من أسماء الله، **كابن حزم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإنه قال: «**إن الدهر من أسماء الله**». وهذا غفلة عن مدلول هذا الحديث، وغفلة عن الأصل في أسماء الله، فأما مدلول الحديث؛ فإن السابين للدهر لم يريدوا سب الله، وإنما أرادوا سب الزمن فالدهر هو الزمن في مرادهم.اهـ من "القول المفيد" (٢٤٨).

❊❊❊

ما سلم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أذية أقوامهم فهم أشد الناس بلاء وأذية

عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «**الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**». رواه الترمذي في "سننه" (٢٣٩٨)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (١/ ٢٧٣).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ فَوَجَدْتُ حَرَّهُ بَيْنَ يَدَيَّ فَوْقَ اللِّحَافِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَشَدَّهَا عَلَيْكَ قَالَ: «**إِنَّا كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ، وَيُضَعَّفُ لَنَا الْأَجْرُ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «**الْأَنْبِيَاءُ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ الصَّالِحُونَ، إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيُبْتَلَى بِالْفَقْرِ، حَتَّى مَا يَجِدُ أَحَدُهُمْ إِلَّا الْعَبَاءَةَ يَحُوبُهَا، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ، كَمَا يَفْرَحُ**

أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ». رواه ابن ماجه في "سننه" (٤٠٢٤)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (١/ ٢٧٤)، وهو في "الصحيح المسند" (١/ ٣٤٥) للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فمن الأذية التي حصلت للأنبياء، القتل:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [سورة البقرة:٨٧].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [سورة البقرة:٦١].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة آل عمران:٢١].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [سورة آل عمران:١٨١].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء:١٥٥].

اتهامهم أنهم سحرة ومجانين:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [سورة الذاريات:٥٢].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [سورة الفرقان:٨].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [سورة الإسراء:٤٧].

ما من نبيٍ إلا وله عدوٌ يُعاديه:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [سورة الأنعام:١١٢].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [سورة الفرقان:٣١].

نبي الله آدم عليه الصلاة والسلام لم يسلم من أذية إبليس:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [سورة البقرة:٣٦].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما خلق الله آدم وفضله أتم نعمته عليه بأن خلق منه زوجة ليسكن إليها، ويستأنس بها وأمرهما بسكنى الجنة والأكل منها رغدا أي: واسعًا هنيئًا، ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ أي: من أصناف الثمار والفواكه وقال الله له: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [سورة طه:١١٩].

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ نوع من أنواع شجر الجنة الله أعلم بها، وإنما نهاهما عنها امتحاناً وابتلاء أو لحكمة غير معلومة لنا: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ دل على أن النهي للتحريم، لأنه رتب عليه الظلم.

فلم يزل عدوهما يوسوس لهما ويزين لهما تناول ما نهيا عنه حتى أزلهما، أي: حملهما على الزلل بتزيينه: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ بالله ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ فاغترا به وأطاعاه فأخرجهما مما كانا فيه من النعيم والرغد، وأهبطوا إلى دار التعب والنصب والمجاهدة.

﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ **أي**: آدم وذريته أعداء لإبليس وذريته، ومن المعلوم أن العدو يجد ويجتهد في ضرر عدوه وإيصال الشر إليه بكل طريق وحرمانه الخير بكل طريق، ففي ضمن هذا، تحذير بني آدم من الشيطان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سورة فاطر:٦].

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [سورة الكهف:٥٠].

ثم ذكر منتهى الإهباط إلى الأرض، فقال: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي: مسكن وقرار: ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ انقضاء آجالكم، ثم تنتقلون منها للدار التي خلقتم لها، وخلقت لكم، ففيها أن مدة هذه الحياة، مؤقتة عارضة، ليست مسكناً حقيقياً، وإنما هي معبر يتزود منها لتلك الدار، ولا تعمر للاستقرار.اهـ من "تفسيره" (٤٩).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [سورة الأعراف:٢٠].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثم حذر آدم شره وفتنته، فقال: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ

وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [سورة الأعراف:٢٢].

أي: أمر الله تعالى آدم وزوجته حواء، التي أنعم الله بها عليه ليسكن إليها، أن يأكلا من الجنة حيث شاءا ويتمتعا فيها بما أرادا، إلا أنه عين لهما شجرة، ونهاهما عن أكلها، والله أعلم ما هي، وليس في تعيينها فائدة لنا، وحرم عليهما أكلها، بدليل قوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فلم يزالا ممتثلَيْن لأمر الله، حتى تغلغل إليهما عدوهما إبليس بمكره، فوسوس لهما وسوسة خدعهما بها، وموه عليهما وقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ﴾ [سورة الأعراف:٢٠].

أي: من جنس الملائكة: ﴿أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ [سورة طه:١٢٠].

ومع قوله هذا أقسم لهما بالله: ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [سورة الأعراف:٢١].

أي: من جملة الناصحين حيث قلت لكما ما قلت، فاغترا بذلك، وغلبت الشهوة في تلك الحال على العقل.

﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾ **أي**: نزلهما عن رتبتهما العالية، التي هي البعد عن الذنوب والمعاصي إلى التلوث بأوضارها، فأقدما على أكلها.

﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ **أي**: ظهرت عورة كل منهما بعد ما كانت مستورة، فصار للعري الباطن من التقوى في هذه الحال أثر في اللباس الظاهر، حتى انخلع فظهرت عوراتهما، ولما ظهرت عوراتهما خَجِلاً وجَعَلاً يخصفان على عوراتهما من أوراق شجر الجنة، ليستترا بذلك.

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾ وهما بتلك الحال موبخا ومعاتبا: ﴿أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ فلم اقترفتما المنهي، وأطعتما عدوَّكُما؟.اهـ من "تفسيره" (٢٨٥).

نبي الله نوح عليه الصلاة السلام لم يسلم من أذية قومه:

قال الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٦٠ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن

رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ [سورة الأعراف:٦٤].

ثم بعد هذه الأذية التي تعرض لها نبي نوح عليه السلام دعا عليهم بقوله:

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [سورة نوح:٢٧].

نبي الله موسى عليه السلام لم يسلم من أذية قومه:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن نبيه موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال لقومه:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [سورة الصف:٥].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [سورة الأحزاب:٦٩].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى

عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ، إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللهِ، قَالَ فَقُلْتُ: وَاللهِ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ، ثُمَّ قَالَ: «**فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ**»، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «**يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**» **قَالَ قُلْتُ: «لَا جَرَمَ لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا»**. **متفق عليه**.(خ٤٣٠٥-م١٠٦٢).

ولم يسلم موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ **من فرعون عندما قام يحذر منه ويتهمه بما ليس فيه، كما قال الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [سورة غافر:٢٦].

وهكذا قام فرعون قبحه الله يستحقر موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن فرعون أنه قال: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [سورة الزخرف:٥٢].

ومع هذه الأذية الشديدة من فرعون لموسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ موسى وأخاه هارون أن يذهبا إلى فرعون لينصحه والترفق به لعله يتذكر ما هو عليه من الطغيان والكبر، فقال الله: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [سورة طه:٤٤].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لموسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة النازعات:٢٦].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ أي: جاوز الحد، في كفره وطغيانه، وظلمه وعدوانه.

﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ أي: سهلاً لطيفـًا، برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف، ولا غلظة في المقال، أو فظاظة في الأفعال، ﴿لَّعَلَّهُۥ﴾ بسبب القول اللين ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ ما ينفعه فيأتيه، ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾ ما يضره فيتركه، فإن القول

اللين داع لذلك، والقول الغليظ منفر عن صاحبه، وقد فسر القول اللين في قوله: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ فإن في هذا الكلام من لطف القول وسهولته وعدم بشاعته ما لا يخفى على المتأمل فإنه أتى بـ " هل " الدالة على العرض والمشاورة التي لا يشمئز منها أحد ودعاه إلى التزكي والتطهر من الأدناس التي أصلها التطهر من الشرك الذي يقبله كل عقل سليم ولم يقل " أزكيك " بل قال " تزكى " أنت بنفسك ثم دعاه إلى سبيل ربه الذي رباه وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة التي ينبغي مقابلتها بشكرها وذكرها، فقال ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ فلما لم يقبل هذا الكلام اللين الذي يأخذ حسنه بالقلوب علم أنه لا ينجع فيه تذكير فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ [سورة طه:٤٥].

أي: يبادرنا بالعقوبة والإيقاع بنا قبل أن تبلغه رسالاتك ونقيم عليه الحجة ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ أي يتمرد عن الحق ويطغى بملكه وسلطانه وجنده وأعوانه ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ﴾ أن يفرط عليكما ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [سورة طه:٤٦].

أي: أنتما بحفظي ورعايتي أسمع أقوالكما، وأرى جميع أحوالكما فلا تخافا منه، فزال الخوف عنهما، واطمأنت قلوبهما بوعد ربهما.اهـ من "تفسيره" (٥٠٦).

قلت: وقد أوصى موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قومه بالصبر، فقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٢٩].

نبي الله إبراهيم عليه السلام لم يسلم من أذية قومه:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن قومه أنه أمروا بقتله أو إحراقه: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة العنكبوت:٢٤].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنهم: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ

كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٧١].

وهكذا لم يسلم نبي الله إبراهيم من أذية أباه آزر:

قال الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩﴾ [سورة مريم: ٤٩].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وإبراهيم** عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو أفضل الأنبياء كلهم بعد محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وهو الأب الثالث للطوائف الفاضلة، وهو الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، وهو الذي دعا الخلق إلى الله، وصبر على ما ناله من العذاب العظيم، فدعا القريب والبعيد، واجتهد في دعوة أبيه،

مهما أمكنه، وذكر الله مراجعته إياه، فقال: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ مهجنا له عبادة الأوثان: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ أي: لم تعبد أصناماً، ناقصة في ذاتها، وفي أفعالها، فلا تسمع، ولا تبصر، ولا تملك لعابدها نفعاً ولا ضراً، بل لا تملك لأنفسها شيئا من النفع، ولا تقدر على شيء من الدفع، فهذا برهان جلي دال على أن عبادة الناقص في ذاته وأفعاله مستقبح عقلاً وشرعاً، ودل بتنبيهه وإشارته، أن الذي يجب ويحسن عبادة من له الكمال، الذي لا ينال العباد نعمة إلا منه، ولا يدفع عنهم نقمة إلا هو، وهو الله تعالى.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ﴾ أي: يا أبت لا تحقرني وتقول: إني ابنك، وإن عندك ما ليس عندي، بل قد أعطاني الله من العلم ما لم يعطك، والمقصود من هذا قوله: ﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾ أي: مستقيماً معتدلاً وهو: عبادة الله وحده لا شريك له، وطاعته في جميع الأحوال، وفي هذا من لطف الخطاب ولينه، ما لا يخفى، فإنه لم يقل: «**يا أبت أنا عالم، وأنت جاهل**» أو «**ليس عندك من العلم شيء**» وإنما أتى بصيغة تقتضي أن عندي وعندك علما، وأن الذي وصل إليَّ لم يصل إليك ولم يأتك، فينبغي لك أن تتبع الحجة وتنقاد لها: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ لأن من عبد غير الله، فقد

عبد الشيطان، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [سورة يس:٦٠].

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ فمن اتبع خطواته، فقد اتخذه وليًا وكان عاصيًا لله بمنزلة الشيطان، وفي ذكر إضافة العصيان إلى اسم الرحمن، إشارة إلى أن المعاصي تمنع العبد من رحمة الله، وتغلق عليه أبوابها، كما أن الطاعة أكبر الأسباب لنيل رحمته، ولهذا قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: بسبب إصرارك على الكفر، وتماديك في الطغيان ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ أي: في الدنيا والآخرة، فتنزل بمنازله الذميمة، وترتع في مراتعه الوخيمة، فتدرج الخليل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بدعوة أبيه، بالأسهل فالأسهل، فأخبره بعلمه، وأن ذلك موجب لاتباعك إياي، وأنك إن أطعتني، اهتديت إلى صراط مستقيم، ثم نهاه عن عبادة الشيطان، وأخبره بما فيها من المضار، ثم حذره عقاب الله ونقمته إن أقام على حاله، وأنه يكون وليًا للشيطان، فلم ينجع هذا الدعاء بذلك الشقي، وأجاب بجواب جاهل وقال: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ فتبجح بآلهته [التي هي] من الحجر

والأصنام، ولام إبراهيم عن رغبته عنها، وهذا من الجهل المفرط، والكفر الوخيم، يتمدح بعبادة الأوثان، ويدعو إليها.

﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ أي: عن شتم آلهتي، ودعوتي إلى عبادة الله ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ أي: قتلا بالحجارة ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ أي: لا تكلمني زمانًا طويلاً فأجابه الخليل جواب عباد الرحمن عند خطاب الجاهلين، ولم يشتمه، بل صبر، ولم يقابل أباه بما يكره، وقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ أي: ستسلم من خطابي إياك بالشتم والسب وبما تكره: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ أي: لا أزال أدعو الله لك بالهداية والمغفرة، بأن يهديك للإسلام، الذي تحصل به المغفرة، فـ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ أي: رحيمًا رؤوفًا بحالي، معتنيًا بي، فلم يزل يستغفر الله له رجاء أن يهديه الله، فلما تبين له أنه عدو لله، وأنه لا يفيد فيه شيئًا، ترك الاستغفار له، وتبرأ منه.

وقد أمرنا الله باتباع ملة إبراهيم، فمن اتباع ملته، سلوك طريقه في الدعوة إلى الله، بطريق العلم والحكمة واللين والسهولة، والانتقال من مرتبة إلى مرتبة والصبر على ذلك، وعدم السآمة منه، والصبر على ما ينال الداعي من

أذى الخلق بالقول والفعل، ومقابلة ذلك بالصفح والعفو، بل بالإحسان القولي والفعلي.

فلما أيس من قومه وأبيه قال: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: أنتم وأصنامكم: ﴿وَأَدۡعُواْ رَبِّي﴾ [سورة مريم:٤٨].

وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة: ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾ أي: عسى الله أن يسعدني بإجابة دعائي، وقبول أعمالي، وهذه وظيفة من أيس ممن دعاهم، فاتبعوا أهواءهم، فلم تنجع فيهم المواعظ، فأصروا في طغيانهم يعمهون، أن يشتغل بإصلاح نفسه، ويرجو القبول من ربه، ويعتزل الشر وأهله، ولما كان مفارقة الإنسان لوطنه ومألفه وأهله وقومه، من أشق شيء على النفس، لأمور كثيرة معروفة، ومنها انفراده عمن يتعزز بهم ويتكثر، وكان من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، واعتزل إبراهيم قومه، قال الله في حقه: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا﴾ من إسحاق ويعقوب ﴿جَعَلۡنَا نَبِيّٗا﴾ فحصل له هبة هؤلاء الصالحين المرسلين إلى الناس، الذين خصهم الله بوحيه، واختارهم لرسالته، واصطفاهم من العالمين.اهـ من "تفسيره" (٤٩٤).

نبي الله يوسف عليه السلام لم يسلم من أذية إخوته أرادوا قتله والتخلص منه؛ لإن أباه يعقوب عليه الصلاة والسلام يُحبه أكثر منهم:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ [سورة يوسف:٩].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَقِيلَ: مَعْنَاهُ عِبْرَةٌ لِلْمُعْتَبِرِينَ، فَإِنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى حَسَدِ إِخْوَةِ يُوسُفَ وَمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ فِي الْحَسَدِ وَتَشْتَمِلُ عَلَى رُؤْيَاهُ، وَمَا حَقَّقَ اللهُ مِنْهَا، وَتَشْتَمِلُ عَلَى صَبْرِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قضاء الشهوة وعلى الرقّ وعلى اللبث في السِّجْنِ، وَمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ مِنَ الْمُلْكِ، وَتَشْتَمِلُ عَلَى حُزْنِ يعقوب وصبره على فراق يوسف وَمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْمُرَادِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ من الآيات)**.اهـ من "تفسيره" (٢/ ٤٧٧).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لما تمكن الحسد من قلوب إخوة يوسف عليه السلام أرى المظلوم مآل الظالم في مرآة إني رأيت أحد عشر كوكبًا)**.اهـ من "بدائع الفوائد" (٣/ ٢٢٤).

نبي الله هود عليه الصلاة والسلام لم يسلم من أذية قومه:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ﴾ [سورة الأعراف:٦٧].

نبي الله لوط عليه الصلاة والسلام لم يسلم من أذية قومه:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن نبيه لوط عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة الأعراف:٨٤].

نبي الله صالح عليه الصلاة والسلام لم يسلم من أذية قوله:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [سورة الأعراف:٧٨].

نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام لم يسلم من أذية قومه عندما أرادوا إخراجه:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن قومه: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ [سورة الأعراف:٨٨].

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ما سلم من أذية قومه:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ

لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [سورة التوبة: ٦١].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: ومن هؤلاء المنافقين ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾ بالأقوال الردية، والعيب له ولدينه: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ﴾ أي: لا يبالون بما يقولون من الأذية للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ويقولون: إذا بلغه عنا بعض ذلك، جئنا نعتذر إليه، فيقبل منا، لأنه أذن، أي: يقبل كل ما يقال له، لا يميز بين صادق وكاذب، وقصدهم -قبحهم الله- فيما بينهم، أنهم غير مكترثين بذلك، ولا مهتمين به، لأنه إذا لم يبلغه فهذا مطلوبهم، وإن بلغه اكتفوا بمجرد الاعتذار الباطل، فأساءوا كل الإساءة من أوجه كثيرة، أعظمها أذية نبيهم الذي جاء لهدايتهم، وإخراجهم من الشقاء والهلاك إلى الهدى والسعادة.

ومنها: عدم اهتمامهم أيضا بذلك، وهو قدر زائد على مجرد الأذية.

ومنها: قدحهم في عقل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وعدم إدراكه وتفريقه بين الصادق والكاذب، وهو أكمل الخلق عقلا وأتمهم إدراكًا، وأثقبهم رأيًا وبصيرة، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾ أي: يقبل من قال له خيراً وصدقًا، وأما إعراضه وعدم تعنيفه لكثير من المنافقين المعتذرين بالأعذار الكذب، فلسعة خلقه، وعدم اهتمامه بشأنهم، وامتثاله لأمر الله في

قوله: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ [سورة التوبة:٩٥].

وأما حقيقة ما في قلبه ورأيه، فقال عنه: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

الصادقين المصدقين، ويعلم الصادق من الكاذب، وإن كان كثيرا ما يعرض عن الذين يعرف كذبهم وعدم صدقهم: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ فإنهم به يهتدون، وبأخلاقه يقتدون.

وأما غير المؤمنين فإنهم لم يقبلوا هذه الرحمة بل ردوها، فخسروا دنياهم وآخرتهم، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ بالقول أو الفعل ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الدنيا والآخرة، ومن العذاب الأليم أنه يتحتم قتل مؤذيه وشاتمه.اهـ من "تفسيره" (٣٤١).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [سورة الأحزاب:٥٧].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما أمر تعالى بتعظيم رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصلاة والسلام عليه، نهى عن أذيته، وتوعد عليها فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ

ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وهذا يشمل كل أذية، قولية أو فعلية، من سب وشتم، أو تنقص له، أو لدينه، أو ما يعود إليه بالأذى: ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ أي: أبعدهم وطردهم، ومن لعنهم في الدنيا أنه يحتم قتل من شتم الرسول، وآذاه.

﴿وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ جزاء له على أذاه، أن يؤذى بالعذاب الأليم، فأذية الرسول، ليست كأذية غيره، لأنه ﷺ لا يؤمن العبد بالله، حتى يؤمن برسوله ﷺ وله من التعظيم، الذي هو من لوازم الإيمان، ما يقتضي ذلك، أن لا يكون مثل غيره.

وإن كانت أذية المؤمنين عظيمة، وإثمها عظيمًا، ولهذا قال فيها: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟﴾ أي: بغير جناية منهم موجبة للأذى ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟﴾ على ظهورهم ﴿بُهْتَٰنًا﴾ حيث آذوهم بغير سبب ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ حيث تعدوا عليهم، وانتهكوا حرمة أمر الله باحترامها.اهـ من "تفسيره" (٦٧١).

وقَالَ وَرَقَةُ بن نوفل رضي الله عنه للنبي ﷺ: «**لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا أُوذِيَ**». **متفق عليه**.(خ٣-م١٦٠).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا مَا وَارَى إِبْطُ بِلَالٍ**». رواه ابن ماجه في "سننه" (١٥١)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٥/ ٢٦١).

وعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أَنَّ عَائِشَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَتْهُ، أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ**» قَالَ: «**فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ**» فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**». متفق عليه.(خ٣٢٣١-م١٧٩٥).

الشاهد من الحديث قوله: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ».

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا الذي حدث؛ فإن الله تعالى قد أخر من أصلاب هؤلاء المشركين الذين آذوا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الأذية العظيمة أخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا.

فهذا يبين أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدث له أشد مما حدث له في أحد، وحدث له أنواع من الأذى لكنه صابر. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٣/ ٦٠٤).

ومن الأذية التي تعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم أن وضع له المشركون سلا الجزور وهو الشيء مستقبح الذي يخرج من بطن الحيوان بعد أن يلد:

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالْأَمْسِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ، فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: فَاسْتَضْحَكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ، لَوْ

كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ، فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ، فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ، رَفَعَ صَوْتَهُ، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «**اللهُمَّ، عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ**» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمُ الضِّحْكُ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**اللهُمَّ، عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ**» - وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ - فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَّى صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ - قَلِيبِ بَدْرٍ - قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: «**الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ غَلَطٌ فِي هَذَا الْحَدِيثِ**». **متفق عليه**.(خ٢٤٠-م١٧٩٤).

الشاهد من الحديث قوله: «بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالْأَمْسِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ، فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ».

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن أعظم ما كان أنه كان ذات يوم ساجداً تحت الكعبة، يصلي لله - والمسجد الحرام لو يجد الإنسان قاتل أبيه فيه ما

قتله-، وكان ساجداً، فقال بعض السفهاء من قريش والمعتدين منهم: أذهبوا إلى جزور آل فلان فأتوا بسلاها فضعوه على محمد وهو ساجد، فذهبوا وأتوا بسلا الجزور- الناقة -، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساجدٌ تحت الكعبة، فوضعوه على ظهره، إهانة له وإغاظة له.

فبقي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساجداً حتى جاءت بنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وألقت السلا عن ظهره، فقام من السجود، ولما سلم رفع يديه يدعو الله تعالى على هؤلاء الملأ من قريش. فالشاهد أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يؤذى أشد الأذى، ومع ذلك يعفو ويصفح ويتأنى ويترجى، فبلغه الله- ولله الحمد- مراده وحصل له النصر المبين المؤزر.

وهكذا ينبغي للإنسان أن يصبر على الأذى، لا سيما إذا أوذي في الله، فإنه يصبر ويحتسب وينتظر الفرج، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا**». [1] والله أعلم.اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٣/ ٦٠٥).

---

(١) **رواه الترمذي** في "سننه" (٢٥١٦)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الترمذي" (٢٥١٦) من حديث **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ومن الأذية التي تعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم ما قام به أبو لهب قبحه الله من اتهامه أنه كذاب ورماه بالحجارة:

وعَنْ طَارِقٍ الْمُحَارِبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، وَهُوَ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، تُفْلِحُوا**» وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ، قَدْ أَدْمَى كَعْبَيْهِ وَعُرْقُوبَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! لَا تُطِيعُوهُ فَإِنَّهُ كَذَّابٌ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا غُلَامُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَتْبَعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ؟ قَالُوا: هَذَا عَبْدُ الْعُزَّى أَبُو لَهَبٍ. **رواه ابن خزيمة** في "صحيحه" (١٥٩)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "التعليقات الحسان" (٢٨٢).

ومن الأذية التي تعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم أن قام عقبة بن أبي معيط قبحه الله بخنقه خنقًا شديداً وهو يصلي:

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: **سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي: «**فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا**». فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ، فَقَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ

رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾ [سورة غافر:٢٨]. رواه البخاري في "صحيحه" (٣٦٧٨).

ومن الأذية التي تعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً يقال له غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ أراد قتله بالسيف:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محارب بن خَصَفَةٍ بِنَخْلٍ، فَرَأَوْا مِنْ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غِرَّةً، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالَ لَهُ: غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّى قَامَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ: من يمنعك مني؟ قال: «**اللهُ**» فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْهُ، فَأَخَذَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّيْفَ فَقَالَ لَهُ: «**مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟**» قَالَ: كُنْ خَيْرَ آخِذٍ. قَالَ: «**أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟**» قَالَ: لَا. وَلَكِنْ أُعَاهِدُكَ أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ. قَالَ: فَخَلَّى سَبِيلَهُ. فَجَاءَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الظُّهْرِ، أَوِ الْعَصْرِ -شَكَّ أَبُو عَوَانَةَ- أَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَلَاةِ الخَوْفِ، قَالَ: فَكَانَ النَّاسُ طَائِفَتَيْنِ طَائِفَةً بِإِزَاءِ عَدُوِّهُمْ؟ وَطَائِفَةً يُصَلُّونَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّى بِالطَّائِفَةِ الَّذِينَ مَعَهُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا، وَكَانُوا فِي مَكَانِ أُولَئِكَ وَجَاءَ أُولَئِكَ، فَصَلَّوْا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكْعَتَيْنِ، فَكَانَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعُ

رَكَعَاتٍ، وَلِلْقَوْمِ رَكْعَتَيْنِ.رواه ابن حبان في "صحيحه" (٢٨٨٣)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٥/ ٦٤٥).

ومن الأذية التي تعرض لها صلى الله عليه وسلم عندما قام ذلك الأعرابي بجذب النبي صلى الله عليه وسلم في عنقه حتى أثر ذلك عليه:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ»، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، حَتَّى «نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ البُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ»، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، «فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ ضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ». متفق عليه.(خ ٥٨٠٩-م ١٠٥٧).

ومن الأذية التي تعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم من قبل الكفار أن أرادوا أن يصيبوه بالعين:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ [سورة القلم: ٥١].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (حتى إنهم حرصوا على أن يزلقوه بأبصارهم أي: يصيبوه بأعينهم، من حسدهم وغيظهم وحنقهم، هذا منتهى ما قدروا عليه

من الأذى الفعلي، والله حافظه وناصره، وأما الأذى القولي، فيقولون فيه أقوالاً بحسب ما توحي إليهم قلوبهم، فيقولون تارة "مجنون" وتارة "ساحر" وتارة "شاعر").اهـ من "تفسيره" (٨٨١).

همة الصحابة رضي الله عنهم في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم:

عَنْ عِكْرِمَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: **حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ أَعْمَى كَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ تَشْتُمُ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقَعُ فِيهِ، فَيَنْهَاهَا، فَلَا تَنْتَهِي، وَيَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ، جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَشْتُمُهُ، فَأَخَذَ الْمِغْوَلَ فَوَضَعَهُ فِي بَطْنِهَا، وَاتَّكَأَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا، فَوَقَعَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا طِفْلٌ، فَلَطَّخَتْ مَا هُنَاكَ بِالدَّمِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ: «**أَنْشُدُ اللهَ رَجُلًا فَعَلَ مَا فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقٌّ إِلَّا قَامَ**»، فَقَامَ الْأَعْمَى يَتَخَطَّى النَّاسَ وَهُوَ يَتَزَلْزَلُ حَتَّى قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا صَاحِبُهَا، كَانَتْ تَشْتُمُكَ، وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي، وَأَزْجُرُهَا، فَلَا تَنْزَجِرُ، وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ، وَكَانَتْ بِي رَفِيقَةً، فَلَمَّا كَانَ الْبَارِحَةَ جَعَلَتْ تَشْتُمُكَ، وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَخَذْتُ الْمِغْوَلَ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا،

وَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلْتُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ**». رواه أبو داود في "سننه" (٤٣٦١)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "إرواء الغليل" (٥/ ٩٢).

الشاهد من الحديث قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**إِنَّ أَعْمَى كَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ تَشْتُمُ النَّبِيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَتَقَعُ فِيهِ، فَيَنْهَاهَا، فَلَا تَنْتَهِي، وَيَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ، جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَتَشْتُمُهُ، فَأَخَذَ الْمِغْوَلَ فَوَضَعَهُ فِي بَطْنِهَا، وَاتَّكَأَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا**».

وعن جَابِر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللهَ وَرَسُولَهُ**»، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: ائْذَنْ لِي، فَلْأَقُلْ، قَالَ: «**قُلْ**»، فَأَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ: وَذَكَرَ مَا بَيْنَهُمَا، وَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَرَادَ صَدَقَةً، وَقَدْ عَنَّانَا، فَلَمَّا سَمِعَهُ قَالَ: وَأَيْضًا وَاللهِ، لَتَمَلُّنَّهُ، قَالَ: إِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاهُ الْآنَ، وَنَكْرَهُ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ أَمْرُهُ، قَالَ: وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تُسْلِفَنِي سَلَفًا، قَالَ: فَمَا تَرْهَنُنِي؟ قَالَ: مَا تُرِيدُ؟ قَالَ: تَرْهَنُنِي نِسَاءَكُمْ، قَالَ: أَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ، أَنَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا؟ قَالَ لَهُ: تَرْهَنُونِي أَوْلَادَكُمْ، قَالَ: يُسَبُّ ابْنُ أَحَدِنَا، فَيُقَالُ: رُهِنَ فِي وَسْقَيْنِ مِنْ تَمْرٍ، وَلَكِنْ نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ - يَعْنِي السِّلَاحَ -، قَالَ: فَنَعَمْ، وَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِالْحَارِثِ، وَأَبِي عَبْسِ بْنِ جَبْرٍ، وَعَبَّادِ بْنِ بِشْرٍ،

قَالَ: فَجَاءُوا فَدَعَوْهُ لَيْلًا فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ، قَالَ سُفْيَانُ: قَالَ غَيْرُ عَمْرٍو: قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: إِنِّي لَأَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ صَوْتُ دَمٍ، قَالَ: إِنَّمَا هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَرَضِيعُهُ، وَأَبُو نَائِلَةَ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ لَيْلًا لَأَجَابَ، قَالَ مُحَمَّدٌ: إِنِّي إِذَا جَاءَ، فَسَوْفَ أَمُدُّ يَدِي إِلَى رَأْسِهِ، فَإِذَا اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَدُونَكُمْ، قَالَ: فَلَمَّا نَزَلَ نَزَلَ وَهُوَ مُتَوَشِّحٌ، فَقَالُوا: نَجِدُ مِنْكَ رِيحَ الطِّيبِ، قَالَ: نَعَمْ تَحْتِي فُلَانَةُ هِيَ أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ، قَالَ: فَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ مِنْهُ، قَالَ: نَعَمْ فَشُمَّ، فَتَنَاوَلَ فَشَمَّ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَعُودَ، قَالَ: فَاسْتَمْكَنَ مِنْ رَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: دُونَكُمْ، قَالَ: فَقَتَلُوهُ. **متفق عليه**.(خ٤٠٣٧ -م١٨٠١).

الشاهد من الحديث قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللهَ وَرَسُولَهُ**»، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**».

وعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا - فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لاَ يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ

الأَعْجَلُ مِنَّا، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الآخَرُ، فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ: أَلاَ إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا، فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلاَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَاهُ فَقَالَ: «**أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟**»، قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقَالَ: «**هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟**»، قَالاَ: لاَ، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ: «**كِلاَكُمَا قَتَلَهُ، سَلَبُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ**»، وَكَانَا مُعَاذُ ابْنَ عَفْرَاءَ، وَمُعَاذُ بْنَ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ، قَالَ مُحَمَّدٌ: «**سَمِعَ يُوسُفُ صَالِحًا، وَإِبْرَاهِيمَ أَبَاهُ**». متفق عليه.(خ٣١٤١-م١٧٥٢).

الشاهد من الحديث قوله: (يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لاَ يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا).

وعَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي رَافِعٍ اليَهُودِيِّ رِجَالًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَتِيكٍ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُعِينُ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الحِجَازِ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ، وَقَدْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَرَاحَ النَّاسُ بِسَرْحِهِمْ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ لِأَصْحَابِهِ: اجْلِسُوا مَكَانَكُمْ، فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ، وَمُتَلَطِّفٌ لِلْبَوَّابِ، لَعَلِّي أَنْ أَدْخُلَ، فَأَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنَ البَابِ، ثُمَّ تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ كَأَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً، وَقَدْ دَخَلَ

النَّاسُ، فَهَتَفَ بِهِ البَوَّابُ، يَا عَبْدَ اللهِ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ فَادْخُلْ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ البَابَ، فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ أَغْلَقَ البَابَ، ثُمَّ عَلَّقَ الأَغَالِيقَ عَلَى وَتِدٍ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَى الأَقَالِيدِ فَأَخَذْتُهَا، فَفَتَحْتُ البَابَ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُسْمَرُ عِنْدَهُ، وَكَانَ فِي عَلاَلِيَّ لَهُ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِهِ صَعِدْتُ إِلَيْهِ، فَجَعَلْتُ كُلَّمَا فَتَحْتُ بَابًا أَغْلَقْتُ عَلَيَّ مِنْ دَاخِلٍ، قُلْتُ: إِنِ القَوْمُ نَذِرُوا بِي لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيَّ حَتَّى أَقْتُلَهُ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسْطَ عِيَالِهِ، لاَ أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنَ البَيْتِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ وَأَنَا دَهِشٌ، فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا، وَصَاحَ، فَخَرَجْتُ مِنَ البَيْتِ، فَأَمْكُثُ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ؟ فَقَالَ: لِأُمِّكَ الوَيْلُ، إِنَّ رَجُلًا فِي البَيْتِ ضَرَبَنِي قَبْلُ بِالسَّيْفِ، قَالَ: فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أَثْخَنَتْهُ وَلَمْ أَقْتُلْهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ ظِبَةَ السَّيْفِ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَخَذَ فِي ظَهْرِهِ، فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ، فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الأَبْوَابَ بَابًا بَابًا، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى دَرَجَةٍ لَهُ، فَوَضَعْتُ رِجْلِي، وَأَنَا أُرَى أَنِّي قَدِ انْتَهَيْتُ إِلَى الأَرْضِ، فَوَقَعْتُ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ، فَانْكَسَرَتْ سَاقِي فَعَصَبْتُهَا بِعِمَامَةٍ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عَلَى البَابِ، فَقُلْتُ: لاَ أَخْرُجُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَعْلَمَ: أَقَتَلْتُهُ؟ فَلَمَّا صَاحَ الدِّيكُ قَامَ النَّاعِي عَلَى السُّورِ، فَقَالَ: أَنْعَى أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلِ الحِجَازِ، فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي،

فَقُلْتُ: النَّجَاءَ، فَقَدْ قَتَلَ اللهُ أَبَا رَافِعٍ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: «**ابْسُطْ رِجْلَكَ**» فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَهَا، فَكَأَنَّهَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ. **رواه البخاري** في "صحيحه" (٤٠٣٩).

الشاهد من الحديث قوله: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِلَى أَبِي رَافِعٍ اليَهُودِيِّ رِجَالًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَتِيكٍ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِي رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَيُعِينُ عَلَيْهِ.

***

ما سلم جبريل عليه السلام ولا الملائكة عليهم السلام من الأذية

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَلَغَ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلاَمٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَدِينَةَ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاَثٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ**» قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلاَئِكَةِ. رواه البخاري في "صحيحه" (٣٣٢٩).

الشاهد من الحديث قوله: «فَقَالَ عَبْدُ اللهِ ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلاَئِكَةِ».

وقد اتهم بخيانة الرسالة من قبل الرافضة قبحهم الله، وأنها كانت لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وليست للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

وقد رد الله تعالى عليهم بقوله أن وصف جبريل عليه السلام بالأمين:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [سورة الشعراء:١٩٥].

وقال الله في وصف جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [سورة التكوير:٢١].

قلت: فلا يتهم بالخيانة، كما تقوله اليهود يقولون: جبريل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عدونا أو كما يقوله غلاة الشيعة: إن الرسالة لعلي، ولكن جبريل خان وبلغها إلى محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فهذا تكذيب لله؛ لأن الله سماه أميناً.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفيه ردٌّ ظاهرٌ على الروافض الذين يفضلون عليّاً على أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بل بعضهم يفضل علياً على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقول: عليّ أفضل من محمد وأحق بالرسالة، ولكن جبريل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خان الأمانة وانصرف بالرسالة عن على إلى محمد، ولا شك أنهم على ضلال بيّن والعياذ بالله، نسأل الله لنا ولهم الهداية. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٣/ ٥٠٦).

***

ما سلم الصحابة رضي الله عنهم من الأذية

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ». رواه البخاري في "صحيحه" (٣٦١٢).

أبو بكر الصديق رضي الله عنه لم يسلم من الأذية:

عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ، إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفَيِ النَّهَارِ، بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ المُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الحَبَشَةِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ وَهُوَ سَيِّدُ القَارَةِ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي

قَوْمِي، فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّي، قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ وَلاَ يُخْرَجُ، إِنَّكَ تَكْسِبُ المَعْدُومَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ، فَرَجَعَ وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ، فَطَافَ ابْنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلاَ يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ المَعْدُومَ وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الكَلَّ وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ، وَقَالُوا: لِابْنِ الدَّغِنَةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَلْيُصَلِّ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ، وَلاَ يُؤْذِينَا بِذَلِكَ وَلاَ يَسْتَعْلِنْ بِهِ، فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ، فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَلاَ يَسْتَعْلِنُ بِصَلاَتِهِ وَلاَ يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ القُرْآنَ، فَيَنْقَذِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ المُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً، لاَ يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ القُرْآنَ، وَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ، عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَأَعْلَنَ بِالصَّلاَةِ وَالقِرَاءَةِ فِيهِ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَانْهَهُ،

فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ بِذَلِكَ، فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ، فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الِاسْتِعْلَانَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِمَّا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي، فَإِنِّي لاَ أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ العَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ، وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُسْلِمِينَ: «**إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لاَبَتَيْنِ**» وَهُمَا الحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ المَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ إِلَى المَدِينَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ المَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ وَهُوَ الخَبَطُ، أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ، قَالَ: عُرْوَةُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَقَنِّعًا، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ، قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ: «**أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ**». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ، بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الخُرُوجِ**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَعَمْ**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ - بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ - إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بِالثَّمَنِ**». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الجِهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمَنَا فِيهِ ثَلاَثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلاَمٌ شَابٌّ، ثَقِفٌ لَقِنٌ، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلاَ يَسْمَعُ أَمْرًا، يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلاَمُ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ العِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ، وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا، حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلاَثِ، وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ، هَادِيًا خِرِّيتًا، وَالخِرِّيتُ المَاهِرُ

بِالهِدَايَةِ، قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ العَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلاَثٍ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالدَّلِيلُ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ. **رواه البخاري** في "صحيحه" (٣٩٠٥).

أبو ذر الغفاري رضي الله عنه لم يسلم من أذية قريش:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال: لما بلغ أبا ذر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي، فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء، فاسمع من قوله ثم ائتني، فانطلق الآخر حتى قدم مكة، وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلامًا ما هو بالشعر، فقال: ما شفيتني فيما أردت فتزود وحمل شنة له، فيها ماء حتى قدم مكة، فأتى المسجد فالتمس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه، حتى أدركه يعني الليل فاضطجع، فرآه عليّ فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه، فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى أصبح، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد، فظل ذلك اليوم، ولا يرى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى أمسى، فعاد إلى مضجعه، فمر به علي، فقال: ما آن للرجل أن يعلم منزله؟ فأقامه.

فذهب به معه، ولا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى إذا كان يوم الثالث فعل مثل ذلك، فأقامه عليّ معه، ثم قال له: ألا تحدثني؟ ما الذي أقدمك هذا البلد؟ قال: إن أعطيتني عهداً وميثاقًا لترشدني، فعلت، ففعل.

فأخبره فقال: فإنه حق وهو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا أصبحت فاتبعني، فإني إن رأيت شيئًا أخاف عليك، قمت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي، ففعل، فانطلق يقفوه، حتى دخل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودخل معه، فسمع من قوله، وأسلم مكانه.

فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري**» فقال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وثار القوم فضربوه حتى أضجعوه، فأتى العباس فأكب عليه، فقال: ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجاركم إلى الشام عليهم، فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد بمثلها، وثاروا إليه فضربوه، فأكب عليه العباس فأنقذه. متفق عليه. (خ٣٨٦١-م٢٤٧١).

الشاهد من الحديث قوله: (والذي نفسي بيده لأصرخنّ بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله).

قلت: وهذا يدل على قوة همة أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في إظهار التوحيد، فهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان قوالاً بالحق صادّعاً به لا يخاف في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لومة لائم، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أوصاه بقول الحق؛ **فعَنْ أَبِي ذَرٍّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَمَرَنِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ: «**أَمَرَنِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ، وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي، وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أَدْبَرَتْ، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَإِنَّهُنَّ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ**». **رواه أحمد** في "مسنده" (٢١٤١٥)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٥/ ١٩٠)، **والإمام الوادعي** رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند" (١/ ٢١٣).

الشاهد من الحديث قوله: «**وَأَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ**».

بلال بن رباح رضي الله عنه لم يسلم من الأذية:

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أول مَن أظهر إسلامَه سبعةٌ: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر، وعَمّار، وأمه سُمَيَّة، وصُهَيْب، وبلال، والمقْداد، فأما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمنعه الله بعمّه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركونَ، فألبسوهم أدْرَاع الحديد، وصَهَرُوهم في الشمس، فما منهم إِنسانٌ إلاَّ وقد وَاتَاهم على ما أرادوا، إلا بلال، فإنه هانَتْ عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأعْطوْه الولدانَ، وأخذوا يطوفون به شعَاب مكة، وهو يقول: أحَدٌ أَحَدٌ. **رواه أحمد** في "مسنده" (٣٨٣٢)، **وابن ماجه** في "سننه" (١٥٠) وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح ابن ماجه" (١٥٠).

عمار بن ياسر رضي الله عنه لم يسلم من الأذية:

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَبِأَهْلِهِ، وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: «**أَبْشِرُوا آلَ يَاسِرٍ، مَوْعِدُكُمُ الْجَنَّةُ**». **رواه الطبراني** في "الأوسط" (١٥٠٨)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح السيرة النبوية" (١/ ١٥٤).

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لم يسلم من التهم الباطلة:

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ **سَعْدًا** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي،

فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللهِ «**فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي صَلاَةَ العِشَاءِ، فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ**»، قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا أَوْ رِجَالًا إِلَى الكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ المَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ. **متفق عليه**.(خ٧٥٥-م٤٥٣).

الشاهد من هذا الحديث قوله: حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَمَا وَاللهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ: **اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ**

عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ المَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ».

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه من الكرامات التي نقلها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه رياض الصاحين، وهي ما رواه جابر بن سمرة في قصة سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وكان سعد معروفًا بإجابة الدعوة (مستجاب الدعاء) يعني أن الله أعطاه كرامة وهو أن الله تعالى يجيب دعوته إذا دعا، وقد جعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أميراً على أهل الكوفة، لأن المسلمين لما فتحوا العراق مصروا الأمصار وجعلوا البصرة والكوفة وهما أشهر ما يكون في العراق، ثم إن أمير المؤمنين جعل لهم أمراء، فأمر سعد بن أبي وقاص على الكوفة، فشكاه أهل الكوفة إلى أمير المؤمنين عمر، حتى قالوا إنه لا يحسن أن يصلي، وهو صحابي جليل شهد له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة، فأرسل إليه عمر، فحضر وقال له: إن أهل الكوفة شكوك حتى قالوا: إنك لا تحسن تصلي، فأخبره سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه كان يصلي بهم صلاة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكر صلاة العشاء وكأنها - والله أعلم - هي التي وقع تعيينها من هؤلاء الشكاة، فقال: إني لأصلي بهم صلاة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا أخرم عنها

يعني لا أدعها، فكنت أطول في العشاء بالأوليين وأقصر في الأخريين، فقال له عمر رضي الله عنه: ذلك الظن بك يا أبا إسحاق، فزكاه عمر؛ لأن هذا هو الظن به، أنه يحسن الصلاة وانه يصلي بقومه الذين أمر عليهم صلاة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ولكن مع ذلك تحرى ذلك عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ لأنه يتحمل المسئولية ويعرف قدر المسئولية، أرسل رجالاً إلى أهل الكوفة، يسألونهم عن سعد وعن سيرته، فكان هؤلاء الرجال، لا يدخلون مسجداً ويسألون عن سعد إلا أثنوا عليه معروفًا، حتى أتى هؤلاء الرجال إلى مسجد بني عبس، فسألوهم، فقام رجل فقال: أما ناشدتمونا، فإن هذا الرجل لا يعدل في القضية ولا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية، فقوله لا يسير في السرية، يعني لا يخرج في الجهاد، ولا يقسم بالسوية إذا غنم ولا يعدل في القضية إذا حكم بين الناس، فاتهمه هذه التهم، فهي تهم ثلاث، فقال أما إن قلت كذا (المتحدث سعد بن أبي وقاص رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ فلأدعون عليك بثلاث دعوات، دعا عليه أن يطيل الله تعالى عمره وفقره ويعرضه للفتن، نسأل الله العافية، ثلاث دعوات عظيمة، لكنه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ استثنى، قال: إن كان عبدك هذا قام رياء وسمعة يعني لا بحق، فأجاب الله دعاءه، فكان هذا الرجل طويل العمر، عمر طويلاً وشاخ حتى إن حاجبيه سقطت على عينيه من الكبر، وكان فقيراً وعرض للفتن، حتى وهو في هذه

الحال وهو كبير إلى هذا الحد كان يتعرض للجواري، يتعرض لهن في الأسواق ليغمزهن والعياذ بالله، وكان يقول عن نفسه شيخ مفتون كبير أصابتني دعوة سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فهذه من الكرامات التي أكرم الله بها سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفيه فوائد عديدة منها: أن من تولى أمراً في الناس فإنه لا يسلم منهم مهما كانت منزلته، لابد أن يناله السوء **قال ابن الوردي** رَحِمَهُ اللَّهُ في منظومته المشهورة، التي أولها:

اعتزل ذكر الأغاني والغزل *** وقل الفصل وجانب من هذا
ودع الذكرى لأيام الصبى *** فلأيام الصبى نجم أفل

قال فيها من جملة ما قال من حكم:

إن نصف الناس أعداء لمن *** ولي الأحكام، هذا إن عدل

ومن الفوائد أيضًا في هذا الحديث: جواز دعاء المظلوم على ظالمه بمثل ما ظلمه كما دعا **سعد بن أبي وقاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه الدعوات على من ظلمه، ومن فوائدها: أن الله تعالى يستجيب دعاء المظلوم، ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لمعاذ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين بعثه إلى اليمن وأمره أن يأخذ الزكاة من أموالهم، قال: «**إياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها**

وبين الله حجاب». [١] فالمظلوم يستجيب الله دعاءه حتى ولو كان كافراً [٢] فلو كان كافراً وظلم ودعا على من ظلمه أجاب الله دعاءه، لأن الله حكم عدل عز وجل، يأخذ بالإنصاف والعدل لمن كان مظلوماً ولو كان كافراً، فكيف إذا كان مسلماً؟ ومن فوائد هذا الحديث، أنه يجوز للإنسان أن يستثني في الدعاء، إذا دعا على شخص يستثني فيقول: اللهم إن كان كذا فافعل به كذا، اللهم إن كان ظلمني فأنصفني منه أو فابتله بكذا وكذا، تدعو بمثل ما ظلمك، وقد جاء الاستثناء في الدعاء في القرآن الكريم فقال تبارك وتعالى: والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ويدرؤوا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين،

---

(١) **رواه مسلم** في "صحيحه" (١٩) من حديث **معاذ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجاء بنحوه **متفق عليه**.(خ١٤٥٨-م١٩) من حديث **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) **إليك الحديث بتمامه: عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا، فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ» رواه أحمد** في "مسنده" (١٢٥٤٩)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٢/ ٣٩٥).

والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين).اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٦/ ٨٢).

سعيد بن زيد رضي الله عنه من أرى التي ادعت أنه أخذ شيئًا من أرضها:

عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ، ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا، فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ**»، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لَا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا، فَقَالَ: «**اللهُمَّ، إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمِّ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا**»، قَالَ: «**فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا، إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ**». رواه مسلم في "صحيحه" (١٦١٠).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: من كرامات الأولياء أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يجيب دعوتهم، حتى يدركوها بأعينهم فهذا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة، خاصمته امرأة ادعت أنه أخذ شيئًا من أرضها فخاصمته عند مروان، فقال: أنا آخذ من أرضها شيئًا بعد ما سمعت من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قالوا: وماذا سمعت؟ قال: سمعت النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**من اقتطع شبراً من الأرض ظلمًا طوقه الله به يوم القيامة من سبع أرضين - أو - طوقه يوم القيامة من سبع أرضين**». [1] يعني فكيف آخذ منها بعد أن سمعت هذا من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ كل مؤمن يؤمن بالله ورسوله إذا سمع مثل هذا الخبر الصادر عن الصادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه لا يمكن أن يظلم أحداً من أرضه ولا شبراً، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبر أنك لو أخذت شبراً من الأرض وقيده بالشبر من باب المبالغة وإلا فإن أخذ أقل من ذلك ولو سنتيمتر واحدًا فإنه يطوق به يوم القيامة من سبع أرضين، إذا كان يوم القيامة جاءت هذه القطعة التي أخذها مطوقة في عنقه من سبع أرضين؛ لأن الأرضين سبع طباق، كما قال الله تعالى الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن.

والإنسان إذا ملك أرضـًا، ملك قعرها إلى أسفل السافلين، إلى الأرض السابعة، وإذا ملكها أيضـًا ملك هواءها إلى الثريا، لا أحد يستطيع أن يبني فوقه جسراً أو أن يحفر تحته خندقًا، لأن الأرض له إلى أسفل السافلين، وإلى أعلى

---

(١) تقدم تخريجه.

السماء، كلها له، إذا كان يوم القيامة وهذا قد اقتطع شبراً من الأرض بغير حق، فإنه يأتي يوم القيامة مطوق به عنقه نسأل الله العافية.

وعند جميع العالم كل شيء محشور يوم القيامة حتى الوحوش تحشر حتى الإبل حتى البقر حتى الغنم كلها تحشر يوم القيامة، وهذا يشاهد حاملاً هذه الأرض والعياذ بالله من سبع أرضين، ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لعن الله من غير منار الأرض**». (١) غير منارها: أي غير مراسيمها فأدخل شيئًا ليس له، وفي هذا دليل على أن قصف الأرض أو أخذ شيء بغير الحق من كبائر الذنوب لأن عليه هذا الويل العظيم، اللعن وأنه يحمل به يوم القيامة، فما بالك بقوم اليوم يأخذون أميالاً بل أميال الأميال والعياذ بالله بغير الحق، يأخذونها يضيقون بها مراعي المسلمين، ويحرمون المسلمين من مراعيهم أو من طرقهم أو ما أشبه ذلك، هؤلاء سوف يطوقون ما أخذوا يوم القيامة والعياذ بالله، لأنهم أخذوها بغير الحق، المراعي للمسلمين عمومًا، الخطوط الطرقات للمسلمين عمومًا، الأودية أودية الأمطار للمسلمين عمومًا، ولهذا قال العلماء: إن الإنسان لا يملك بالأحياء ما قرب من عامر وهو يتعلق

(١) رواه مسلم في "صحيحه" (١٩٧٨) من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بمصلحة هذا العامر، حتى لو أحياها وغرسها يقلع غرسه ويهدم بناؤه إذا كان هذا يتعلق بمصالح البلد، والبلد ليست ملكًا لفلان أو علان بل هي لعموم المسلمين، حتى لو فرضنا أن ولي الأمر أقطع هذا الرجل من الأرض التي يحتاجها أهل البلد فإنه لا يملكها بذلك لأن ولي الأمر إنما يفعل لمصالح المسلمين، لا يخص أحدًا بمصالح المسلمين دون أحد، وهذه المسألة خطيرة للغاية، ولهذا لما ارتفعت قيم الأراضي صار الناس والعياذ بالله يعتدي بعضهم على بعض، يدعي أن الأرض له وهي ليست له يكون جاراً لشخص ثم يدخل شيئًا من أرضه إلى أرضه، وهذا على خطر عظيم إن العلماء – أقول لكم كلامًا تعجبون منه قالوا: لو أن الإنسان بني جدارًا ثم زاد في لياصته (المحارة) إذا زاد في لياصته دخل على السور سنتيمترًا في لياصته فإنه يكون ظالمًا ويكون بذلك معاقبًا عند الله يوم القيامة، إلى هذا الحد الناس الآن والعياذ بالله يبلعون أميالاً أو أمتاراً مع هذا الوعيد الشديد، **سعيد بن زيد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما حدث مروان بهذا الحديث قال الآن لا أطلب عليك بينة، لأنه عارف أن سعيدًا لا يمكن أبدًا أن يأخذ من أرض هذه المرأة بدون حق أما المرأة؟ فقال سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها وأهلكها في أرضها، فماذا كان، كانت هذه المرأة أعماها الله عز وجل قبل أن تموت وبينما

هي تمشي في أرضها ذات يوم إذ سقطت في بئر فماتت فكانت البئر قبرها في نفس الأرض التي كانت تخاصم **سعيد بن زيد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيها، وهذا من كرامة الله عز وجل **لسعيد بن زيد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الله أجاب دعوته وشاهدها حيًا قبل أن يموت، وقد سبق لنا أن المظلوم تجاب دعوته ولو كان كافراً إذا كان مظلومًا، لأن الله تعالى ينتصر للمظلوم من الظالم؛ لأن الله تعالى حكم عدل لا يظلم ولا يمكن أحداً من الظلم وقد قال الله تعالى في القرآن الكريم إنه لا يفلح الظالمون فالظالم لا يفلح أبدًا، ولذلك انظر إلى هذه القصة وإلى قصة سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التي ذكرناها سابقًا وكيف أجاب الله الدعوة؟ وهذه هي عادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في عباده نسأل الله أن يحمينا وإياكم من الظلم.اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٦/ ٨٢).

عبد الله بن سلام رضي الله عنه لم يسلم من أذية قومه بعد أن أسلم:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَلَغَ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلاَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَقْدَمُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَدِينَةَ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاَثٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ**» قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ

المَلاَئِكَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الوَلَدِ: فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ المَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا» قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ، إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلاَمِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِي عِنْدَكَ، فَجَاءَتِ اليَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللهِ البَيْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ» قَالُوا أَعْلَمُنَا، وَابْنُ أَعْلَمِنَا، وَأَخْيَرُنَا، وَابْنُ أَخْيَرِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ» قَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَقَالُوا: شَرُّنَا، وَابْنُ شَرِّنَا، وَوَقَعُوا فِيهِ. رواه البخاري في "صحيحه" (٣٣٢٩).

الشاهد من الحديث قوله: «أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ» قَالُوا أَعْلَمُنَا، وَابْنُ أَعْلَمِنَا، وَأَخْيَرُنَا، وَابْنُ أَخْيَرِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ» قَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَقَالُوا: شَرُّنَا، وَابْنُ شَرِّنَا، وَوَقَعُوا فِيهِ».

قلت: وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من أذية الصحابة أو سبهم:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ**».

متفق عليه.(خ ٣٦٧٣ -م ٢٥٤٠).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**». **رواه الطبراني** في "المعجم الكبير" (١٢٧٠٩)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٥/ ٤٤٦).

❊❊❊

ما سلم العلماء من الأذية

الإمام الشوكاني رحمه الله ما سلم من أذية الرجل الزيدي:

يحكي القاضي محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ **فيقول كان الشوكاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إماما متحرراً في الفقه يتبع الدليل، وكان سلفي العقيدة، وكان يدرس طلبة العلم في الجامع الكبير وغيره من مساجد صنعاء العامرة، وكان هناك فقيه زيدي معتزلي جامد يجلس في ناحية المسجد، ويعاكس الشوكاني ويشوش عليه.

وفي أحد الأيام جاء **الشوكاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ للدرس وبعد أن انتهى من التدريس تعجب من غياب الفقيه المذكور فقيل له: إنه مريض في بيته فقال **الشوكاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا بد من زيارته فقام **الشوكاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ والطلبة معه لزيارة هذا الفقيه في بيته، وكان فقير جداً.

فلما وصل الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ وطلبته إلى حجرة هذا الفقيه تعجب جداً لأنه لم يتوقع أن يزوره **الشوكاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسبب ما بينهما من خلاف وبسبب مشاكية هذا الفقيه وقبل أن يخرج **الشوكاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وضع في يد الفقيه فلوساً وقال: هذه لك أنفقها في مصلحتك فتأثر الفقيه تأثراً كبيراً حتى دمعت عيناه وقال:

اسمع يا شوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ والله لو أنت يهودي لأدخلك الله الجنة).! اهـ من "قصص وحكايات من اليمن" (٣١١).

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ما سلم من الرجل الهندي:

قال الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأنا أقص الآن قصة عبد الرحمن البكري من اَهل نجد- كان أولاً من طلاب العلم على العم الشيخ عبد الله [١] وغيره، ثم بدا له أن يفتح مدرسة في عمان يعلم فيها التوحيد من كسبه الخاص، فإذا فرغ ما في يده أخذ بضاعة [٢] من أحد وسافر إلى الهند وربما أخذ نصف سنة في الهند، قال الشيخ البكري: كنت بجوار مسجد في الهند، وكان فيه مدرس إذا فرغ من تدريسه لعنوا ابن عبد الوهاب، وإذا خرج من المسجد مر بي وقال: أنا أُجيد العربية لكن أحب أن أسمعها من أهلها، ويشرب من عندي ماءً باردًا، فأهمني ما يفعل في درسه، قال: فاحتلت بأن دعوته وأخذت (**كتاب التوحيد**) [٣] ونزعت ديباجته ووضعته على رف في منزلي قبل مجيئه، فلما حضر قلت: أتأذن لي أن آتي ببطيخة. فذهبت، فلما

---

(١) ابن عبد اللطيف آل الشيخ.

(٢) مال يتجر فيه ببعض ربه.

(٣) الذي هو حق الله على العبد.

رجعت إذا هو يقرأُ ويهز رأْسه فقال: لمن هذا الكتاب؟ هذه التراجم [١] شبه تراجم البخاري هذا والله نفس البخاري؟! فقلت لا أدري، ثم قلت أَلا نذهب للشيخ الغزوي لنسأَله -وكان صاحب مكتبة وله رد على جامع البيان- فدخلنا عليه فقلت للغزوي كان عندي أَوراق سأَلني الشيخ من هي له؟ فلم أَعرف، ففهم الغزوي المراد، فنادى من يأْتي بكتاب ((مجموعة التوحيد)) فأُتي بها فقابل بينهما فقال هذا لمحمد بن عبد الوهاب فقال العالم الهندي مغضبًا وبصوت عال: الكافر فسكتنا وسكت قليلاً، ثم هدأَ غضبه فاسترجع ثم قال: إن كان هذا الكتاب له فقد ظلمناه ثم إنه صار كل يوم يدعو له ويدعوا معه تلاميذه وتفرق تلاميذ له في الهند وإذا فرغوا من القراءة دعوا جميعًا للشيخ ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.اهـ من "مجموع فتاواه" (١/ ٧٥). [٢]

---

(١) العناوين.

(٢) **قلت**: هذه قصة يتناقلها المشايخ وسمعتها من شيخنا في تقريره مرتين: وقال تعليقًا على هذه القصة: أن العماية الكبرى كلها من المنتسبين إلى الاسلام، وأن على الداعي إلى الله أن يدعو إلى العقائد أولاً، لا إلى الأعمال الظاهرة كالصلاة والزكاة والصيام والحج وقال: ومع الأسف أهل التوجيه والدعوة قليل فيهم هذا أو معدوم.

الإمام البخاري رحمه الله لم يسلم من شيخه محمد بن يحيى الذهلي:

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وَقَالَ الحَاكِمُ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا طَاهِرُ بنُ مُحَمَّدٍ الوَرَّاقُ، سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ شَاذِلٍ يَقُوْلُ: لَمَّا وَقَعَ بَيْنَ مُحَمَّدِ بنِ يَحْيَى وَالبُخَارِيِّ، دَخَلْتُ عَلَى البُخَارِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، أَيْشٍ الحِيلَةُ لَنَا فِيْمَا بينك وَبَيْنَ مُحَمَّدِ بنِ يَحْيَى، كُلُّ مَنْ يَخْتلِفُ إِلَيْكَ يُطْرَدُ؟

فَقَالَ: كم يَعْتَرِي مُحَمَّدَ بنَ يَحْيَى الحسدُ فِي العِلْمِ، وَالعِلْمُ رِزْقُ اللهِ يُعْطِيهِ مَنْ يَشَاءُ.اهـ من "سير أعلام النبلاء" (١٢/ ٤٥٧).

ورحم الله الإمام مسلم بن الحجاج إذا يقول عن شيخه الإمام البخاري رحمه الله:

(لَا يُبْغِضُكَ إِلَّا حَاسِدٌ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِثْلُكَ). اهـ من "البداية والنهاية" (١٤/ ٥٣١).

إسماعيل الهروي رحمه الله:

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قال ابن طاهر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وسمعت أصحابنا بهراة يقولون: لما قدم السلطان ألب أرسلان هراة في بعض قدماته اجتمع مشايخ البلد ورؤساؤه ودخلوا على أبي إسماعيل وسلموا عليه وقالوا: ورد السلطان ونحن على عزم أن نخرج ونسلم عليه فأحببنا أن نبدأ بالسلام عليك، وكانوا قد تواطئوا على أن حملوا معهم صنمًا من نحاس صغيرًا وجعلوه في المحراب تحت سجادة الشيخ، وخرجوا وقام إلى خلوته، ودخلوا على السلطان، واستغاثوا

من الأنصاري، وأنه مجسم، وأنه يترك في محرابه صنما يزعم أن الله على صورته، وإن بعث الآن السلطان يجده، فعظم ذلك على السلطان وبعث غلامًا، ومعه جماعة فدخلوا الدار، وقصدوا المحراب، فأخذوا الصنم ورجع الغلام بالصنم، فبعث السلطان من أحضر الأنصاري، فأتى فرأى الصنم والعلماء والسلطان قد اشتد غضبه؛ فقال السلطان له: ما هذا؟ قال: هذا صنم يعمل من الصفر شبه للعبة؛ قال: لست عن ذا أسألك؟ قال: فعم يسألني السلطان؟ قال: إن هؤلاء يزعمون أنك تعبد هذا، وأنك تقول: إن الله على صورته، فقال الأنصاري بصولة وصوت جهوري: سبحانك هذا بهتان عظيم، فوقع في قلب السلطان أنهم كذبوا عليه فأمر به فأخرج إلى داره مكرمًا، وقال لهم: اصدقوني وهددهم فقالوا: نحن في يد هذا الرجل في بلية من استيلائه علينا بالعامة فأردنا أن نقطع شره عنا، فأمر بهم ووكل بكل واحد منهم وصادرهم وأهانهم).اهـ من "تذكرة الحفاظ" (٣/ ٢٥١).

وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ الحَافِظُ أَبُو النَّضْرِ الفَامِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كَانَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ أَبُو إِسْمَاعِيْلَ بِكْر الزَّمَان، وَوَاسطَةَ عِقد المَعَانِي، وَصُوْرَةَ الإِقبال فِي فُنُوْن الفضَائِل وَأَنْوَاعِ المَحَاسِن، مِنْهَا نُصْرَةُ الدِّيْنِ وَالسُّنَّة، مِنْ غَيْرِ مُدَاهنَة وَلاَ مرَاقبَةٍ لسُلْطَان وَلاَ وَزِيْر، وَقَدْ قَاسَى بِذَلِكَ قصدَ الحُسَّاد فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَسعُوا

فِي رُوحه مِرَاراً، وَعمدُوا إِلَى إِهلاكه أَطوَاراً، فَوْقَاهُ اللهُ شَرَّهُم، وَجَعَلَ قَصدهمْ أَقوَى سَبَبٍ لارتفَاع شَأْنه). اهـ من "سير أعلام النبلاء" (١٨/ ٥٠١).

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمة شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هو أَحْمد بن عبد الْحَلِيم بن عبد السَّلَام بن عبد الله بن الْقَاسِم بن تَيْمِية الحرّاني الدمشقي الحنبلي تقي الدَّين أَبُو الْعَبَّاس شيخ الإسلام إمام الْأَئِمَّة الْمُجْتَهد الْمُطلق ولد سنة (٦٦١) إحدى وَسِتِّينَ وسِتمِائَة وتحول بِهِ أَبوهُ من حران سنة (٦٦٧) سبع وَسِتِّينَ وسِتمِائَة، فَسمع من ابْن عبد الدايم وَالقَاسِم الأريلى وَالْمُسلم ابْن عَلان وَابْن أَبى نمر وَالْفَخْر وَمن آخَرين، قَالَ ابْن حجر فِي الدُّرَر، وَقَرَأَ بِنَفسِهِ، وَنسخ سنَن أَبى دَاوُد وَحصل الْأَجْزَاء وَنظر فِي الرِّجَال، والعلل، وتفقه، وتمهّر، وَتقدم، وصنّف، ودرس، وَأفْتى، وفَاق الأقران، وَصَارَ عجبًا فِي سرعَة الاستحضار، وَقُوَّة الْجنان، والتوسع فِي الْمَنْقُول والمعقول، والاطلاع على مَذَاهِب السلف وَالْخلف انْتهى، وَأَقُول أَنا لَا أعلم بعد ابْن حزم مثله وَمَا أَظُنهُ سمح الزَّمَان مَا بَين عصر الرجلَيْن بِمن شابههما أَو يقاربهما، قَالَ الذهبي: مَا ملخصه كَانَ يقْضى مِنْهُ الْعجب إِذا ذكر مَسْأَلَة من مسَائِل الْخلاف الَّتِي يوردها مِنْهُ، وَلَا أَشد استحضاراً للمتون، وعزوها مِنْهُ،

وَكَانَت السنة نصب عَيْنَيْهِ، وعَلى طرف لِسَانه بِعِبَارَة رشيقة، وَكَانَ آية من آيَات الله فِي التَّفْسِير، والتوسع فِيهِ، وَأما أصُول الدّيانَة، وَمَعْرِفَة أَقْوَال الْمُخَالفين فَكَانَ لَا يشق غباره فِيهِ هَذَا مَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ من الْكَرم والشجاعة والفراغ عَن ملاذ النَّفس، وَلَعَلَّ فَتَاوِيهِ فِي الْفُنُون تبلغ ثَلَاثمِائَة مُجَلد بل أَكثر، وَكَانَ قوالاً بِالْحَقِّ لَا تَأْخُذهُ بِالله لومة لائم ثمَّ قَالَ: وَمن خالطه وعرفه قد ينسبني إِلَى التَّقْصِير فِيهِ، وَمن نابذه وَخَالفهُ قد ينسبني إِلَى التغالي فِيهِ، وَقد أوذيت من الْفَرِيقَيْنِ من أَصْحَابه وأضداده، وَكَانَ أَبيض أسود الرَّأْس، واللحية قَلِيل الشيب شعره إِلَى شحمة أُذُنَيْهِ كَأَن عَيْنَيْهِ لسانان ناطقان ربعَة من الرِّجَال بعيد مَا بَين الْمَنْكِبَيْنِ، جهوريّ الصَّوْت فصيحاً سريع الْقِرَاءَة تعتريه حِدة لَكِن يقهرها بالحلم، قَالَ: وَلم أرمثله فِي ابتهاله واستعانته بِالله وَكَثْرَة توجهه وَأَنا لَا أعتقد فِيهِ عصمَة بل أَنا مُخَالف لَهُ فِي مسَائِل أَصْلِيَّة وفرعية، فَإِنَّهُ كَانَ مَعَ سَعَة علمه، وفرط شجاعته، وسيلان ذهنه، وتعظيمه لحرمات الدَّين بشراً من الْبشر تعتريه حِدة فِي الْبَحْث، وَغَضب وصدمة للخصوم تزرع لَهُ عَدَاوَة فِي النُّفُوس وَلَولَا ذَلِك لَكَانَ كلمة إجماع فإن كبارهم خاضعون لعلومه معترفون بأنه بَحر لَا سَاحل لَهُ وكنز لَيْسَ لَهُ نَظِير، وَلَكِن ينقمون عَلَيْهِ أخلاقاً وأفعالاً، وكل أحد يُؤْخَذ من قَوْله وَيتْرك قَالَ، وَكَانَ محافظاً على الصَّلَاة وَالصَّوْم مُعظماً

للشرائع ظَاهراً وَبَاطنا لَا يُؤْتى من سوء فهم، فإن لَهُ الذكاء المفرط، وَلَا من قلَّة علم فإنه بَحر زاخر، وَلَا كَانَ متلاعبًا بِالدّينِ، وَلَا ينْفَرد بمسائل بالتشّهي وَلَا يُطلق لِسَانه بِمَا اتفق بل يحْتَج بِالْقُرْآنِ والْحَدِيث وَالْقِيَاس ويبرهن ويناظر أُسْوَة بِمن تقدمه من الْأَئِمَّة فَلهُ أجر على خطأه وأجران على إصابته انْتهى وَمَعَ هَذَا فقد وَقع لَهُ مَعَ أهل عصره قلاقل وزلازل وامتحن مرة بعد أُخْرَى في حَيَاته وَجَرت فتن عديدة، وَالنَّاس قِسْمَانِ فِي شَأْنه فبعض مِنْهُم مقصر بِهِ عَن الْمِقْدَار الَّذِي يسْتَحقّهُ بل يرميه بالعظائم، وَبَعض آخر يُبَالغ في وَصفه ويجاوز بِهِ الْحَد ويتعصب لَهُ كَمَا يتعصب أهل الْقسم الأول عَلَيْهِ. اهـ من "البدر الطالع" (١/ ٦٥).

الشاهد من كلام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله:

وَهَذِه قَاعِدَة مطردَة في كل عَالم يتبحر في المعارف العلمية، ويفوق أهل عصره ويدين بِالْكتاب وَالسّنة، فإنه لَا بُد أَن يستنكره المقصرون وَيَقَع لَهُ مَعَهم محنة بعد محنة ثمَّ يكون أمره الْأَعْلَى وَقَوله الأولى وَيصير لَهُ بِتِلْكَ الزلازل لِسَان صدق في الآخرين، وَيكون لعلمه حَظّ لَا يكون لغيره، وَهَكَذَا حَال هَذَا الإمام، فإنه بعد مَوته عرف النَّاس مِقْدَاره، واتفقت الألسن بالثناء عَلَيْهِ إلا من لَا يعْتد بِهِ، وطارت مصنفاته، واشتهرت مقالاته. اهـ من "البدر الطالع" (١/ ٦٥).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.

وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت ملء هذه القاعة ذهبًا ما عدل عندي شكر هذه النعمة.

أو قال ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير، ونحو هذا.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شاء الله وقال لي مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه، ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [سورة الحديد:١٣].

وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلبًا، وأسرهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه.

وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها.اهـ من "الوابل الصيب" (٤٨).

الإمام الألباني رحمه الله:

قال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وقد يتساءل بعض القراء الألباء، فيقول:** ما الذي يحمل هؤلاء الجهلة على الرد على **الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد وضع الله له القبول في الأرض بإذنه تعالى، وانتفع بكتبه ومؤلفاته من شاء الله من العلماء وطلاب العلم؟ فأقول: هناك أسباب أهمها - أو من أهمها - الحسد، مصداق قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، أما إني لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين**». [(١)]

(١) **حديث حسن**: "تخريج مشكلة الفقر" (٢٠/ التحقيق الثاني).

وبعض هؤلاء الذين ينتصبون للرد عليّ يكاد أحدهم يفصح عن هذا السبب بقلمه؛ فهذا صاحب الجزء المردود عليه يذكر في مقدمته أن أحد إخوانه [١] اقترح عليه أن يراجع "سلسلة الأحاديث الصحيحة" للشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قال: "لأن فيها أحاديث ضعيفة، والناس يأخذونها بثقة تامة على أنها محقَّقة وصحيحة. "!.اهـ من "السلسلة الصحيحة" (١/ ٤).

شيخنا العلامة يحيى الحجوري حفظه الله لم يسلم من الأذية والحسد:

فقد ذكر حفظه الله أنه تعرض للحسد بعد ما جعله شيخه الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينوبه في التدريس.

قال حفظه الله: الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد طلُب مني أن أكتب نبذة عن مولدي واسمي وبلدي ونشأتي وبعض ما يتعلق بذلك، وبعد تكرار الطلب من الأحبة-أعزهم الله-رأيت تلبية طلبهم بكتابة هذه الأسطر.

---

(١) **قلت: وأنا أخشى أن يكون هو الناشر؛ فقد عهدنا أحدهم يتستر ببعضهم، فيدفعهم إلى الرد علي لضغينة في قلبه، نسأل الله السلامة.**

فأقول وبالله التوفيق:

أما اسمي: فأنا يحيى بن علي بن أحمد بن علي بن يعقوب الحجوري، من قبيلة بن يوَهان، من قرية الحنَجرَة

في أصل جبل الكُعيَدْنة - أسأل الله أن يكُرمهم بطلب علم كتاب الله وسنة رسوله-.

ثم انتقل جدي أحمد بن علي يعقوب إلى قرية تبعدُ عنها بمسافة غير يسيرة يقُال لها قرية جبرَ قبيلة الزغابية، وتزوج منهم، فهم أخوال والدي نشأ بينهم عند بعض أسرته وتزوج منهم أيضـًا بأمي من أسرة عقال قرية الزغابية رحم الله أمواتهم وأصلح أحيائهم وفيها كان مولدي قبل نحو أربعين عاماً في أيام ما يُسمى ب (الثورة الجمهورية اليمنية).

ووالدي - حفظه الله وأمد في عمره في طاعته - شغوف بالزراعة فكان يزرع مزرعةً كبيرة يمتلك منها الخير الكثير من الذرة والسمسم وغير ذلك، حتى كان بعض الناس يقترض منه الذرة والقصب عند الجدب مع ما أعطاه الله من المواشي من الغنم والبقر، فكان ولله الحمد في الجانب المعيشي على أحسن حال.

وربّانا أنا وأخواني تربية حسنة بعيدين عن القات والدخان والشمةّ وغير ذلك من البلايا، وكان من أشد شيءٍ.

يغُضبه علينا أن يرى من أحدنا قصوراً في صلاة الجماعة أو الراتبة، وأحب شيٍ إليه أن يصير بعضنا عالماً، وليس هناك إلا التعليم في الكتاتيب، فجعلني فيما يُسمى بمعلامة الشيخ، أمين تلك القرى وفقيهها وخطيبها

(يحيى العتابي-رحمه الله-)، والتعليم في تلك المعِلامة كما هو شأن التعليم القديم، تعليم قراءة القرآن نظراً في المصحف، وتعليم الخط، ومن تخرّج منها غالبًا يصير فقيه قريته إمامةً وخطابةً في بعض الخُطب المؤلفة، وكتابة العقود ونحو ذلك.

وقد كان الفقيه العتابي- رحمه الله - يُحبني من أكثر طلابه.

ولماّ تخرجت من تلك المِعلامة بقراءة القرآن نظراً ومعرفة شيء من الخط عزم أبي على الذهاب بي إلى مدينة الزيديةّ حيث كان يُشاع عند الناس هناك أنها مدينة العلم، وكانوا هم أهل الفتوى في الطلاق والمواريث ونحوها.

ووالدي- حفظه الله - محبٌ للعلم والديِّن كثير الصيام والقيام، ولا أعلمه أكل درهما من حرام، ولكنه ما كان يعرف عن الصوفية والشيعة ولا عن

غيرهم من الفرق الضالة شيئـًا، فكان يُجلهّم ويزورونه كثيراً، ومن زاره منهم يكُرمه غاية الإكرام، فنجاّني لله عَزَّوَجَلَّ من الدراسة عند أولئك الصوفية بأمي حفظها لله وأحسن خاتمتها، حيث جعلت تبكي عليّ أّن لا أذهب فأبقى في غير بلدي وحدي بغير رفيق من البلاد وأنا صغير، فأبقاني أبي أرعى الغنم، وكان حفظه لله أول من بنى مسجداً من الخشب والقش في قريتنا التي هم فيها الآن، ومع أنه مسجد صغير يسع نحو أربعين مصليـًا آنذاك يعُتبر جامع العدد من القرى حوله، ولماّ تهدمّ بناه من الحجر ووسعّه وكنت أنا إمامه، وفي يوم الجمعة يُجعل من يخلفني في رعي الغنم وأخطب بهم في بعض الخطب المؤلفّة، وأكثر ما كنت أعتمد على (الفتوحات الربانّية للبيحاني يرحمه لله) حتى كدت أن أحفظها لكثرة تكراري لها.

ثم بعد ذلك ذهبت إلى السعودية فكنت أحضر حلقة الإقراء بعد صلاة الفجر عند فضيلة الشيخ المقُرئ الشهير عبُيد لله الأفغاني – حفظه لله – في مدينة أبها، وسمعنا عنده شيئـًا من صحيح مسلم كان يبدأ به قبل السماع لنا، ثم سافر انتقلت إلى الشيخ المقرئ محمد أعظم الذي كان يدرّس القرآن في مسجد اليحيى، فقرأت عليهما إلى سورة الأعراف، ثم سافر الشيخ أيضـًا، وأكملت القراءة برواية حفص عن عاصم عند المقرئ محمد بشير.

ولله الحمد، ومع محبتي الشديدة للعلم آنذاك لم أجد هناك آنذاك من يرُشدني إلى الالتحاق بالشيخ الإمام ابن باز أو غيره، من علماء المملكة ممن كانوا قائمين بالتعليم رحمهم لله، ثم سمعت بالشيخ العلامة مقبل بن هادي الوادعي- رحمه لله - وأنه عالم سلفي يدُرّس علوم كتاب لله وسنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ - في دماج - حرسها لله.

ووفق أهلها لكل خير- إحدى قرى بلاد صعدة، فالتحقت به في داره المباركة في عام (خمسة وأربعمائة وألف للهجرة النبوية- ١٤٠٥هـ) على صاحبها الصلاة والسلام، وجاء معي والدي ووصّى بي الشيخ رحمه لله خيراً، ثم انصرف، ولايزال معيناً لي على طلب العلم بالمساعدات المالية بين حين وآخر.

وبقيت من ذلك التاريخ في طلب العلم؛ لا أحب كثرة السفريات، ولا ضياع شيء من الأوقات حتى يسر لله - عزوجل- من فضله على يدي شيخنا العلامة المحدث السلفي الميمون مقبل بن هادي الوادعي-رحمه لله - بخيرٍ كثير من الاستفادة في علوم شتّى.

وكما هو الحال في هذه الدار المبارك، كنت أُضيف إلى ما نتلقاه جميعا من شيخنا شيخ مشايخ الدعوة السلفية في اليمن مقبل بن هادي الوادعي- رحمه

لله – بعض الدروس في النحو والعقيدة والفقه عند بعض المشايخ الأجلة من أكابر طلاب شيخنا الإمام الوادعي – رحمه الله – في الدار، شكر الله لهم جميعاً، وبعد ذلك كان شيخنا مقبل أسكنه الله الفردوس الأعلى يأمرني أن أنوبه في التدريس إذا مرض أو سافر، ولما دنى أجله – رحمه الله–أوصى أن أكون بعده خلفاً له على ذلك الحال.

وكان أعداء هذه الدار يظنون ظن السوء أن بموت الشيخ – رحمه الله – ستزول هذه الدعوة وتصير بنيانها مكاناً للعلف ومجالساً لتخزين القات، كما كنا نسمعهم نحن وغيرنا في فترة مرض الشيخ وقبل ذلك.

الشاهد قول شيخنا حفظه الله: فلماّ أقبل لله بقلوب العباد على هذا الخير بعد موت الشيخ – رحمه الله – وتوسعت الدعوة أكثر، وصار طلبة العلم أضعاف ما كانوا عليه في حياة مؤسس الدار شيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **اغتاظ من ذلك بعض من أُصيب بمرض الحسد ممن كان من طلاب الشيخ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **ومن غيرهم من أهل الأغراض الدنيوية والفتن الحزبية، فدفع لله شرهم وبورّ مكرهم.**

ولاتزال الدعوة في كل خير إلى الأمام، والفضل لله من قبل ومن بعد، فهو القائل: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [سورة النحل:٥٣].

ونسأل الله عزو جل أن يحفظ علينا ديننا ودعوتنا، وأن يدفع عنا وعن بلادنا وسائر بلاد المسلمين الفتن.ما ظهر منها وما بطن، والحمد لله رب العالمين.

كتبه:

أبوعبد الرحمن يحيى بن علي بن أحمد بن علي بن يعقوب الحجوري

في ١٩/ شهر جماد الأول/ ١٤٢٨ هـ

***

ما سلم أهل الخير من الأذية والألقاب السيئة

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأنت لا تستغرب -يا أخي- أن يُلقب أهل الخير بألقاب السوء، ألم تعلم أن الأنبياء وصفوا بأنهم سحرة ومجانين؟!! قل نعم أو لا؟ السائل: نعم.

الشيخ: نعم؟! الصواب: بلى.

قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ [سورة الذاريات:٥٢].

هل ضر الأنبياء هذا اللقب؟ الجواب: لا.

العاقبة لهم والحمد لله، لا تستغرب أن يلقب أهلُ السوء أهلَ الخير بألقاب السوء.اهـ من "لقاء الباب المفتوح" (٢٣٥/ ١٨).

***

لم يسلم الغلام من أذية الساحر

عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي،

فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ [ص:٢٣٠٠] حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ

السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ». رواه مسلم في "صحيحه" (٣٠٠٥).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا الحديث الذي ذكره المؤلف - رحمه الله تعالي- في باب الصبر في قصة عجيبة: وهي أن رجلاً من الملوك فيمن سبق كان عنده ساحر اتخذه الملك بطانة؛ من أجل ان يستخدمه في مصالحه ولو

على حساب الدين، لأن هذا الملك لا يهتم إلا بما فيه مصلحته، وهو ملك مستبد قد عبد الناس لنفسه كما سيأتي إن شاء الله تعالى في آخر الحديث.

هذا الساحر لما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إليّ غلاماً أعلمه السحر، واختار الغلام لأن الغلام أقبل للتعليم، ولأن التعليم للغلام الشاب هو الذي يبقي، ولا ينسي، ولهذا كان التعلم في الصغر خيرا بكثير من التعلم في الكبر، وفي كل خير، لكن التعلم في الصغر فيه فائدتان عظيمتان بل أكثر:

الفائدة الأولى: أن الشاب في الغالب أسرع حفظاً من الكبير، لأن الشاب فارغ البال ليست عنده مشاكل توجب انشغاله.

وثانيًا: أن ما يحفظه الشاب يبقي، وما يحفظه الكبير ينسي، ولهذا كان من الحكمة الشائعة بين الناس: ((**إن العلم في الصغر كالنقش في الحجر**)) لا يزول.

وفيه فائدة ثالثة: وهي أن الشاب إذا ثقف العلم من أول الأمر صار العلم كالسجية له والطبيعة له، وصار كأنه غريزة قد شب عليه فيشب عليه.

فهذا الساحر ساحر كبير قد تقدمت به السن وجرب الحياة وعرف الأشياء. فطلب من الملك أن يختار له شاباً غلاماً يعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً، فعلمه ما علمه، ولكن الله تعالي قد أراد بهذا الغلام خيراً

مر هذا الغلام يومـًا من الأيام براهب، فسمع منه فأعجبه كلامه، لأم هذا الراهب- يعني العابد- عابد لله عز وجل، لا يتكلم إلا بالخير، وقد يكون راهبـًا عالمـًا لكن تغلب عليه العبادة فسمي بما يغلب عليه من الرهبانية، فصار هذا الغلام إذا خرج من أهله جلس عند الراهب فتأخر على الساحر، فجعل الساحر يضربه، لماذا تتأخر؟ فشكا الغلام إليَّ الراهب أمر يتخلص به، قال: إذا ذهبت إلي الساحر وخشيت أن يعاقبك فقل: عن الساحر أخرني؛ حتى تنجو من هذا ومن هذا.

وكان الراهب- والله أعلم- أمره بذلك- مع أنه كذب - لعله رأي أن المصلحة في هذا تربو على مفسدة الكذب، مع أنه يمكن أن يتأول!! ففعل، فصار الغلام يأتي إليَّ الراهب ويسمع منه، ثم يذهب إلي الساحر، فإذا أراد أن يعاقبه على تأخره قال: إن أهلي أخروني، وإذا رجع إليَّ أهله وتأخر عند الراهب قال: إن الساحر أخرني. فمر ذات يوم بدابة عظيمة، ولم يعين في الحديث ما هذه الدابة، قد حسبت الناس عن التجاوز، فلا يستطيعون أن يتجاوزها، فإذا هذا الغلام أن يخابر: هل الراهب خير له أم الساحر، فأخذ حجراً، ودعا الله سبحانه وتعالي إن كان أمر الراهب خير له أن يقتل هذا الحجر الدابة، فرمي بالحجر، فقتل الدابة، فمشي الناس.

فعرف الغلام أن أمر الراهب خير من أمر الساحر، وهذا أمر لا شك فيه؛ لأن الساحر إما معتد ظالم، وإما كافر مشرك، فإن كان يستعين على سحره بالشياطين يتقرب إليهم ويعبدهم ويدعوهم ويستغيث بهم فهو كافر مشرك. وإن كان لا يفعل هذا لكن يعتدي على الناس بأدوية فيها سحر فهذا ظالم معتد، أما الراهب، فإن كان يعبد الله على بصيرة فهو مهتد، وإن كان عنده شيء من الجهل والضلال فنيته طيبه، وإن كان عمله سيئًا.

المهم أن الغلام أخبر الراهب بما جري فقال له الراهب: أنت اليوم خير مني، وذلك لأن الغلام دعا الله فاستجاب الله له.

وهذا من نعمة الله على العبد، أن الإنسان إذا شك في المر ثم طلب من الله لآية تبين له شأن هذا الأمر فبينه الله له، فإن هذا من نعمة الله عليه.

ومن ثم شرعت الاستخارة، للإنسان إذا هم بالأمر وأشكل عليه: هل في إقدامه خير أم في إحجامه خير، فإنه يستخير الله، وإذا استخار الله بصدق وإيمان فإن الله تعالي يعطيه ما يستدل به عليَّ أن الخير في الإقدام أو إحجام. إما بشيء يلقيه في قلبه ينشرح صدره لهذا أو لهذا، وإما برؤيا يراها في المنام، وإما بمشورة أحد من الناس، وإما بغير ذلك.

وكان من كرامات هذا الغلام أنه يبرئ الأكمة والأبرص، يعني أنه يدعو لهم فيبرأون، وهذا من كرامات الله له.

وليس كقصة عيسى بن مريم يمسح صاحب العاهة فيبرأ، بل هذا يدعو الله فيستجيب الله تعالي دعاءه، فيبرئ بدعائه الأكمة والأبرص.

وقد أخبر الراهب هذا الغلام بأنه سيبتلي يعني سيكون له محنة واختبار، وطلب منه أن لا يخبر به إن هو ابتلي بشيء.

وكأن هذا الغلام- والله أعلم- مستجاب الدعوة، إذا دعا الله تعالي قبل منه.

وكان للملك جليس أعمي- لا يبصر- فأتي بهدايا كثيرة لهذا الغلام حينما سمع عنه ما سمع وقال: لك ما هنا أجمع- أي كله- إن أنت شفيتني، فقال، إنما يشفيك الله.

انظر إليَّ الإيمان! لم يغتر بنفسه وادعي أنه هو الذي يشفي المرضي، بل قال: إنما يشفيك الله عز وجل، وهذا يشبه من بعض الوجوه ما جري لشيخ الإسلام ابن تيميه رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما جيء إليه برجل مصروع قد صرعه الجني، فقرأ عليه **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولكنه لم يخرج، فجعل **شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يضربه على رقبته ضرباً شديداً، حتى إن يد **شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أوجعته من الضرب. فتكلم الجني الذي في الرجل وقال له: أخرج كرامة

للشيخ، فقال له **الشيخ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تخرج كرامة لي ولكن أخرج طاعة لله ولرسوله، لا يريد أن يكون له فضل، بل الفضل لله عز وجل أولاً وآخراً فخرج الجني فلما خرج الجني استيقظ الرجل فقال: ما الذي جاء بي إليَّ حضرة الشيخ؟ لأنه حينما صرع يمكن أنه كان في بيته أو سوقه، قال: ما الذي جاء بي إليَّ حضرة الشيخ؟ فقالوا: سبحان الله! ألم تحس بالضرب الذي كان يضربك؟ قال: ما أحسست به ولا أوجعني. فأخبروه، فبريء الرجل!

الشاهد أن أهل العلم والإيمان لا ينسبون نعمة الله إليهم، وإنما ينسبونها إليَّ موليها عز وجل وهو الله.

وقال له: «**فإن أنت آمنت دعوت الله لك**» فآمن الرجل، فدعا الغلام ربه أن يشفيه، فشفاه الله، فأصبح مبصراً.

فجاء هذا الجليس إلي الملك وجلس عنده على العادة، فسأله الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي قال: ولك رب غيري؟ قال: وأخبره بالخبر وعذبه تعذيباً شديداً، قال: من الذي علمك بهذا الشيء؟ وكان الراهب قد قال له: إنك ستبتلي، فإن ابتليت فلا تخبر عني، ولكن لعله عجز عن الصبر، فأخبر عن الراهب.

وكان هذا الملك الجبار- والعياذ بالله - لما دلوا على الراهب، جيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك ولكنه أبي أن يرجع عن دينه.

ورضي أن يقتل هذه القتلة ولا يرجع عن دينه- ما شاء الله-!! ثم جيء بالرجل الأعمى الذي كان جليساً عند الملك وآمن بالله، وكفر بالملك، فدعي أن يرجع عن دينه فأبي، ففعل به كما فعل بالراهب، ولم يرده ذلك عن دينه. وهذا يدل على أن الإنسان يجب عليه أن يصبر.

ولكن هل يجب على الإنسان ان يصبر على القتل، أو يجوز أن يقول كلمة الكفر دفعاً للإكراه مع طمأنينة القلب بالإيمان وإن شاء أصر وأبي ولو قتل، هذا إذا كان الأمر عائداً إليَّ الإنسان بنفسه يعني مثلاً قيل له: اسجد للصنم، فلم يسجد، فقتل، أو سجد دفعاً للإكراه ولم يقتل.

أما إذا كان الأمر يتعلق بالدين، بمعنى أنه لو كفر الكفر، بل يجب أن يصبر ولو قتل، كالجهاد في سبيل الله، المجاهد يقدم على القتل ولو قتل، لأنه يريد أن تكون كلمة الله هي العليا، فإذا كان إماماً للناس وأجبر على أن يقول كلمة الكفر فإنه لا يجوز أن يقول كلمة الكفر، لا سيما في زمن الفتنة، بل عليه أن يصبر ولو قتل.

ومثل ذلك ما وقع **للإمام أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين امتحن ولكنه كلما أفاق قال: القرآن كلام ربي غير مخلوق.

وإنما لم يجز لنفسه أن يقول كلمة الكفر مع الإكراه، لأن الناس ينتظرون ماذا يقول الإمام أحمد، فلو قال: القرآن مخلوق، لصار كل الناس يقولون: القرآن مخلوق، وفسد الدين.

ولكنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جعل نفسه فداء للدين ومع هذا صبر واحتسب، وكانت العاقبة له ولله الحمد، مات الخليفة، ومات الخليفة الثاني الذي بعده، واتي الله بخليفة صالح أكرم **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إكراماً عظيماً، فما مات **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ حتى أقر الله عينه بأن يقول الحق عالياً مرتفع الصوت، ويقول الناس الحق معه، وخذل أعداؤه الذين كانوا يحدثون الخلفاء عليه، ولله الحمد، وهذا دليل على أن العاقبة للصابرين، وهو كذلك، والله الموفق.

لما قتل الملك الراهب، وقتل جليسه، جيء بالغلام فطلب منه أن يرجع عن دينه إليَّ دين الملك، ودين الملك دين شرك؛ لأنه- والعياذ بالله - يدعو الناس إليَّ عبادته وتأليهه.

فأبى الغلام أن يرجع عن دينه، فدفعه الملك إلى نفر من أصحابه أي جماعة من الناس- وقال لهم: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، جبل معروف عندهم

شاهق رفيع، وقال لهم إذا بلغوا ذروته: فاطرحوه، يعني على الأرض، ليقع رأس الجبل فيموت، بعد أن تعرضوا عليه أن يرجع عن دينه، فإن رجع وإلا فاطرحوه.

فلما بلغوا به قمة الجبل طلبوا منه أن يرجع عن دينه فأبى؛ لأن الإيمان قد وقر في قلبه، ولا يمكن أن يتحول أو يتزحزح، فلما هموا أن يطرحوه قال: «**اللهم اكفنيهم بما شئت**».

دعوة مضطر مؤمن: «**اللهم اكفينهم بما شئت**» أي: بالذي تشاء، ولم يعين. فرجف الله بهم الجبل فسقطوا وهلكوا، وجاء الغلام إلي الملك فقال: ما الذي جاء بك؟ أين أصحابك؟ فقال: قد كفانيهم الله عز وجل.

ثم دفعه إلى جماعة آخرين، وأمرهم أن يركبوا البحر في قرقور- أي سفينة- فإذا بلغوا لجة البحر عرضوا عليه أن يرجع عن دينه، فإن لم يفعل رموه في البحر، فلما توسطوا من البحر عرضوا عليه أن يرجع عن دينه- وهو الإيمان بالله- عز وجل- فقال: لا! أبي، ثم قال: «**اللهم اكفنيهم بما شئت**» فانقلبت السفينة وغرقوا وأنجاه الله، ثم جاء إلى الملك فقال له: أين أصحابك؟ فأخبره بالخبر.

ثم قال له: إنك لست قاتلي حتى تفعل ما آمرك به! قال: وما هو؟ قال تجمع الناس في صعيد واحد، كل أهل البلد تجمعهم في مكان واحد، ثم تصلبني على جذع، ثم تأخذ سهماً من كنانتي فتضعه في كبد القوس، ثم ترميني به وتقول: بسم الله رب الغلام، فإنك إن فعلت ذلك قتلتني!

فجمع الملك الناس في صعيد واحد، وصلب الغلام، وأخذ سهما ثانياً: قوة إيمان هذا الغلام، وأنه لم يتزحزح عن إيمانه ولم يتحول.

ثانياً: فيه آية من آيات الله، حيث أكرمه الله عز وجل بقبول دعوته، فزلزل الجبل بالقوم الذين يريدون أن يطرحوه من رأس الجبل حتى سقطوا.

ثالثاً: أن الله عز وجل يجيب دعوة المضطر إذا دعاه، فإذا دعا الإنسان ربه في حال ضرورة موقناً أن الله يجيبه، فإن الله تعالي يجيبه، حتى الكفار إذا دعوا الله في حال الضرورة أجابهم الله، مع أنه يعلم أنهم سيرجعون إلى الكفر، إذا غشيهم موج كالظل في البحر دعوا الله مخلصين له الدين، فإذا نجاهم أشركوا، فينجيهم لأنهم صدقوا في الرجوع إلى الله عند دعائهم، وهو سبحانه يجيب المضطر ولو كان كافراً.

رابعًا: أن الإنسان يجوز أن يغرر بنفسه في مصلحة عامة للمسلمين، فإن هذا الغلام دل الملك على أمر يقتله به ويهلك به نفسه، وهو أن يأخذ سهمًا من كنانته ويضعه في كبد القوس ويقول: باسم الله رب الغلام.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**لأن هذا جهاد في سبيل الله، آمنت أمة وهو لم يفتقد شيئًا، لأنه مات وسيموت إن آجلاً أو عاجلاً**».

فأما ما يفعله بعض الناس من الانتحار، بحيث يحمل آلات متفجرة ويتقدم بها إليّ الكفار ثم يفجرها إذا كان بينهم، فإن هذا من قتل النفس والعياذ بالله.

ومن قتل نفسه فهو خالد مخلد في نار جهنم أبد الآبدين، كما جاء في الحديث عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. (١)

لأن هذا قتل نفسه لا في مصلحة الإسلام، لأنه إذا قتل نفسه وقتل عشرة أو مائة أو مائتين، لم ينتفع الإسلام بذلك، فلم يسلم الناس، بخلاف قصة الغلام، فإن فيها لإسلام كثير من الناس، فكل من حضر في الصعيد أسلموا، أما أن

---

(١) **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا**». **متفق عليه**.(خ١٣٦٣-م ١٠٩).

يموت عشرة أو عشرون أو مائة أو مائتان من العدو، فهذا لا يقتضي أن يسلم، بل ربما يتعنت العدو أكثر ويوغر صدره هذا العمل حتى يفتك بالمسلمين اشد فتك، كما يوجد من صنع اليهود مع أهل فلسطين، فإن أهل فلسطين إذا مات الواحد منهم بهذه المتفجرات وقتل ستة أو سبعة أخذوا من جراء ذلك ستين نفراً أو أكثر، فلم يحصل في ذلك نفع للمسلمين، ولا انتفاع للذين فجرت هذه المتفجرات في صفوفهم.

ولهذا ترى أن ما يفعله بعض الناس من هذا الانتحار، نرى أنه قتل للنفس بغير حق، وأنه موجب لدخول النار والعياذ بالله، وأن صحابه ليس بشهيد. لكن إذا فعل الإنسان هذا متأولاً ظانـًا أنه جائز، فإننا نرجو أن يسلم من الإثم، وأما أن تكتب له الشهادة فلا؛ لأنه لم يسلك طريقة الشهادة، لكنه يسلم من الإثم لأنه متأول، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر.

في خاتمة هذا الحديث العظيم الذي فيه العبرة لمن أعتبر، فيها أن الملك الكافر الذي يدعو الناس إلى عبادته، لما آمن الناس وقالوا آمنا بالله رب الغلام، جاءه أهل الشر وأهل الحقد على الإيمان وأهله، وقالوا له: أيها الملك إنه وقع ما كنت تحذر منه، وهو الإيمان بالله، وكان يحذر طاغيـًا ظالمـًا، فأمر بالأخدود على أفواه السكك فخدت، الأخدود يعني خفر عميق مثل السواقي

على أفواه السكك، يعني على أطراف الأزقة والشوارع، وقال لجنوده: من جاء ولم يرجع عن دينه فأقحموه فيها؛ لأنه اضرم فيها النيران_ والعياذ بالله- فكان الناس يأتون ولكنهم لا يرتدون عن دينهم وإيمانهم، فيقحموهم في النار، فكل من لم يرجع عن دينه الحقيقي - وهو الإيمان بالله - قذفوه في النار، ولكنهم إذا قذفوهم في النار واحترقوا بها فإنهم ينتقلون من دار الغرور والبوار إلي دار النعيم والاستقرار، لأن الملائكة تتوفاهم طيبين يقولون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [سورة النحل:٣٢].

ولا أعظم من هذا الصبر، أن يرى الإنسان النار تتأجج فيقحتم فيها خوفًا على إيمان وأصرَّ عليه، فجاءت امرأة ومعها صبي رضيع، فلما رأت النيران كأنها تقاعست أن تقتحتم النار هي وطفلها، فقال لها الطفل: يا أماه اصبري فإنك على الحق، يقوله وهو صغير لا يتكلم، لكن أنطقه الله الذي أنطق كل شيء، وهو كرامة لهذه الأم، أن الله أنطق ابنها من أجل أن تقوي على أن تقتحم النار وتبقي علي إيمانها، لأن تكلم هذا الصبي في المهد آية عظيمة، وقد شهد هذا الصبي بأن أمه على الحق، فصبرت واقتحمت النار، وهذا من آيات الله،

وهو دليل على أن الله: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [سورة الزمر:٦١].

ومريم بنت عمران رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا خرجت من أهلها وذهبت مكانا قصيا وهي حامل بابنها عيسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الذي خلقه الله تعالي بكلمة كن فكان ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ [سورة مريم:٢٣].

يعني الطلق، فوضعت تحت جذع النخلة، وجعل الله تحتها نهراً يمشي، فقيل لها: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ [سورة مريم:٢٥].

رطب يقع من فرع النخلة، جنياً لم يتأثر بسقوطه على الأرض، وهذا من آيات الله، لأن من المعروف أن الرطب لو سقطت من يد الإنسان- ولو كان واقفا فقط- تمزقت، لكن هذه الرطب لم تتمرق، مع أنها تسقط من فرع النخلة، ثم عن هذه المرأة امرأة ضعيفة ماخض، لم تلد إلا الآن، ومع ذلك تهز النخلة من جذعها فتهتز النخلة، فهذا أيضاً من آيات الله، لأن العادة أن النخلة لا تهتز من الجذع إلا إذا هزها أحد قوي من فرعها، فقيل لها: ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾ [سورة مريم:٢٦].

ثم أتت به قومها تحمله، هذا الطفل، فصاحوا بها: ﴿قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا﴾ [سورة مريم:٢٧].

يعني شيئًا عظيمًا، لأنهم أيقنوا بأنها زنت - والعياذ بالله- كيف يأتيها ولد من دون زوج؟ ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ [سورة مريم:٢٨].

يعني أن أبك ليس امرأ سوء، وكذلك أمك ليست بغيًا، ليست بزانية، فمن أين جاءك هذا؟ وهذا تعريض لها بالقذف، فأشارت إليه؟ يعني: اسألوه ﴿قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا﴾ [سورة مريم:٢٩].

فظنوا أنها تسخر بهم، فأنطق الله هذا الصبي: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ [سورة مريم:٣٠].

كلام صحيح ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [سورة مريم:٣٣].

عشر جُمل تكلم بها هذا الصبي الذي في المهدِ بأبلغِ ما يكون من الفصاحة فأنظر إلى قدرة الله عز وجل-، حيث ينطق هؤلاء الصبيان بكلام من أفصح

الكلام، بكلام يصدر من ذي عقل، كل ذلك دلالة على قدرة الله، وفيه أيضاً إنقاذ **لمريم** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من التهمة التي قد تلحقها بسبب هذا الحمل بدون زوج. وهكذا أيضاً هذا الطفل مع المرأة التي تقاعست أن تقتحم النار، أكرمها الله إنطاق هذا الطفل من أجل أن تقتحم النار وتبقي على إيمانها، وفي هذه القصص وأمثالها دليل على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى برحمته ينجي كل مؤمن في مفازته، وكل متق في مفازته، يعني في موطن يكون فيه هلاكه ولكن الله تعالي ينقذه لما سبق له من التقوى، وشاهد ذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**». (١) والله الموفق.اهـ من "شرح رياض الصالحين" (١/ ٢١٢).

---

(١) **رواه أحمد** في "مسنده" (٢٨٠٣)، **والطبراني** في "المعجم الكبير" (١١٥٦٠)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الجامع" (١/ ٥٦٩)، من حديث **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

من ظن أن يسلم من كلام الناس فهو مجنون فرضا الناس غاية لا تدرك

قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(من قدَرَ أنه يسلم من طعن الناس وعيبهم فهو مجنون)**.اهـ من "السير والأخلاق" (١/ ٤٥).

وقال أبو جعفر الهرويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **كنت مع حاتم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد أراد الحجّ، فلمّا وصل إلى بغداد، قال لي: يا أبا جعفر، أحبّ أن ألقى **أحمد ابن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فسألنا عن منزله، ومضينا إليه، فطرقت عليه الباب، فلمّا خرج قلت: يا أبا عبد اللّه، أخوك حاتم.

قال: فسلّم عليه، ورحّب به، وقال بعد بشاشة به: أخبرني يا حاتم، فيم التّخلّص من الناس؟

قال: يا أحمد، في ثلاث خصال.

قال: وما هي؟

قال: أن تعطيهم مالك ولا تأخذ من مالهم شيئًا، وتقضى حقوقهم ولا تستقضى أحداً منهم حقّا لك، وتحتمل مكروههم ولا تكره أحداً منهم على شيء.

قال: فأطرق أحمد ينكت بأصبعه على الأرض، ثم رفع رأسه، وقال: يا حاتم: إنّها لشديدة، فقال له حاتم: وليتك تسلم، وليتك تسلم، وليتك تسلم.اهـ من "تاريخ بغداد" (٨/ ٢٣٧).

وقال أبو نعيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في "حلية الأولياء" (٩/ ١٢٣)، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعُثْمَانِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ النَّيْسَابُورِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ الرَّبِيعَ بْنَ سُلَيْمَانَ، يَقُولُ **قَالَ الشَّافِعِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**يَا رَبِيعُ، رِضَى النَّاسِ غَايَةٌ لا تُدْرَكُ، فَعَلَيْكَ بِمَا يُصْلِحُكَ فَالْزَمْهُ. فَإِنَّهُ لا سَبِيلَ إِلَى رِضَاهُمْ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ جَلَّ فِي عُيونِ النَّاسِ، وَمَنْ تَعَلَّمَ الْحَدِيثَ قَوِيَتْ حُجَّتُهُ، وَمَنْ تَعَلَّمَ النَّحْوَ هِيبَ، وَمَنْ تَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ رَقَّ طَبْعُهُ، وَمَنْ تَعَلَّمَ الْحِسَابَ جَلَّ رَأْيُهُ، وَمَنْ تَعَلَّمَ الْفِقْهَ نَبُلَ قَدْرُهُ، وَمَنْ لَمْ يُضِرْ نَفْسَهُ لَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُهُ وَمِلَاكُ ذَلِكَ كُلِّهِ التَّقْوَى**». (١)

وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثم إني حين وضعت هذا المنهج لنفسي - وهو التمسك بالسنة الصحيحة -، وجريت عليه في هذا الكتاب وغيره - مما سوف ينتشر بين الناس إن شاء الله تعالى -؛ كنت على علم أنه سوف لا يُرْضِي ذلك

(١) وهذا الأثر صحيح.

كلَّ الطوائف والمذاهب، بل سوف يوجه بعضهم - أو كثير منهم - ألسنة الطعن، وأقلام اللوم إليَّ، ولا بأس من ذلك عليَّ؛ فإني أعلم أيضاً أن إرضاء الناس غاية لا تدرك، وأن: «**من أرضى الناس بسخط الله؛ وكَلَه الله إلى الناس**»؛ [١] كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولله دَرُّ من قال:

ولســـت بـنـاجٍ مـن مـقـالـةِ طـاعِـنٍ *** ولـو كـنـتُ في غـارٍ عـلـى جـبـلٍ وعـرِ
ومن ذا الذي ينجو من الناسِ ســالمـاً *** ولو غـابَ عنهم بين خـافِيَتَي نسـرِ [٢]

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: لو أن الإنسان سمع ما يقول الناس وما يعترضون به ما مشى خطوة، لكن أنت أصلح ما بينك وبين الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا

---

(١) **قال الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ:** حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ نَصْرٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ المُبَارَكِ، عَنْ عَبْدِ الوَهَّابِ بْنِ الوَرْدِ، عَنْ رَجُلٍ، مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أَنِ اكْتُبِي إِلَيَّ كِتَابًا تُوصِينِي فِيهِ، وَلَا تُكْثِرِي عَلَيَّ، فَكَتَبَتْ عَائِشَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ: سَلَامٌ عَلَيْكَ. أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنِ التَمَسَ رِضَاءَ اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ**». **رواه الترمذي** في "سننه" (٢٤١٤)، وحسنه **الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ** في "صحيح الترمذي" (٢٤١٤).

(٢) اهـ من "أصل صفة صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" (١/ ٢٢).

التمست رضا الله بسخط الله رضي الله عنك وأرضى عنك الناس وكفاك مؤونتهم.اهـ من "شرط اقتضاء الصراط المستقيم" (١٧٠).

وقال ابن الوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ليس يخلو المرء من ضد وإن *** حاول العزلة في رأس جبل [١]

وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وقلَّ من برز في الإمامة ورد على من خالفه إلا عودي، نعوذ بالله من الهوى**.اهـ [٢]

وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **فمن ذا الذي يسلم من ألسنة الناس؟!! لكن إذا ثبتت إمامة الرجل وفضله لم يضره ما قيل فيه، وإنما الكلام في العلماء يفتقر إلى وزنٍ بالعدل والورع**.اهـ [٣]

وفي أبيات جميلة لأبي العتاهية:

فيا رب إن الناس لا ينصفونني *** فكيف ولو أنصفتهم ظلموني
وإن كان لي شيء تصدوا لأخذه *** وإن شئت أبغي شيئهم منعوني
وإن نالهم بذلي فلا شكر عندهم *** وإن أنا لم أبذل لهم شتموني
وإن طرقتني نكبة فكهوا بها *** وإن صحبتني نعمة حسدوني

---

(١) اهـ من "لامية ابن الوردي" (١٠).

(٢) اهـ من "سير أعلام النبلاء" (٨/ ٢٣٧).

(٣) اهـ من "سير أعلام النبلاء" (٨/ ٤٤٨).

سـأمنـع قـلـبـي أن يـحـن إلـيـهـمـو *** وأحـجـب عـنـهـم نـاظـري وجـفـوني

وقال أبو تمام الطائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإذا أراد الله نشـر فضـيـلـةٍ *** طويت أتاح لها لسـان حسـودِ
لولا اشتعال النار في جزل الغضا *** مـا كـان يعرف طيـب ريح العودِ
لولا التخوف للعواقـب لـم يزل *** للحاسـد النعمى على المحسـودِ

وقال آخر:

لو لم تكن لي في العيون مهابة *** لـم يطعـن الأعـداء فيَّ ويقـدحوا

وقال آخر:

ولن تستبين الدهرَ موضعَ نعمَةٍ *** إذا أنْت لم تُدْلَلْ عليها بحَاسـدِ

وقد قيل: من عاش بين الناس فلا بد أن يُؤذى، ومن تعامل مع الخَلق فليُعِدّ قلبًا كبيرًا يغفر، وصدرًا واسعًا يحتمل، لكن هل يمكن للمرء أن يسلم من أذى الناس؟ الجواب: لا يمكن له أن يسلم البتة.

كما قيل:

ولسـت بـنـاج مـن مـقـالـة طـاعـن *** ولو كنت في غار على جبل وعر
ومن ذا الذي ينجو من الناس سـالما *** ولو غاب عنهم بين خافيتي نسر
وقـد عـلـمـت أنـنـي لا أسـلـم *** من جاهل معاند لا يعلم

استمر أيها الداعي إلى الله في دعوتك ولا تبالي بمن يؤذيك

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ۝٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ۝٤٨﴾ [سورة الأحزاب:٤٨].

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عَنْ عُرْوَةَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **أَنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ، عَلَى إِكَافٍ عَلَى قَطِيفَةٍ فَدَكِيَّةٍ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ وَرَاءَهُ، يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَسَارَ حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عَبْدُ اللهِ، وَفِي المَجْلِسِ أَخْلاَطٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَاليَهُودِ، وَفِي المَجْلِسِ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا غَشِيَتِ المَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ، خَمَّرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ، قَالَ: لاَ تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا، فَسَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَوَقَفَ، وَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ القُرْآنَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ: يَا أَيُّهَا المَرْءُ، إِنَّهُ لاَ أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ إِنْ كَانَ حَقًّا، فَلاَ تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا، وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ، فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، فَاغْشَنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، فَاسْتَبَّ المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ وَاليَهُودُ حَتَّى كَادُوا يَتَثَاوَرُونَ، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى سَكَتُوا، فَرَكِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ: «**أَيْ سَعْدُ، أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ؟**» - يُرِيدُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ - قَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ، فَلَقَدْ أَعْطَاكَ اللهُ مَا أَعْطَاكَ، وَلَقَدِ اجْتَمَعَ أَهْلُ هَذِهِ البَحْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُوهُ، فَلَمَّا رَدَّ ذَلِكَ بِالحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ شَرِقَ بِذَلِكَ، فَذَلِكَ الَّذِي فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ. **متفق عليه**.(خ٥٦٦٣-م١٧٩٨).

الشاهد من الحديث: قَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ، فَلَقَدْ أَعْطَاكَ اللهُ مَا أَعْطَاكَ، وَلَقَدِ اجْتَمَعَ أَهْلُ هَذِهِ البَحْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُوهُ، فَلَمَّا رَدَّ ذَلِكَ بِالحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ شَرِقَ بِذَلِكَ، فَذَلِكَ الَّذِي فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ.

ومعنى شرق بذلك:

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَمَعْنَاهُ حَسَدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان ذلك بسبب نفاقه)**.اهـ من "شرح مسلم" (١٢/ ١٥٩).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَي ضَاقَ صَدره حسدا كمن غص بِالْمَاءِ)**.اهـ من "فتح الباري" (١/ ١٣٨).

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد أمرنا الله باتباع ملة إبراهيم، فمن اتباع ملته، سلوك طريقه في الدعوة إلى الله، بطريق العلم والحكمة واللين والسهولة، والانتقال من مرتبة إلى مرتبة والصبر على ذلك، وعدم السآمة منه، والصبر على ما ينال الداعي من أذى الخلق بالقول والفعل، ومقابلة ذلك بالصفح والعفو، بل بالإحسان القولي والفعلي)**.اهـ من "تفسيره" (٤٩٤).

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "كتابه الأصول الثلاثة" (٢٤) **المسألة الرابعة: الصبر على الأذى فيه:**

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الصبر حبس النفس على طاعة الله، وحبسها عن معصية الله، وحبسها عن التسخط من أقدار الله فيحبس النفس عن التسخط والتضجر والملل، ويكون دائماً نشيطاً في الدعوة إلى دين الله وإن أوذى، لأن أذية الداعين إلى الخير من طبيعة البشر إلا من هدى الله قال الله تعالى: لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [سورة الأنعام:٣٤].

وكلما قويت الأذية قرب النصر، وليس النصر مختصاً بأن ينصر الإنسان في حياته ويرى أثر دعوته قد تحقق بل النصر يكون ولو بعد موته بأن يجعل الله في قلوب الخلق قبولاً لما دعا إليه وأخذاً به وتمسكاً به فإن هذا يعتبر نصراً لهذا الداعية وإن كان ميتاً، فعلى الداعية أن يكون صابراً على دعوته مستمراً فيها. صابراً على ما يعترضه هو من الأذى، وهاهم، وها هم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أوذوا بالقول وبالفعل، قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ [سورة الذاريات:٥٢].

وقال عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [سورة الفرقان:٣١].

ولكن على الداعية أن يقابل ذلك بالصبر وأنظر إلى قول الله عز وجل لرسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا﴾ [سورة الإنسان:٢٣].

كان من المنتظر أن يقال فاشكر نعمة ربك ولكنه عز وجل قال: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ [سورة الإنسان:٢٤].

وفي هذا إشارة أن كل من قام بهذا القرآن فلابد أن يناله ما يناله مما يحتاج إلى صبر، وأنظر إلى حال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حين ضربه قومه فأدموه وهو يمسح

الدم عن وجهه ويقول: «**اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**». [١] فعلى الداعية أن يكون صابراً محتسبـًا. اهـ من "شرح الأصول الثلاثة" (٢٤).

❊❊❊

(١) تقدم تخريجه.

كل من تمسك بالسنة حصل له الأذى

قال الشيخ الفوزان حفظه الله: ولزوم السنة ما هو بالأمر السهل. فيه ابتلاء وامتحان، هناك ناس. يعيرونك ويؤذونك ويتنقصونك، ويقولون: هذا متشدد متنطع إلى آخره، أو ربما أنهم لا يكتفون بالكلام، ربما أنهم يقتلونك. أو يضربونك، أو يسجنونك، ولكن اصبر، إذا كنت تريد النجاة، وأن تشرب من هذا الحوض، اصبر على التمسك بسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن تلقاه على الحوض.اهـ "شرح الدرة المضية في عقد أهل الفرق المرضية" (١٩٠).

***

أيها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا بد أن تؤذى

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فكل مَنْ قَامَ بِحَقٍّ أَوْ أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ فَلَا بُدَّ أَنْ يُؤْذَى فَمَا لَهُ دَوَاءٌ إِلَّا الصَّبْرُ فِي اللهِ، وَالِاسْتِعَانَةُ بِاللهِ وَالرُّجُوعُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ)**.اهـ من "تفسيره" (٢/ ١٥٩).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لأن الإنسان إذا نصب نفسه داعية للحق آمراً بالمعروف وناهيًا عن المنكر، فلابد أن يصيبه من الأذى ما يصيبه، لأن أكثر الذين يكرهون الحق سوف يكونون أعداء له فليصبر، وكذلك أقدار الله التي تأتي بدون هذا أيضًا يصبرون عليها)**.اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٢/ ٣٤٠).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والإنسان إذا كان معه دين، وكان معه أمرٌ بالمعروف ونهيٌ عن المنكر فلا بد أن يؤذى، ولكن عليه بالصبر، وإذا صبر؛ فالعاقبة للمتقين، وقد يُبتلى المرء على قدر دينه، فيسلط الله عليه من يؤذيه

امتحاناً واختباراً، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [سورة العنكبوت: ١٠].

يعني إذا أوذي في الله من جهة دينه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ودعوته للخير، جعل هذه الفتنة كالعذاب، فنكص على عقبيه والعياذ بالله.

وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [سورة الحج: ١١].

يعني أن بعض الناس يعبد الله على طرف، وليس عنده عبادة متمكنة، فإن أصابه خير ولم يأته فتنة ولا أذية استمر، مشى وأطمأن، وإن أصابته فتنة من شبهه أو أذية أو ما أشبه ذلك؛ انقلب ذلك؛ انقلب على وجهه- والعياذ بالله- خسر الدنيا والآخرة، فالواجب الصبر على الأذى في ذات الله عزّ وجلَّ. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٣/ ٦١٢).

***

معنى الأذى

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأذى: هو ما يتأذى به الإنسان من قول أو عمل أو غير ذلك، والأذى إما أن يكون في أمر ديني أو أمر دنيوي، فإذا كان في أمرٍ ديني بمعنى أن الرجل يؤذى من أجل دينه، كان في هذا الصبر على الأذى أسوة بالرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٣٤].

أوذوا حتى أتاهم نصر الله عزّ وجلّ. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٣/ ٦١٢).

***

إياك أيها المسلم أن تؤذي أو تعادي وليا من أولياء الله

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ». رواه البخاري في "صحيحه" (٦٥٠٢).

الشاهد من الحديث قوله: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ».

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: والمعاداة هي المباعدة، وهي ضد الموالاة، والولي بينه الله ـ عز وجل ـ في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾

[سورة يونس:٦٣].

هؤلاء هم أولياء الله، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي حققوا الإيمان في قلوبهم بكل ما يجب الإيمان به، ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ أي حققوا العمل الصالح بجوارحهم، فاتقوا جميع المحارم من ترك الوجبات، أو فعل المحرمات، فهم جمعوا بين صلاح الباطن بالإيمان، وصلاح الظاهر بالتقوى، هؤلاء هم أولياء الله، وليست ولاية الله سبحانه وتعالى تأتي بالدعوى، كما يفعله بعض الدجالين الذين يموهون على العامة بأنهم أولياء لله وهم أعداء والعياذ بالله، فتجد في بعض البلاد الإسلامية أناسًا يموهون للعامة؛ يقولون: نحن أولياء، ثم يفعل من العبادات الظاهرة ما يموه به على العامة وهو من أعداء الله، لكنه يتخذ من هذه الدعوة وسيلة إلى جمع المال، وإلى إكرام الناس له، وإلى تقربهم إليه وما أشبه ذلك.

عندنا ـ ولله الحمد ـ ضابط بينه الله عز وجل، وتعريف بين للأولياء ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ هؤلاء هم أولياء الله، فالذي يعادي

أولياء الله يقول الله ـ عز وجل: «**فقد آذنته بالحرب**». [١] يعني أعلنت عليه الحرب فالذي يعادي أولياء الله محارب لله ـ عز وجل ـ نسأل الله العافية، ومن حارب الله فهو مهزوم مخذول لا تقوم له قائمة.اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٢/ ٦٠).

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لَا تعادي أَوْلِيَاء الله فَإِنَّك تنام وهم مستيقظون فَرُبمَا دعوا عَلَيْك فاستجيب فِيك وَأَنت لَا تشعر احذر سِهَام الله حِين تنام، والمظلوم ساهر يَدْعُو عَلَيْك وَأَنت فِي غمض وَرب الْعَرْش نَاظر لَو بت فِي حضن سما فِي الجو لَا يعلوه طَائِر من حوله الْأَبْطَال فِي أَيْديهم الْبيض البواتر وَعَلَيْك أدرعة الْحَدِيد وحولك الْأسد الكواسر ودعا عَلَيْك مظلوم لم يلق غير الله نَاصِر لأصاب سهم دُعَائِهِ مِنْك الْفُؤَاد وَأَنت صاغر)**.اهـ من "التذكرة في الوعظ" (١٧٠).

❊❊❊

(١) تقدم تخريجه.

خطر أذية المسلمين

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [سورة الأحزاب:٥٨].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والأذية: هي أن تحاول أن تؤذي الشخص بما يتألم منه قلبيًا، أو بما يتألم منه بدنيًا؛ سواء كان ذلك بالسب، أو بالشتم، أو باختلاق الأشياء عليه، أو بمحاولة حسده، أو غير ذلك من الأشياء التي يتأذى بها المسلم.

وهذا كله حرام؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بين أن الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا، فقد احتملوا بهتانًا وإنما مبينًا.

وفهم من الآية الكريمة أنه إذا آذى المؤمنين بما اكتسبوا فإنه ليس عليه شيء مثل إقامة الحد على المجرم، وتغريم الظالم، وما أشبه ذلك، فهذا وإن كان فيه أذية، لكنها بكسبه، فقد قال الله تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) [النور: ٢].

ولا حرج من أن يؤذي الإنسان شخصاً بسبب كسبه هو وجنايته على نفسه، فإن ذلك لا يؤثر عليه شيئاً.

ثم أشار المؤلف إلى أحاديث تدل على التحذير من أذية المؤمنين، ومنها ما سبق من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الله قال: «**من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب**». (١) فالذي يعادي أحدا من أولياء الله؛ فإن الله تعالى يعلن عليه الحرب، ومن كان حربًا لله تعالى؛ فهو خاسر.

قال أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ: وأنواع الأذى كثيرة، منها أن يؤذي جاره، ومنها أن يؤذي صاحبه، ومنها أن يؤذي من كان معه في عمل من الأعمال ـ وإن لم يكن بينهم صداقة ـ بالمضايقة وما أشبه ذلك، وكل هذا حرام والواجب على المسلم الحذر منه. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٣/ ٢٧٤).

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ**». **رواه**

---

(١) تقدم تخريجه.

الترمذي في "سننه" (٢٠٣٢)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "صحيح الترمذي" (٢٠٣٢)، وهو في "الصحيح المسند" (١/ ٥٨١) **للإمام الوادعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَجِيبُوا الدَّاعِيَ، وَلَا تَرُدُّوا الْهَدِيَّةَ، وَلَا تَضْرِبُوا الْمُسْلِمِينَ**». **رواه أحمد** في "مسنده" (٣٨٣٨)، **والبخاري** في "الأدب المفرد" (١١٧)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "صحيح الأدب المفرد" (١١٧).

❊❊❊

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده

عَنْ أَبِي الْخَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: إِنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ». متفق عليه.(خ١٠-م٤٠).

وعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا الزُّبَيْرِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ جَابِراً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ». رواه مسلم في "صحيحه" (٤١).

وعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» متفق عليه.(خ١١-م٤٢).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: ويطلق الإسلام على السلامة، يعني أن يسلم الناس من شر الإنسان، فيقال: أسلم بمعنى دخل في السلم أي المسالمة للناس، بحيث لا يؤذي الناس، ومنه هذا الحديث: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده".

سلم المسلمون من لسانه فلا يسبهم، ولا يلعنهم، ولا يغتابهم، ولا ينم بينهم، ولا يسعى بينهم بأي نوع من أنواع الشر والفساد، فهو قد كفّ لسانه، وكف اللسان من أشد ما يكون على الإنسان، وهو من الأمور التي تصعب على المرء وربما يستسهل إطلاق لسانه.

ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ بن جبل: «**أفلا أخبرك بملاك ذلك كله**»؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسان نفسه، وقال: «**كفّ عليك هذا**» قلت: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به، يعني هل نؤاخذ بالكلام؟ فقال: «**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكبّ الناس في النار على وجوههم- أو قال على مناخرهم- إلا حصائد ألسنتهم**». (١)

فاللسان من أشد الجوارح خطراً على الإنسان، ولهذا إذا أصبح الإنسان فإن الجوارح: اليدين والرجلين والعينين، كل الجوارح تكفر اللسان، وكذلك أيضاً الفرج، لأن الفرج فيه شهوة النكاح، واللسان فيه شهوة الكلام، وقل من سلم من هاتين الشهوتين.

---

(١) **رواه الترمذي** في "سننه" (٢٦١٦)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (١/ ٧٧٢) من حديث **معاذ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالمسلم من سمل المسلمون من لسانه أي كف عنهم؛ لا يذكرهم إلا بخير، ولا يسب، ولا يغتاب، ولا ينم، ولا يحرش بين الناس، فهو رجلٌ مسالم، إذا سمع السوء حفظ لسانه، وليس كما يفعل بعض الناس- والعياذ بالله- إذا سمع السوء في أخيه المسلم طار به فرحًا، وطار به في البلاد نشراً- والعياذ بالله- فإن هذا ليس بمسلم.

الثاني: من سلم المسلمون من يده، فلا يعتدي عليهم بالضرب، أو الجرح، أو أخذ المال، أو ما أشبه ذلك، قد كف يده لا يأخذ إلا ما يستحقه شرعًا، ولا يعتدي على أحد، فإذا اجتمع للإنسان سلامة الناس من يده ومن لسانه، فهذا هو المسلم.

وعلم من هذا الحديث أن من لم يسلم الناس من لسانه أو يده، فليس بمسلم، فمن كان ليس لهم همٌ إلا القيل والقال في عباد الله، وأكل لحومهم وأعراضهم، فهذا ليس بمسلم، وذلك من كان ليس لهم همٌ إلا الاعتداء على الناس بالضرب، وأخذ المال، وغير ذلك مما يتعلق باليد، فإنه ليس بمسلم.

هكذا أخبر النبي عليه الصلاة والسلام، وليس إخبار النبي ﷺ لمجرد أن نعلم به فقط، بل لنعلم به ونعمل به، وإلا فما الفائدة من كلام لا يعمل به، إذا فاحرص إن كنت تريد الإسلام حقًا على أن يسلم الناس من

لسانك ويدك، حتى تكون مسلماً حقاً، أسال الله تعالى أن يكفنا ويكف عنا، ويعافنا ويعفو عنا، إنه جواد كريم.اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٢/ ٥١١).

❊❊❊

أذية الجار من أسباب دخول النار

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها، وصيامها، وصدقتها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: «**هي في النار**» قال: يا رسول الله، فإن فلانة يذكر من قلة صيامها، وصدقتها، وصلاتها، وإنها تصدق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذي جيرانها بلسانها، **قال**: «**هي في الجنة**». **رواه البخاري** في "الأدب المفرد" (١١٩)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (١/ ٣٦٩).

الشاهد من الحديث قوله: قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها، وصيامها، وصدقتها، غير أنها تُؤذي جيرانها بلسانها، قال: «**هي في النار**».

وقد أوصى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإحسان إلى الجار فقال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره**». **متفق عليه**. (خ٦٠١٨-م٤٧)، من حديث **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد حذر من أذيته: كما في حديث **أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٤٦).

وجاء في حديث أَبِي شُرَيْحٍ الْأَنْصَارِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يُؤْمِنُ وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللهِ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا بَوَائِقُهُ؟ قَالَ: «**شَرُّهُ**». رواه البخاري في "صحيحه" (١٤٣٧).

وعن الْمِقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «**مَا تَقُولُونَ فِي الزِّنَا؟**» قَالُوا: حَرَّمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «**لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرَةِ نِسْوَةٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ**»، قَالَ: فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي السَّرِقَةِ؟ قَالُوا: حَرَّمَهَا اللهُ وَرَسُولُهُ فَهِيَ حَرَامٌ، قَالَ: «**لَأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ أَبْيَاتٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِهِ**». **رواه أحمد** في "مسنده" (٢٣٨٥٤)، وهو في "الصحيح المسند" **للإمام الوادعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (٢/ ١٩٦).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ ندا وَهُوَ خلقك**». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**أَنْ تُزَانِيَ**

بِحَلِيلَةِ جَارِكَ». فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ تَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [سورة الفرقان:٦٨]. **متفق عليه**. (خ ٤٧٧-م٨٦).

الشاهد من الحديث قوله: «أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ».

أي: بزوجة جارك: **قال الصنعاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَوْلُهُ أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِك أَيْ بِزَوْجَتِهِ الَّتِي تَحِلُّ لَهُ وَعَبَّرَ بِتُزَانِيَ؛ لِأَنَّ مَعْنَاهُ تَزْنِي بِهَا بِرِضَاهَا. وَفِيهِ فَاحِشَةُ الزِّنَى وَإِفْسَادُ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا وَاسْتِمَالَةُ قَلْبِهَا إلَى غَيْرِهِ وَكُلُّ ذَلِكَ فَاحِشَةٌ عَظِيمَةٌ، وَكَوْنُهَا حَلِيلَةَ الْجَارِ أَعْظَمُ؛ لِأَنَّ الْجَارَ يَتَوَقَّعُ مِنْ جَارِهِ الذَّبَّ عَنْهُ وَعَنْ حَرِيمِهِ وَيَأْمَنُ بَوَائِقَهُ وَيَرْكَنُ إلَيْهِ وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِرِعَايَةِ حَقِّهِ وَالْإِحْسَانِ إلَيْهِ فَإِذَا قَابَلَ هَذَا بِالزِّنَى بِامْرَأَتِهِ وَإِفْسَادِهَا عَلَيْهِ مَعَ تَمَكُّنِهِ مِنْهَا عَلَى وَجْهٍ لَا يَتَمَكَّنُ مِنْهُ غَيْرُهُ كَانَ غَايَةً فِي الْقُبْحِ، وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَعْظَمَ الْمَعَاصِي الشِّرْكُ ثُمَّ الْقَتْلُ بِغَيْرِ حَقٍّ وَعَلَيْهِ نَصَّ الشَّافِعِيُّ ثُمَّ تَخْتَلِفُ الْكَبَائِرُ بِاخْتِلَافِ مَفَاسِدِهَا النَّاشِئَةِ عَنْهَا. اهـ من "سبل السلام" (٢/ ٦٣٤).

وقال العلامة الراجحي حفظه الله: **(هذا ذنب عظيم؛ لأن الإنسان مأمور بحسن جواره وكف الأذى عنه، فكونه يزني بامرأته هذا من أعظم الذنوب؛ لأنه من الخيانة للجار)**.اهـ من "شرح كتاب التوحيد" (١٧٠).

قلت: فإياك ثم إياك أن تؤذي جارك بقولك أو بفعلك أو بأولادك أو زوجتك، فكمن جار باع بيته بثمن بخس، وانتقل بسبب أذية جاره، فإياك أن تكون من هذا الصنف، وما أحسن ما قيل لرجل عندما لامه بعض الناس فأنشد هذه الأبيات وقال:

يلومونني أن بعت بالرُّخص منزلي ❊❊❊ ولم يعرفوا جاراً هناك ينغِّص

فقلت لهم كفُّوا الملام فإنّها ❊❊❊ بجيرانها تغلو الدِّيار وترخص [١]

❊❊❊

(١) اهـ من "بهجة المجالس" (١/ ٦١).

أذية الناس وظلمهم سبب للإفلاس يوم القيامة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ». رواه مسلم في "صحيحه" (٢٥٨١).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: أما في هذا الحديث فسيخبر الصحابة عن أمر لا يعلمونه، أو لا يعلمون مراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به، قال: أتدرون من المفلس؟، قالوا يا رسول الله، المفلس فينا من لا درهم عنده ولا متاع، يعين ليس عنده نقود ولا عنده متاع، أي: أعيان من المال، أي: أن المفلس يعني الفقير، وهذا هو المعروف من المفلس بين الناس، فإذا قالوا: من المفلس؟ يعني الذي ليس عنده نقود، ولا عنده متاع، بل هو فقير.

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة**»، وفي رواية: «**من يأتي بحسان مثل الجبال**». أي: يأتي بحسنات عظيمة، فهو عنده ثروة من الحسنات لكنه يأتي وقد شتم هذا، وضرب هذا، وأخذ مال هذا، وسفك دم هذا، أي اعتدى على الناس بأنواع الاعتداء، والناس يريدون أخذ حقهم، ما لا يأخذونه في الدنيا يأخذونه في الآخرة، فيقتص لهم منه؛ فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، وهذا من حسناته بالعدل والقصاص بالحق، فإن فنيت حسناته أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار، والعياذ بالله.

تنقضي حسناته، ثواب الصلاة ينتهي، وثواب الزكاة ينتهي، وثواب الصيام ينتهي، كل ما عنده من حسنات ينتهي، فيؤخذ من سيئاتهم ويطرح عليه، ثم يطرح في النار، العياذ بالله.

وصدق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن هذا هو المفلس حقًا، أما مفلس الدنيا فإن الدنيا تأتي وتذهب، ربما يكون الإنسان فقيراً فيمسي غنيًا، أو بالعكس، لكن الإفلاس كل الإفلاس أن يفلس الإنسان من حسناته التي تعب عليها، وكانت أمامه يوم القيامة يشاهدها، ثم تؤخذ منه لفلان وفلان.

وفي هذا تحذير من العدوان على الخلق، وأنه يجب على الإنسان أن يؤدي ما للناس في حياته قبل مماته، حتى يكون القصاص في الدنيا مما يستطيع، أما في الآخرة فليس هناك درهم ولا دينارٌ حتى يفدي نفسه، ليس فيه إلا الحسنات، يقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته أخذ من سيئاتهم ثم طرح عليه وطرح في النار**».

ولكن هذا الحديث لا يعني أنه يخلد في النار، بل يعذب بقدر ما حصل عليه من سيئات الغير التي طرحت عليه، ثم بعد ذلك مآله إلى الجنة؛ لأن المؤمن لا يخلد في النار، ولكن النار حرها شديد، لا يصبر الإنسان على النار ولو للحظة واحدة، هذا على نار الدنيا فضلاً عن نار الآخرة، أجار الله وإياكم منها.اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٢/ ٥٢٨).

***

إياكِ أيتها المرأة أن تؤذي زوجك

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا، إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الحُورِ العِينِ: لَا تُؤْذِيهِ، قَاتَلَكِ اللهُ، فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا**». **رواه الترمذي** في "سننه" (١١٧٤)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (١/ ٣٣٤).

قال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ دخيل: أي ضيف ونزيل: يعني هو كالضيف عليك، وأنت لست بأهل له حقيقة، وإنما نحن أهله، فيفارقك قريبا، ويلحق بنا، يوشك: أي يقرب، ويسرع، ويكاد، في الحديث - كما ترى - إنذار للزوجات المؤذيات). اهـ من "السلسلة الصحيحة" (١/ ٣٣٤).

❋❋❋

كن أيها المسلم ممن يرجى خيره ويؤمن شره

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ عَلَى نَاسٍ جُلُوسٍ، فَقَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ؟**» قَالَ: فَسَكَتُوا، فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَخْبِرْنَا بِخَيْرِنَا مِنْ شَرِّنَا، قَالَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ، وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ، وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ**» رواه أحمد في "مسنده" (٨٩٢٠)، والترمذي في "سننه" (٢٢٦٣) وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الترمذي" (٢٢٦٣).

قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: من شركم حال أي: أخبركم بخيركم مميزاً من شركم والمراد أخبركم بما يميز بين الفريقين قالوا: بلى قال: «**خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره**» أي: من يؤمل الناس الخير من جهته ويأمنون الشر من جهته «**وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره**» أي: وشركم من لا يؤمل الناس حصول الخير لهم من جهته ولا يأمنون من شره، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: التقسيم العقلي يقتضي أربعة أقسام ذكر قسمين ترغيباً وترهيباً وترك الآخرين إذ لا

ترغيب ولا ترهيب فيهما **قال الماوردي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يشير بهذا الحديث إلى أن عدل الإنسان مع أكفائه واجب وذلك يكون بثلاثة أشياء ترك الاستطالة ومجانبة الإذلال وكف الأذى لأن ترك الاستطالة آلف ومجانبة الإذلال أعطف وكف الأذى أنصف، وهذه أمور إن لم تخلص في الأكفاء أسرع فيهم تقاطع الأعداء ففسدوا وأفسدوا إلى هنا كلامه.اهـ من "فيض القدير" (٣/ ١٠٢).

❊❊❊

كن أيها المسلم مفتاحا للخير مغلاقا للشر

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ مِنْ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنْ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ، مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ». رواه أبو داود في "سننه" (٢٣٧)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٣/ ٣٢٠).

***

الغيبة من أعظم الأذية

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٢].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قلت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حسبك من صفية كذا وكذا، قال غير مسدد تعني قصيرة، فقال: «**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قالت: وحكيت له إنسانًا فقال: ما أحب أني حكيت إنسانًا وأن لي كذا وكذا**». **رواه أبو داود** في "سننه" (٤٨٧٥)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ "صحيح الترغيب والترهيب" (٣/ ٥٠).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**» قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته**». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٥٨٩).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحجرات:١٢].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولهذا قال في الثالثة: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾. ثم قال تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾؟ **الجواب**: لا؛ لا يحب، بل يكره، ولهذا قال: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [سورة الحجرات:١٢].

قال بعض المفسرين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: إذا كان يوم القيامة، فإنه يؤتي بالرجل الذي اغتابه الشخص، يمثل له بصورة إنسان ميت [(١)]، ثم يقال له: كل من لحمه، ويكره على ذلك، وهو يكرهه، لكن يكره على هذا عقوبة له، والعياذ بالله. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٢/ ١٢١).

سؤال: قد يقول قائل ما هي الحكمة من النهي عن الغيبة وما مناسبة ذلك؟

الجواب: قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإذا قال قائل: ما هي مناسبة الغيبة لهذا المثل؟ قلنا: لأن الذي تغتابه غائب لا يمكن أن يدافع عن نفسه،

---

(١) **تنبيه**: الله أعلم بهذا فهو من أمور الغيب التي تحتاج إلى دليل.

كالميت إذا قطعت لحمه لا يمكن أن يقوم ليدافع عن نفسه، ولهذا إذا ذكرت أخاك بما يكره في حال وجوده فإن ذلك لا يسمى غيبة فإن بل يسمى سبًا وشتمًا. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٦/ ١٠٩).

وأما من جانب النساء فما أكثر الغيبة في أوساطهن:

دليل ذلك: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها، وصيامها، وصدقتها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: «**هي في النار**» قال: يا رسول الله، فإن فلانة يذكر من قلة صيامها، وصدقتها، وصلاتها، وإنها تصدق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذي جيرانها بلسانها، **قال**: «**هي في الجنة**». **رواه البخاري** في "الأدب المفرد" (١١٩)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (١/ ٣٦٩).

قوله: "أثوار أقط"، الأثوار: جمع ثور: وهي القطعة من الأقط، والأقط - بفتح الهمزة وكسر القاف، وقد تسكن القاف للتخفيف مع فتح الهمزة وكسرها-: لبن جامد مستحجر.

الشاهد من الحديث قوله: قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها، وصيامها، وصدقتها، غير أنها تُؤذي جيرانها بلسانها، قال: «**هي في النار**».

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالت: قلت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حسبك من صفية كذا وكذا، قال غير مسدد تعني قصيرة، فقال: «**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قالت: وحكيت له إنسانًا فقال: ما أحب أني حكيت إنسانًا وأن لي كذا وكذا**». **رواه أبو داود** في "سننه" (٤٨٧٥)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ "صحيح الترغيب والترهيب" (٣/ ٥٠).

سؤال: هل الغيبة محرمة مطلقًا؟

الجواب: قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ:

القدح ليس بغيبة في ستة	***	متظلم ومعرف ومحذر
ومجاهر بالفسق ثمت سائل	***	ومن استعان على إزالة منكر

ونظمتها في قولي:

يباح اغتياب للفتى إن تجاهراً	***	بفسقٍ وللتعريف أو للتظلم

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أنَّ الغيبةَ وإن كانت محرّمة فإنها تُباح في أحوال للمصلحة.

والمُجوِّزُ لهَا غرض صحيح شرعي لا يمكن الوصولُ إليه إلا بها، وهو أحد ستة أسباب:

الأوّل: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلَّم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممّن له ولاية أو له قدرة على إنصافه من ظالمه، فيذكرُ أن فلانـًا ظلمني، وفعل بي كذا، وأخذ لي كذا، ونحو ذلك.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر وردّ العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعملُ كذا فازجرْه عنه، ونحو ذلك، ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حرامـًا.

الثالث: الاستفتاء، بأن يقولَ للمفتي: ظلمني، أبي أو أخي، أو فلان بكذا، فهل له ذلك، أم لا؟ وما طريقي في الخلاص منه وتحصيل حقّي ودفع الظلم عني؟ ونحو ذلك.

وكذلك قوله: زوجتي تفعلُ معي كذا، أو زوجي يفعلُ كذا، ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة، ولكن الأحوط أن يقول: ما تقولُ في رجل كان من أمره كذا، أو في زوج أو زوجة تفعلُ كذا، ونحو ذلك، فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين، ومع ذلك فالتعيين جائز، لحديث هند الذي سنذكره إن شاء الله

تعالى، وقولُها: «**يا رسول الله، إن أبا سفيانَ رجلٌ شحيح**». [١] الحديث، ولم ينهها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الرابع: تحذير المسلمين من الشرّ ونصيحتهم، وذلك من وجوه: **منها** جرح المجروحين من الرواة للحديث والشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين، بل واجب للحاجة.

ومنها: ما استشارك إنسان في مصاهرته، أو مشاركته، أو إيداعه، أو الإيداع عنده، أو معاملته بغير ذلك، وجب عليك أن تذكر له ما تعلمه منه على جهة النصيحة، فإن حصل الغرض بمجرّد قولك لا تصلحُ لك معاملتُه، أو مصاهرُته، أو لا تفعلْ هذا، أو نحو ذلك، لم تجز الزيادةُ بذكر المساوئ وإن لم يحصل الغرض إلا بالتصريح بعينه فاذكره بصريحه.

ومنها: إذا رأيتَ مَن يشتري عبداً يعرف بالسرقة أو الزنا أو الشرب أو غيرها، فعليك أن تبيّن ذلك للمشتري إن لم يكن عالمـًا به، ولا يختصّ بذلك، بل كل من علم بالسلعة المبيعة عيبـًا وجب عليه بيانه للمشتري إذا لم يعلمه.

ومنها: إذا رأيت متفقهـًا يتردَّدُ إلى مبتدعٍ أو فاسقٍ يأخذ عنه العلم خِفْتَ أن يتضرَّرَ المتفقّه بذلك، فعليك نصيحته ببيان حاله، ويُشترط أن يقصدَ

---

(١) **متفق عليه**.(خ٧١٨٠-م١٧١٤) من حديث **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

النصيحةَ، وهذا مما يُغلَطُ فيه، وقد يَحملُ المُتكلمَ بذلك الحسدُ، أو يُلَبِّسُ الشيطانُ عليه ذلك، ويُخيَّلُ إليه أنه نصيحةٌ وشفقةٌ، فليتفطَّنْ لذلك.

ومنها: أن لا يكون له، ولاية لا يقوم بها على وجهها، إما بأن لا يكون صالحًا لها، وإما بأن يكون فاسقًا أو مغفلاً ونحو ذلك، فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيلَه ويُولِّي من يَصلحُ أو يعلم ذلك منه لتعامله بمقتضى حاله، ولا يغترّ به، وأن يسعى في أن يحثَّه على الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس: أن يكون مُجاهراً بفسقه أو بدعته، كالمجاهر بشرب الخمر، أو مصادرة لناس، وأخذ المُكس، وجباية الأموال ظلمًا، وتولّي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يُجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب، إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفًا بلقب: كالأعمش، والأعرج، والأصمّ، والأعمى، والأحول، والأفطس، وغيرهم، جاز تعريفه بذلك بنيّة التعريف، ويحرمُ إطلاقُه على جهة التنقص ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى.

فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء مما تُباح بها الغيبة على ما ذكرناه.

ودلائلُها ظاهرة من الأحاديث الصحيحة المشهورة، وأكثرُ هذه الأسباب مجمع على جواز الغيبة بها، وروينا في "صحيحي البخاري ومسلم [(١)] **عن عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رجلاً استأذنَ على النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**ائْذَنُوا لَهُ بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ**». احتجّ به البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ على جواز غيبة أهل الفساد وأهل الرِّيَبِ.

وروينا في "صحيحي البخاري ومسلم" **عن ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قسمَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قسمةً، فقال رجلٌ من الأنصار: والله ما أرادَ محمدٌ بهذا وجهَ الله تعالى، فأتيتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبرتُه، فتغيَّرَ وجهُه وقال: «**رَحِمَ اللهُ مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**»، [(٢)] وفي بعض رواياته: «**قال ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **فقلتُ لا أرفعُ إليه بعد هذا حديثًا**».

قلتُ: احتجّ به البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في إخبار الرجل أخاه بما يُقال فيه.

---

(١) **متفق عليه**.(خ٦٠٣٢-م٢٥٩١) من حديث **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) **متفق عليه**.(خ٣١٥٠-م١٠٦٢) من حديث **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

روينا في "صحيح البخاري" [١] **عن عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَظُنُّ فُلانًا وَفُلانًا يَعْرِفانِ مِنْ دِينِنا شَيْئًا**» قال الليث بن سعد أحد الرواة: كانا رجلين من المنافقين.

وروينا في "صحيحي البخاري ومسلم" [٢] **عن زيد بن أرقمَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفر، فأصابَ الناسَ فيه شدةٌ، فقال عبدُ الله بن أُبيّ: لا تُنفقوا على مَن عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يَنْفَضُّوا من حوله، وقال: لئن رجعنَا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فأتيتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبرتُه بذلك، فأرسلَ إلى عبد الله بن أُبيّ، وذكر الحديث، وأنزل الله تعالى تصديقه: قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [سورة المنافقون:١].

وفي الصحيح [٣] حديث **هند امرأة أبي سفيان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقولها للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إن أبا سفيان رجل شحيح..." إلى آخره.

---

(١) **رواه البخاري** في "صحيحه" (٦٠٦٧).

(٢) **متفق عليه**. (خ ٤٩٠٠-م٢٧٧٢).

(٣) **تقدم تخريجه**.

وحديث فاطمة بنت قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقول النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها: «**أما معاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ، وأمَّا أبُو جَهْمٍ فَلا يَضَع العَصَا عَنْ عاتِقِهِ**». [1] اهـ من "الأذكار" (١/ ٣٤٠).

تنبيه: ما هي الكيفية الصحيحة للتحلُّل من الغيبة؟

الجواب: هذا فيه تفصيل على حالتين:

الحالة الأولى: إن كان هذا الشخص قد علم أنك اغتبته فيجب عليك أن تتحلل منه بطلب العفو أو المسامحة: بدليل حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار، ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**». **رواه البخاري** في "صحيحه" (٢٤٤٩).

الشاهد من الحديث قوله: فليتحلله منه اليوم، أي: فليطب منه المسامحة والعفو، وهو مازال حيـًا لأنه إذا لم يتحلل منه اليوم ومات، فإن هذا الذي اغتبته سيأخذ من حسناتك **بدليل قوله:** قبل أن لا يكون دينار، ولا درهم إن

---

(١) **رواه مسلم** في "صحيحه" (م١٤٨٠) من حديث **فاطمة بنت قيس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه، فعلينا جميعًا أن نبادر ونسارع إلى كل من اغتبناه ونطلب منه التحلل والمسامحة.

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا جلوسًا عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقام رجل، فوقع فيه رجل من بعده، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تخلّل**»، قال: وما أتخلّل يا رسول الله، أكلت لحمَ؟ قال: «**إنك أكلت لحم أخيك**». **رواه الطبراني** في "الكبير" (١٠٠٩٢)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الترغيب والترهيب" (٢٨٣٧).

الشاهد من الحديث قوله: «**تخلّل**» قال: وما أتخلّل يا رسول الله، أكلت لُحمًا؟ قال: «**إنك أكلت لحم أخيك**».

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: **حُكيَ قَالَ بَعضهم:** رَأَيْت رجلاً مَقْطُوع الْيَد من الْكَتف وَهُوَ يُنَادي من رَآنِي فَلَا يظلمن أحداً فتقدمت إِلَيْهِ، فَقلت لَهُ: يَا أخي مَا قصتك، قَالَ: يَا أخي قصَّة عَجِيبَة وَذَلِكَ أَنِّي كنت من أعوان الظلمَة فَرَأَيْت يَوْمًا صياداً وَقد اصطاد سَمَكَة كَبِيرَة فأعجبتني، فَجئْت إِلَيْهِ فَقلت: أَعْطِنِي هَذِه السَّمَكَة، فَقَالَ: لَا أعطيكها أَنا آخذ بِثمنِهَا قوتًا لِعِيَالِي فضربته وأخذتها مِنْهُ قهراً ومضيت بهَا، قَالَ فَبينا أَنا أَمْشِي بهَا حاملها إِذْ عضت على إبهامي عضة

قَوِيَّة فَلَمَّا جِئْت بهَا إِلَى بَيْتِي وألقيتها من يَدي ضربت على إبهامي وآلمتني ألماً شَدِيداً حَتَّى لم أنم من شدَّة الْوَجْع والألم وورمت يَدي، فَلَمَّا أَصبَحت أتيت الطَّبِيب وشكوت إِلَيْهِ الْأَلَم، فَقَالَ: هَذِه بَدْء الآكلة أقطعها وَإِلَّا تقطع يدك فَقطعت إبهامي ثمَّ ضربت على يَدي فَلم أطق النوم وَلَا الْقَرار من شدَّة الْأَلَم فَقيل لي: إقطع كفك فقطعته وانتشر الْأَلَم إِلَى الساعد وآلمني ألماً شَدِيداً وَلم أطق الْقَرار وَجعلت أستغيث من شدَّة الْأَلَم فَقيل لي: اقطعها إِلَى الْمرْفق فقطعتها فانتشر الْأَلَم إِلَى الْعَضُد وَضربت على عضدي أَشد من الْأَلَم الأول فَقيل: اقْطَعْ يدك من كتفك وَإِلَّا سرى إِلَى جسدك كُله فقطعتها فَقَالَ لي بعض النَّاس: مَا سَبَب ألمك فَذكرت قصَّة السَّمَكَة فَقَالَ لي: لَو كنت رجعت فِي أول مَا أَصَابَك الْأَلَم إِلَى صَاحب السَّمَكَة واستحللت مِنْهُ وأرضيته لما قطعت من أعضائك عضواً فَاذْهَبْ الْآن إِلَيْهِ واطلب رِضَاهُ قبل أَن يصل الْأَلَم إِلَى بدنك، قَالَ: فَلم أزل أطلبه فِي الْبَلَد حَتَّى وجدته فَوَقَعت على رجلَيْهِ أقبلها وأبكي وَقلت لَهُ: يَا سَيِّدي سَأَلتك بِالله إِلَّا عَفَوْت عني، فَقَالَ لي: وَمن أَنْت، قلت: أَنا الَّذِي أخذت مِنْك السَّمَكَة غصباً وَذكرت مَا جرى وأريته يَدي فَبكى حِين رَآهَا ثمَّ قَالَ: يَا أخي قد أحللتك مِنْهَا لما قد رَأَيْته بك من هَذَا الْبلَاء، فَقلت: يَا سَيِّدي بِالله هَل كنت قد دَعَوْت عَليّ لما أَخذتهَا، قَالَ: نعم ،قلت: اللَّهُمَّ إِن هَذَا

تقوى عَليّ بقوته على ضعْفي على مَا رزقتني ظلماً فأرني قدرتك فِيهِ فَقلت: يَا سَيِّدي قد أَرَاك الله قدرته فِي وَأَنا تائب إِلَى الله عز وَجل عَمَّا كنت عَلَيْهِ من خدمَة الظلمَة وَلَا عدت أَقف لَهُم على بَاب، وَلَا أكون من أعوانهم مَا دمت حَيا إِن شَاءَ الله، وَبِاللهِ التَّوْفِيق. اهـ من "الكبائر" (١١٣).

الشاهد من القصة: **(فَقَالَ لي بعض النَّاس مَا سَبَب ألمك فَذكرت قصَّة السَّمَكَة فَقَالَ لي لَو كنت رجعت فِي أول مَا أَصَابَك الْأَلَم إِلَى صَاحب السَّمَكَة واستحللت مِنْهُ وأرضيته لما قطعت من أعضائك عضواً فَاذْهَبْ الْآن إِلَيْهِ واطلب رِضَاهُ قبل أَن يصل الْأَلَم إِلَى بدنك).**

الحالة الثانية: وإذا لم يعلم أنك قد اغتبته فعليك أن تستغفر له، وتدعو له، وتذّكرهُ بالخير في الأماكن التي اغتبته فيها وتكثر من ذلك.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فأما إذا اغتابه أو قذفه ولم يعلم بذلك فقد قيل: من شرط توبته إعلامه وقيل: لا يشترط ذلك، وهذا قول الأكثرين، وهما روايتان عن أحمد لكن قوله مثل هذا أ يفعل منع المظلوم حسنات كالدعاء، والاستغفار، وعمل صالح يهدي يقوم مقام اغتيابه، وقذفه).

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته). اهـ من "مجموع الفتاوى" (١٨/ ١٨٩).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يُذكر عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته، تقول: «**اللهم اغفر لنا وله**». [١] **ذكره البيهقي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب الدعوات الكبير، وقال: في سنده ضعف.

وهذه المسألة فيها قولان للعلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ **هما روايتان عن الإمام أحمد، وهما**: هل يكتفي في التوبة من الغيبة الاستغفار للمغتاب، أم لا بد من إعلامه وتحلّله؟ والصحيح أنه لا يحتاج إلى علمه، بل يكفيه الاستغفار له، وذكّره بمحاسن ما فيه في المواطن التي اغتابه فيها.

وهذا اختيار **شيخ الإسلام بن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، [٢] وغيره [٣] والذين قالوا: لا بد من إعلمه، جعلوا الغيبة كالحقوق المالية، والفرق بينما ظاهر، فإن في الحقوق المالية ينتفع المظلوم بعود نظير مظلمته إليه، فإن شاء أخذها، وإن شاء تصدق بها، وأما في الغيبة، فلا يمكن ذلك، ولا يحصل له بإعلمه إلا عكس

---

(١) **وقد ذكره الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الضعيفة" (٤/ ٢٨)، وقال إسناده ضعيف مظلم.

(٢) كما في "مجموع الفتاوى" (٣/ ٢٩١) و (١٨/ ١٨٩)، "الصارم المسلول" (٣/ ٦١٦- ٩١٧- ٩١٨).

(٣) كما في "فتاوى ابن الصلاح" (١/ ١٩٠- ١٩٢)، "تفسير القرطبي" (١٦/ ٣٣٧) "سبل السلام" (٤/ ٢٠٣)، "غذاء الألباب" (١/ ١١٤، ٢/ ٥٧٦- ٥٧٧).

مقصود الشارع، فإنه يوغر صدره ويؤذيه إذا سمع ما رمي به، ولعله ينتج عداوته، ولا يصف له أبداً، وما كان هذا سبيله فإن الشارع الحكيم لا يبحه ولا يجوزه، فضلاً عن أن يوجبه ويأمر به ومدار الشريعة على تعطيل المفاسد وتقليلها لا على تحصيلها وتكمليها والله تعالى أعلم. اهـ من "الوابل الصيب" (١٤٢).

تنبيه: ما صحة قول القائل: لا غيبة لفاسق؟

الجواب: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَسْأَلَةٌ: قَوْلُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا غِيبَةَ لِفَاسِقٍ**»، وَمَا حَدُّ الْفِسْقِ؟ وَرَجُلٌ شَاجَرَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا شَارِبُ خَمْرٍ، أَوْ جَلِيسٌ فِي الشُّرْبِ أَوْ آكِلُ حَرَامٍ، أَوْ حَاضِرُ الرَّقْصِ أَوْ السَّمَاعِ لِلدُّفِّ أَوْ الشَّبَّابَةِ، فَهَلْ عَلَى مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ إثْمٌ؟

الْجَوَابُ: أَمَّا الْحَدِيثُ فَلَيْسَ هُوَ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكِنَّهُ مَأْثُورٌ عَنْ **الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّهُ قَالَ أَتَرْغَبُونَ عَنْ ذِكْرِ الْفَاجِرِ؟ اُذْكُرُوهُ بِمَا فِيهِ يَحْذَرُهُ النَّاسُ. وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «**مَنْ أَلْقَى جِلْبَابَ الْحَيَاءِ فَلَا غِيبَةَ لَهُ**»، [(١)] وَهَذَانِ النَّوْعَانِ يَجُوزُ فِيهِمَا الْغِيبَةُ بِلَا نِزَاعٍ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، **أَحَدُهُمَا:** أَنْ

(١) **هذا الحديث ضعيف جداً**، وقد ضعفه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الضعيفة" (٢/ ٥٢).

يَكُونَ الرَّجُلُ مُظْهِرًا لِلْفُجُورِ مِثْلَ: الظُّلْمِ، وَالْفَوَاحِشِ، وَالْبِدَعِ الْمُخَالِفَةِ السُّنَّةَ، فَإِذَا أَظْهَرَ الْمُنْكَرَ وَجَبَ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِ بِحَسَبِ الْقُدْرَةِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**» . رَوَاهُ مُسْلِمٌ في "صحيحه" (٤٩).

وَفِي الْمُسْنَدِ [(١)] وَالسُّنَنِ [(٢)] (٣٠٥٧): **عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَتَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [سورة المائدة:١٠٥]. وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ وَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمْ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ، فَمَنْ أَظْهَرَ الْمُنْكَرَ وَجَبَ عَلَيْهِ الْإِنْكَارُ، وَأَنْ يُهْجَرَ وَيُذَمَّ عَلَى ذَلِكَ**». اهـ من "مجموع الفتاوى" (١٨/ ٢١٩).

---

(١) **رواه أحمد** في "مسنده" (١٦)، وإسناده صحيح.

(٢) **رواه أبو داود** في "سننه" (٤٣٣٨)، **والترمذي** في "سننه" (٢١٦٨)، **وابن ماجه** في "سننه" (٤٠٠٥)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٤/ ٨٨).

تنبيه: ما هي الطريقة الصحيحة للتخلُّصِ من الغيبة؟

الجواب: قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا حَرْمَلَةُ: سَمِعْتُ ابْنَ وَهْبٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُوْلُ: **نَذَرتُ أَنِّي كُلَّمَا اغْتَبْتُ إِنْسَانًا أَنْ أَصُوْمَ يَوْمًا فَأَجْهَدَنِي فَكُنْتُ أَغْتَابُ وَأَصُوْمُ، فَنَوَيْتُ أَنِّي كُلَمَّا اغْتَبتُ إِنْسَانًا أَنْ أَتَصَدَّقَ بِدِرْهَمٍ فَمِنْ حُبِّ الدَّرَاهِمِ تَرَكتُ الغِيْبَةَ.**

قُلْتُ: هَكَذَا وَاللهِ كَانَ العُلَمَاءُ، وَهَذَا هُوَ ثَمَرَةُ العِلْمِ النَّافِعِ. اهـ من "سير أعلام" (٨/ ١٥).

وَقَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **سَمِعْتُ أَبَا عَاصِمٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُوْلُ: **(مُنْذُ عَقَلْتُ أَنَّ الغِيْبَةَ حَرَامٌ مَا اغْتَبتُ أَحَداً قَطُّ)**. اهـ من "سير أعلام النبلاء" (٨/ ١٠٤).

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وروينا عن ابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: **(لو كنتُ مُغتاباً أحداً لاغتبتُ والديّ لأنهما أحقُّ بحسناتي)**. اهـ من "الأذكار" (١/ ٣٤٠).

***

النميمة من أعظم الأذية

وهي نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد بينهم هذا بيانها وأما أحكامها فهي حرام بإجماع المسلمين، وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١﴾ [سورة القلم:١٠-١١].

وفي الصحيحين: (خ ٦٠٥٦- م١٠٥)، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يدخل الجنة نمام**».

وفي الحديث: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مر بقبرين قال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أنه كبير أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**». ثم أخذ جريدة رطبة فشقها اثنتين وغرز في كل قبر واحدة ،وقال: «**لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا**». متفق عليه. (خ٢١٨- م٢٩٢).

وقوله: «**وما يعذبان في كبير**» أي: ليس بكبير تركه عليهما، أو ليس بكبير في زعمهما، ولهذا قال في رواية أخرى: «**بلى إنه كبير**».

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه، ومن كان ذا لسانين في الدنيا فإن الله يجعل له لسانين من نار يوم القيامة**». متفق عليه. (خ٦٠٥٨- م٢٥٢٦).

ومعنى: «**من كان ذا لسانين**» أي: يتكلم مع هؤلاء بكلام وهؤلاء بكلام، وهو بمعنى صاحب الوجهين.

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يدخل الجنة قتات**». **متفق عليه**. (خ٦٠٥٦-م١٠٥).

وفي رواية لمسلم: (١٠٥): «**نمام**»، وفي رواية: «**قساس**».

قلت: ومعنى: «**قتات**» و«**قساس**» أي: **نمام**.

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم**». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٨١٢).

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئًا، قال ثم يجيء**

أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت». قال الأعمش: (أراه قال: «**فيلتزمه**»). **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٨١٣).

وعن عبد الرحمن بن غنم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبلغ به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**خيار عباد الله الذين إذا رُؤُوا، ذكر الله، وشرار عباد الله المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون البرآء العنت**». **رواه أحمد** في "مسنده" (١٧٩٩٨).

وله شاهد من حديث أسماء بنت يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ألا أخبركم بخياركم**» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «**الذين إذا رؤوا، ذكر الله تعالى**»، ثم قال: «**ألا أخبركم بشراركم؟ المشاءون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبرآء العنت**». **رواه أحمد** في "مسنده" (٢٧٥٩٨)، **فهو حديث حسن بشواهده**.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**ليس منّا من خبب امرأة على زوجها أو عبدا على سيده**). **رواه أبو داود** في "سننه" (٢١٧٥)، وهو في "صحيح الترغيب والترهيب" (٢٣٩٢/ ٤٤٩٣).

قوله: ليس منا: قال العلامة العباد حفظه الله: يدل على تحريمه، وأنه من الأمور المحرمة، وأن من يفعل ذلك فقد عرض نفسه لأن يكون من أهل هذا الوصف، لكن لا يعني ذلك أنه ليس من المسلمين، بل هو مسلم، ولكنه ليس

على المنهج الصحيح وعلى الطريق الصحيح، بل هو عاصٍ ومخالف. اهـ من "شرح سنن أبي داود" (٣/ ٢٥٠).

قال العلامة العباد حفظه الله: والتخبيب هو إفساد المرأة على زوجها، بأن يسعى إلى أن يفسد ما في قلبها حتى يكون الفراق، ولهذا قدمه في أول الطلاق؛ لأن من أسباب الطلاق تخبيب المرأة على زوجها حتى تتمرد عليه وتسعى إلى التخلص منه بسبب هذا الإفساد. اهـ من "شرح سنن أبي داود" (٣/ ٢٥٠).

وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حكاية: (روي أن رجلاً رأى غلامًا يباع وهو ينادي عليه ليس به عيب إلا أنه نمام فقط فاستخف بالعيب، واشتراه، فمكث عنده أيامًا ثم قال لزوجة سيده: إن سيدي يريد أن يتزوج عليك أو يتسرى وقال: أنه لا يحبك فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه، فإذا نام فخذي الموسى واحلقي شعرات من تحت لحيته، واتركي الشعرات معك فقالت في نفسها: نعم واشتغل قلب المرأة وعزمت على ذلك إذا نام زوجها ثم جاء إلى زوجها وقال: سيدي إن سيدتي زوجتك قد اتخذت لها صديقًا، ومحبًا غيرك، ومالت إليه وتريد أن تخلص منك وقد عزمت على ذبحك الليلة، وإن لم تصدقني فتناوم لها الليلة وانظر كيف تجيء إليك وفي يدها شيء تريد أن تذبحك به، وصدقه سيده، فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسى لتحلق

الشعرات من تحت لحيته والرجل يتناوم لها فقال في نفسه: والله صدق الغلام بما قال فلما وضعت المرأة الموسى وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموسى منها وذبحها به، فجاء أهلها فرأوها مقتولة، فقتلوه فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد المشئوم، فلذلك سمى الله النمام فاسقًا في قوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [سورة الحجرات:٦]). اهـ من "كتاب الكبائر" (١٤٦).

وقال يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(يفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة، والنميمة من أنواع السحر، لأنها تشارك السحر في التفريق بين الناس وتغيير قلوب المتحابين وتلقيح الشرور)**. اهـ من "فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب" (٩/ ٥٠٣).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ [سورة القلم:١١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني: الَّذِي يَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ، وَيُحَرِّشُ بَيْنَهُمْ وَيَنْقُلُ الْحَدِيثَ لِفَسَادِ ذَاتِ الْبَيْنِ وَهِيَ الْحَالِقَةُ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ مُجَاهِدٍ، عَنْ طَاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ**

مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ». الْحَدِيثَ. وَأَخْرَجَهُ بَقِيَّةُ الْجَمَاعَةِ فِي كُتُبِهِمْ، مِنْ طُرُقٍ عَنْ مُجَاهِدٍ، بِهِ. اهـ من تفسيره (٨/ ١٩١). "صحيح البخاري" برقم (٢١٨)، "صحيح مسلم" برقم (٢٩٢)، "سنن أبي داود" برقم (٢٠)، "سنن الترمذي" برقم (٧٠)، "سنن النسائي" (١/ ٢٨)، "سنن ابن ماجة" برقم (٣٤٧).

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**من نم لك نم عليك**». اهـ من "سير أعلام النبلاء" (٨/ ٢٨٠).

ما ينبغي لمن حُمِلت إليه النميمة:

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وكل من حملت إليه نميمة، وقيل له: فلان يقول فيك، أو يفعل فيك كذا فعليه ستة أمور:**

الأول: أن لا يصدّق، لأن النمام فاسق.

الثاني: أن ينهاه عن ذلك، وينصحه، ويقبح له فعله.

الثالث: أن يبغضه في الله تعالى؛ فإنه بغيض عند الله تعالى ويجب بغض من أبغضه الله تعالى.

الرابع: أن لا يظُن بأخيه الغائب السوء.

الخامس: أن لا يحمله ما حكي له على التجسس، والبحث عن ذلك.

السادس: أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه، فلا يحكي نميمته عنه فيقول: فلان حكى كذا، فيصير به نماماً، ويكون آتيا ما نهى عنه). اهـ من "فضل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب" (٩/ ٥٠٣).

***

من أعظم الأذية التفريق بين الزوج وزوجته

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس منا من خبب امرأة على زوجها، أو عبدا على سيده**». **رواه أبو داود** في "سننه" (١٢٧٥)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ٦٤٣).

الشاهد من الحديث قوله: ليس منا أي: ليس على طريقتنا وهدينا من فعل هذ الشيء **وقوله:** من خبب أي: من فرق بين الرجل وامرأته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، وَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ نَهَى أَنْ يَخْطُبَ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ، وَأَنْ يَسْتَامَ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَسْعَى فِي التَّفْرِيقِ بَيْنَ رَجُلٍ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ وَأَمَتِهِ حَتَّى يَتَّصِلَ بِهِمَا؟ وَعُشَّاقُ الصُّوَرِ وَمُسَاعِدُوهُمْ مِنَ الدَّيَايِثَةِ لَا يَرَوْنَ ذَلِكَ ذَنْبًا، فَإِنْ طَلَبَ الْعَاشِقُ وَصْلَ مَعْشُوقِهِ وَمُشَارَكَةَ الزَّوْجِ وَالسَّيِّدِ، فَفِي ذَلِكَ مِنْ إِثْمِ ظُلْمِ الْغَيْرِ مَا لَعَلَّهُ لَا يَقْصُرُ عَنْ إِثْمِ الْفَاحِشَةِ، وَإِنْ لَمْ يُرِبَّ عَلَيْهَا، وَلَا يَسْقُطُ حَقُّ الْغَيْرِ بِالتَّوْبَةِ مِنَ الْفَاحِشَةِ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ وَإِنْ أَسْقَطَتْ حَقَّ اللهِ فَحَقُّ الْعَبْدِ بَاقٍ لَهُ الْمُطَالَبَةُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّ مِنْ ظُلْمِ الْوَالِدِ إِفْسَادَ وَلَدِهِ وَفِلْذَةِ كَبِدِهِ، وَمَنْ هُوَ أَعَزُّ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ، فَظُلْمُ

الزَّوْجِ بِإِفْسَادِ حَبِيبَتِهِ وَالْجِنَايَةِ عَلَى فِرَاشِهِ - أَعْظَمُ مِنْ ظُلْمِهِ بِأَخْذِ مَالِهِ كُلِّهِ، وَلِهَذَا يُؤْذِيهِ ذَلِكَ أَعْظَمَ مِمَّا يُؤْذِيهِ أَخْذُ مَالِهِ، وَلَا يَعْدِلُ ذَلِكَ عِنْدَهُ إِلَّا سَفْكُ دَمِهِ. اهـ من "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي" (٢١٦).

وقال عثمان بن عطاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كان أبو مسلم الخولاني إذا دخل منزله سلم، وإذا بلغ وسط الدار كبر، وكبرت امرأته فإذا بلغ البيت كبر وكبرت امرأته، قال: فيدخل فينزع رداءه وحذاءه وتأتيه بطعام فيأكل، فجاء ذات ليلة فكبر فلم تجبه، ثم أتى البيت فكبر وسلم وكبر فلم تجبه وإذا البيت ليس فيه سراج، وإذا هي جالسة بيدها عود في الأرض تنكت به فقال لها: ما لك؟ قالت: الناس بخير وأنت أبو مسلم لو أنك أتيت معاوية فيأمر لنا بخادم ويعطيك شيئًا نعيش به. فقال: اللهم من أفسد عليّ أهلي فأعم بصره، قال: وكانت أتتها امرأة فقالت: أنت امرأة أبي مسلم فلو كلمت زوجك يكلم معاوية ليخدمكم ويعطيكم، قال: فبينا هذه المرأة في منزلها والسراج يزهر إذ أنكرت بصرها فقالت: سراجكم طفئ؟ قالوا: لا قالت: إنا لله ذهب بصري، فأقبلت كما هي إلى أبي مسلم فلم تزل تناشده الله، وتطلب إليه قال: فدعا الله فرد عليها بصرها ورجعت امرأته إلى حالها التي كانت عليها). رواه ابن الدنيا في "مجابو الدعوة"

(١٢٢)، وفي سندها عثمان بن عطاء بن أبي مسلم، وهو ضعيف، وعبد الرحمن بن واقد البغدادي يحدث بالمناكير عن الثقات، ويسرق الحديث.

❊❊❊

سوء الظن من أعظم الأذية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [سورة الحجرات: ١٢].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ**». **متفق عليه**.(خ٥١٤٣-م٢٥٦٣).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا مطابق لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ لكن في هذه الآية قال الله تعالى: ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ ولم يقل الظن كله؛ لأن الظن المبني على قرائن لا بأس به، فهو من طبيعة الإنسان أنه إذا وجد قرائن قوية توجب الظن الحسن أو غير الحسن، فإنه لابد أن يخضع لهذا القرائن، ولا بأس بذلك، لكن الظن المجرد هو الذي حذر منه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: إنه أكذب الحديث، لأن الإنسان إذا ظن صارت نفسه تحدثه، تقول له فعل فلان كذا وهو يفعل كذا وهو يريد كذا وما أشبه ذلك، وهذا يقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه إنه أكذب الحديث، وفيه أيضا مما لم يمر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال كونوا عباد الله إخوانا كما

أمركم يعني أنه يجب على الإنسان أن يكون أخا لأخيه، بالمعنى المطابق للأخوة، لا يكن عدوا له، فإن بعض الناس إذا صار بينه وبين أخيه معاملة وساء الظن بينهما في هذه المعاملة اتخذوا عدوا، وهذا لا يجوز، الواجب أن الإنسان يكون أخا لأخيه، في المحبة والألفة وعدم التعرض له بالسوء والدفاع عن عرضه وغير ذلك من مقتضيات الأخوة.اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٢/ ٢٥٢).

❊❊❊

التجسس على الناس من أعظم الأذية

عن زيدِ بنِ وهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أُتي ابنُ مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقيل: هذا فلان تقطُرُ لحيتُه خمراً، فقال عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**إنا قد نُهِينا، عن التجَسُّس، ولكن إن يظهَرْ لنا شيء نأخُذْ به**». رواه أبو داود في "سننه" (٤٨٩٠)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "صحيح أبي داود" (١/ ٢).

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**وَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ، وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ، صُبَّ فِي أُذُنِهِ الآنُكُ يَوْمَ القِيَامَةِ**». رواه البخاري في "صحيحه" (٧٠٤٢).

قال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويلحق باستماع الحديث استنشاق الرائحة ومس الثوب واستخبار صغار أهل الدار ما يقول الأهل والجيران من كلام أو ما يعملون من الأعمال)**. اهـ من "سبل السلام" (٤/ ٢٠٠).

❊❊❊

لا يجوز أذية الحيوان فكيف بالذي يؤذي إنسان

قَالَ الفُضَيْلُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَاللهِ مَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تُؤْذِيَ كَلْبًا وَلاَ خِنْزِيْراً بِغَيْرِ حَقٍّ، فَكَيْفَ تُؤْذِي مُسْلِمًا؟!). اهـ من "سير أعلام النبلاء" (٧/ ٣٩٦).

❊❊❊

ما ينفعك أن يعذب أخاك المسلم بسببك

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وما ينفعك أن يُعذب أخاك المسلم بسببك؟ ولتعف، وتصفح فيغفر الله لك كما وعدك).اهـ من "تاريخ الإسلام" (١٨/ ١١٥).

***

إن لم تنفع أخاك فلا تضره

قال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حظ المؤمن منك ثلاثة خصال لتكون من المحسنين:

أحدها: ان لم تنفعه فلا تضره

والثاني: ان لم تسره فلا تغمه

والثالث: ان لم تمدحه فلا تذمه. [١]

❊❊❊

(١) اهـ من "الزهد والرقائق" للخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/ ١١٤).

لا تطلب من الناس اليوم الخير اطلب منهم كف الأذى

قال معاوية بن قرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لا تطلب من الناس اليوم الخير اطلب منهم كَفَّ الأذى، فَمَنْ كف أذاه عنك اليوم فهو بمنزلة من كان يعطي الجوائز).اهـ من "تاريخ دمشق" (٢٧٠).

***

إياك أن تظلم غيرك بقوتك فيدعو عليك

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَمِمَّا حُكيَ قَالَ بعض العارفين رَأَيْت فِي الْمَنَام رجلاً مِمَّن يخْدم الظلمَة، والمكاسين بعد مَوته بِمدَّة فِي حَالَة قبيحة، فَقلت لَهُ: مَا حالك، قَالَ: شَرّ حَال، فَقلت: إِلَى أَيْن صرت، قَالَ: إِلَى عَذَاب الله، قلت: فَمَا حَال الظلمَة عِنْده، قَالَ: شَرّ حَال أما سَمِعت قَول الله عز وَجل: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [سورة الشعراء:٢٢٧].

حُكيَ قَالَ بَعضهم: رَأَيْت رجلاً مَقْطُوع الْيَد من الْكَتف وَهُوَ يُنَادي من رَآنِي فَلَا يظلمن أحداً فتقدمت إِلَيْهِ، فَقلت لَهُ: يَا أخي مَا قصتك، قَالَ: يَا أخي قصَّة عَجِيبَة وَذَلِكَ أَنِّي كنت من أعوان الظلمَة فَرَأَيْت يَوْمًا صياداً وَقد اصطاد سَمَكَة كَبِيرَة فأعجبتني، فَجئْت إِلَيْهِ فَقلت: أَعْطِنِي هَذِه السَّمَكَة، فَقَالَ: لَا أعطيكها أَنا آخذ بِثمنِهَا قوتًا لِعِيَالِي فضربته وأخذتها مِنْهُ قهراً ومضيت بهَا، قَالَ فَبينا أَنا أَمْشِي بهَا حاملها إِذْ عضت على إبهامي عضة قَوِيَّة فَلَمَّا جِئْت بهَا إِلَى بَيْتِي وألقيتها من يَدي ضربت على إبهامي وآلمتني ألمًا شَدِيداً حَتَّى لم أنم من شدَّة

الْوَجْع والألم وورمت يَدي، فَلَمَّا أَصبَحت أتيت الطَّبِيب وشكوت إِلَيْهِ الْأَلَم، فَقَالَ: هَذِه بَدْء الآكلة أقطعها وَإِلَّا تقطع يدك فَقطعت إبهامي ثمَّ ضربت على يَدي فَلم أطق النوم وَلَا الْقَرار من شدَّة الْأَلَم فَقيل لي: إقطع كفك فقطعته وانتشر الْأَلَم إِلَى الساعد وآلمني ألمـًا شَدِيداً وَلم أطق الْقَرار وَجعلت أستغيث من شدَّة الْأَلَم فَقيل لي: اقطعها إِلَى الْمرْفق فقطعتها فانتشر الْأَلَم إِلَى الْعَضُد وَضربت على عضدي أَشد من الْأَلَم الأول فَقيل: اقْطَعْ يدك من كتفك وَإِلَّا سرى إِلَى جسدك كُله فقطعتها فَقَالَ لي بعض النَّاس: مَا سَبَب ألمك فَذكرت قصَّة السَّمَكَة فَقَالَ لي: لَو كنت رجعت فِي أول مَا أَصَابَك الْأَلَم إِلَى صَاحب السَّمَكَة واستحللت مِنْهُ وأرضيته لما قطعت من أعضائك عضواً فَاذْهَبْ الْآن إِلَيْهِ واطلب رِضَاهُ قبل أَن يصل الْأَلَم إِلَى بدنك، قَالَ: فَلم أزل أطلبه فِي الْبَلَد حَتَّى وجدته فَوَقَعت على رجلَيْهِ أقبلها وأبكي وَقلت لَهُ: يَا سَيِّدي سَأَلتك بِالله إِلَّا عَفَوْت عني، فَقَالَ لي: وَمن أَنْت، قلت: أَنا الَّذِي أخذت مِنْك السَّمَكَة غصبـًا وَذكرت مَا جرى وأريته يَدي فَبكى حِين رَآهَا ثمَّ قَالَ: يَا أخي قد أحللتك مِنْهَا لما قد رَأَيْته بك من هَذَا الْبلَاء، فَقلت: يَا سَيِّدي بِالله هَل كنت قد دَعَوْت عَليّ لما أَخَذتهَا، قَالَ: نعم ،قلت: اللَّهُمَّ إِن هَذَا تقوى عَليّ بقوته على ضعْفي على مَا رزقتني ظلمـًا فأرني قدرتك فِيهِ فَقلت: يَا سَيِّدي قد

أَرَاك الله قدرته فِي وَأَنا تائب إِلَى الله عز وَجل عَمَّا كنت عَلَيْهِ من خدمَة الظلمَة وَلَا عدت أَقف لَهُم على بَاب، وَلَا أكون من أعوانهم مَا دمت حَيا إِن شَاءَ الله، وَبِاللهِ التَّوْفِيق.اهـ من "الكبائر" (١١٣).

***

كف شرك عن الناس أيها المسلم

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الْإِيمَانُ بِاللهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ**» قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا**» قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «**تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ**» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ: «**تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ**». متفق عليه. (خ٢٥١٨-م٨٤).

الشاهد من الحديث قوله: «**تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ**».

أي: تكف شرك وأذاك عن الناس فيحسب لك ذلك عند الله، وتؤجر عليه أجر الصدقة وثوابها.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وهذا أدنى ما يكون؛ أن يكف الإنسان شره عن غيره، فيسلم الناس منه**). اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٢/ ١٥٢).

وقَالَ اللَّيْثُ بنُ سَعْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَغَيْرُهُ: كَتَبَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنِ اكتُبْ إليَّ بِالعِلمِ كُلِّهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنَّ العِلمَ كَثِيْرٌ، وَلَكِنْ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلقَى

اللهَ خَفِيفَ الظَّهْرِ مِنْ دِمَاءِ النَّاسِ خَمِيْصَ البَطنِ مِنْ أَمْوَالِهِم كَافَّ اللِّسَانِ عَنْ أَعْرَاضِهِم لاَزمـًا لأَمرِ جَمَاعَتِهِم، فَافعَلْ). اهـ من "سير أعلام النبلاء" (٤/ ٣١٣).

❊❊❊

من أذية المسلم لأخيه المسلم تعيره بالذنوب والمعاصي

قال صَالِحٌ الْمُرِّيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُولُ: كُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّهُ مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ قَدْ تَابَ إِلَى اللهِ مِنْهُ ابْتَلاَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ [1] .اهـ من "الزهد" للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤٧٥).

---

(١) هذا الحديث مكذوب لا يصح: «من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله»

قال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ موضوع، أخرجه الترمذي (٣ / ٣١٨) وابن أبي الدنيا في " ذم الغيبة " وابن عدي (٢٩٦ / ٢) والخطيب في " تاريخه " (٢ / ٣٣٩ - ٣٤٠) من طريق محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل مرفوعا، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وليس إسناده بمتصل، وخالد بن معدان لم يدرك معاذ بن جبل.

قلت: أنى له الحسن إذن؟! فإنه مع هذا الانقطاع فيه محمد بن الحسن هذا، كذبه ابن معين وأبو داود كما في " الميزان " ثم ساق له هذا الحديث، ولهذا أورده الصغاني في " الموضوعات " (ص ٦) ومن قبله ابن الجوزي (٣ / ٨٢) ذكره من طريق ابن أبى الدنيا ثم قال: لا يصح محمد بن الحسن كذاب، وتعقبه السيوطي في " اللآليء" (٢ / ٢٩٣) بقوله: قلت: أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب، وله شاهد.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَكُلُّ مَعْصِيَةٍ عَيَّرْتَ بِهَا أَخَاكَ فَهِيَ إِلَيْكَ.

يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ: أَنَّهَا صَائِرَةٌ إِلَيْكَ وَلَا بُدَّ أَنْ تَعْمَلَهَا، وَهَذَا مَأْخُوذٌ مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ» قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْحَدِيثِ: مِنْ ذَنْبٍ قَدْ تَابَ مِنْهُ.

وَأَيْضًا فَفِي التَّعْيِيرِ ضَرْبٌ خَفِيٌّ مِنَ الشَّمَاتَةِ بِالْمُعَيَّرِ، وَفِي التِّرْمِذِيِّ أَيْضًا مَرْفُوعًا «لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ، فَيَرْحَمَهُ اللهُ وَيَبْتَلِيَكَ» .

بِذَنْبِهِ، وَمَا أَحْدَثَ لَهُ مِنَ الذِّلَّةِ وَالْخُضُوعِ، وَالْإِزْرَاءِ عَلَى نَفْسِهِ، وَالتَّخَلُّصِ مِنْ مَرَضِ الدَّعْوَى، وَالْكِبْرِ وَالْعُجْبِ، وَوُقُوفَهُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ نَاكِسَ الرَّأْسِ،

قلت: ثم ذكر الشاهد وهو من طريق الحسن قال: كانوا يقولون: " من رمى أخاه بذنب تاب إلى الله منه، لم يمت حتى يبتليه الله به "، وهو مع أنه ليس مرفوعا

إليه صلى الله عليه وسلم، فإن في سنده صالح بن بشير المري، وهو ضعيف كما في " التقريب " فلا يصح شاهدا لضعفه وعدم رفعه، وقد رواه عبد الله بن أحمد في " زوائد الزهد " (ص ٢٨١) قال أخبرت عن سيار حدثنا صالح المري قال: سمعت الحسن يقول: فذكره، وله شاهد آخر مرفوع ولكنه ضعيف فانظر أجوبة ابن حجر على

القزويني مع مقدمتي لها المنشورة في آخر " المشكاة " بتحقيقنا (ج ٣ ص ح).اهـ من "سلسلة الأحاديث الضعيفة" (١/ ٣٢٧).

خَاشِعَ الطَّرْفِ، مُنْكَسِرَ الْقَلْبِ أَنْفَعُ لَهُ، وَخَيْرٌ مِنْ صَوْلَةِ طَاعَتِكَ، وَتَكَثُّرِكَ بِهَا وَالِاعْتِدَادِ بِهَا، وَالْمِنَّةِ عَلَى اللهِ وَخَلْقِهِ بِهَا، فَمَا أَقْرَبَ هَذَا الْعَاصِيَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ! وَمَا أَقْرَبَ هَذَا الْمُدِلَّ مِنْ مَقْتِ اللهِ، فَذَنْبٌ تَذِلُّ بِهِ لَدَيْهِ، أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ طَاعَةٍ تُدِلُّ بِهَا عَلَيْهِ، وَإِنَّكَ أَنْ تَبِيتَ نَائِمًا وَتُصْبِحَ نَادِمًا، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَبِيتَ قَائِمًا وَتُصْبِحَ مُعْجَبًا، فَإِنَّ الْمُعْجَبَ لَا يَصْعَدُ لَهُ عَمَلٌ، وَإِنَّكَ إِنْ تَضْحَكْ وَأَنْتَ مُعْتَرِفٌ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَبْكِيَ وَأَنْتَ مُدِلٌّ، وَأَنِينُ الْمُذْنِبِينَ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ زَجَلِ الْمُسَبِّحِينَ الْمُدِلِّينَ، وَلَعَلَّ اللهَ أَسْقَاهُ بِهَذَا الذَّنْبِ دَوَاءً اسْتَخْرَجَ بِهِ دَاءً قَاتِلًا هُوَ فِيكَ وَلَا تَشْعُرُ.

فَلِلَّهِ فِي أَهْلِ طَاعَتِهِ وَمَعْصِيَتِهِ أَسْرَارٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ، وَلَا يُطَالِعُهَا إِلَّا أَهْلُ الْبَصَائِرِ، فَيَعْرِفُونَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا تَنَالُهُ مَعَارِفُ الْبَشَرِ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ مَا لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِذَا زَنَتْ أَمَةُ أَحَدِكُمْ، فَلْيُقِمْ عَلَيْهَا الْحَدَّ وَلَا يُثَرِّبْ» أَيْ لَا يُعَيِّرْ، مِنْ قَوْلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِإِخْوَتِهِ {لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ} [يوسف: ٩٢] فَإِنَّ الْمِيزَانَ بِيَدِ اللهِ، وَالْحُكْمَ لِلَّهِ، فَالسَّوْطُ الَّذِي ضُرِبَ بِهِ هَذَا الْعَاصِي بِيَدِ مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ، وَالْقَصْدُ إِقَامَةُ الْحَدِّ لَا التَّعْيِيرُ وَالتَّثْرِيبُ، وَلَا يَأْمَنُ كَرَّاتِ الْقَدَرِ وَسَطْوَتَهُ إِلَّا أَهْلُ الْجَهْلِ بِاللهِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِأَعْلَمِ الْخَلْقِ بِهِ، وَأَقْرَبِهِمْ إِلَيْهِ وَسِيلَةً {وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ

تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا} [الإسراء: ٧٤] وَقَالَ يُوسُفُ الصِّدِّيقُ {وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [يوسف: ٣٣] وَكَانَتْ عَامَّةُ يَمِينِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَا، وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ» وَقَالَ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ» ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ، اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ» .اهـ من "مدارج السالكين" (١/ ١٩٥).

❊❊❊

من أذية الناس استحقارهم والسخرية منهم

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[سورة الحجرات: ١١].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا أيضًا، من حقوق المؤمنين، بعضهم على بعض، أن ﴿لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾ بكل كلام، وقول، وفعل دال على تحقير الأخ المسلم، فإن ذلك حرام، لا يجوز، وهو دال على إعجاب الساخر بنفسه، وعسى أن يكون المسخور به خيرًا من الساخر، كما هو الغالب والواقع، فإن السخرية، لا تقع إلا من قلب ممتلئ من مساوئ الأخلاق، متحل بكل خلق ذميم، ولهذا قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**بحسب امرئ من الشر، أن يحقر أخاه المسلم**». [1]

---

(١) **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٥٦٢) من حديث **أبي هريرة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

ثم قال: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي: لا يعب بعضكم على بعض، واللمز: بالقول، والهمز: بالفعل، وكلاهما منهي عنه حرام، متوعد عليه بالنار.

كما قال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ [سورة الهمزة: ١].

الآية، وسمي الأخ المؤمن نفسًا لأخيه، لأن المؤمنين ينبغي أن يكون هكذا حالهم كالجسد الواحد، ولأنه إذا همز غيره، أوجب للغير أن يهمزه، فيكون هو المتسبب لذلك.

﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ أي: لا يعير أحدكم أخاه، ويلقبه بلقب ذم يكره أن يطلق عليه وهذا هو التنابز، وأما الألقاب غير المذمومة، فلا تدخل في هذا.

﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ أي: بئسما تبدلتم عن الإيمان والعمل بشرائعه، وما تقتضيه، بالإعراض عن أوامره ونواهيه، باسم الفسوق والعصيان، الذي هو التنابز بالألقاب.

﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ فهذا [هو] الواجب على العبد، أن يتوب إلى الله تعالى، ويخرج من حق أخيه المسلم، باستحلاله، والاستغفار، والمدح له مقابلة [على] ذمه.

﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ فالناس قسمان: ظالم لنفسه غير تائب، وتائب مفلح، ولا ثم قسم ثالث غيرهما.اهـ من "تفسيره" (٨٠١).

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنـًا، ونعله حسنة، قال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس**».**رواه مسلم** في "صحيحه" (٩١).

الشاهد من الحديث قوله: «**وغمط الناس**».

والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم، وهذا حرام، فإنه قد يكون المحتَقَر أعظم قَدْرًا عند الله تعالى، وأحب إليه من الساخر منه – المحتقر له –. ولهذا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ [سورة الحجرات: ١١].**فنص على نهي الرجال، وعطف بنهي النساء.**

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**».**رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٥٦٤).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني لو لم يكن من الشر للمسلم إلا أن يحقر أخاه ويستصغره ويستذله، لكان كافيًا في الإثم والعياذ بالله، في هذا التحليل أعظم زاجر من احتقار أخيك المسلم، وأن الواجب عليك أن تحترمه وتعظم بما فيه من الإسلام والإيمان.

ثم قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه**» «**كل المسلم على المسلم حرام، دمه**». (١) فلا يعتدي على المسلم بقتل أو جرح أو غير ذلك " وماله" فلا يؤخذ ماله، ولا غصبًا، ولا سرقة، ولا خيانة، ولا دعوى ما ليس له، ولا غير ذلك بأي طريق، فلا يحل لك أن تأخذ مال أخيك بغير حق فإنه حرامٌ عليك.

" وعرضه" بأن لا تنتهك عرضه، وتتكلم فيه بين الناس، سواء كنت صادقًا فيما تقول أو كاذبًا؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سئل عن الغيبة فقال: «**ذكرك أخاك بما يكره**» قالوا: يا رسول الله، أريت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**». (٢) فالواجب على المسلم أن يحترم أخاه في ماله وعرضه ودمه كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كل**

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه مسلم في "صحيحه" (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه».[1]اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٢/ ٥٧٤).

وقال وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّ أَعْظَمَ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللهِ بَعْدَ الشِّرْكِ بِاللهِ السُّخْرِيَةُ بِالنَّاسِ».اهـ من "حلية الأولياء" (٤/ ٥١).

❊❊❊

(١) تقدم تخريجه.

من أذية الناس الطعن في نياتهم

إياك ثم إياك: والطعن في النيات واتهام الغير إذا رأيته ينشر الخير ويخدم الإسلام والمسلمين أنه يحب الشهرة أو الظهور أو أنه يرائي في أعماله أو في أقواله، أو في أفعاله، أو في عباداته، فإنك على خطر عظيم فلا تحكم على ما في قلبه، ولست موكلاً بذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلاَ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ**». (١)

وقال مكحول رَحِمَهُ اللَّهُ: «**رَأَيْتُ رَجُلًا يُصَلِّي، وَكُلَّمَا رَكَعَ وَسَجَدَ بَكَى، فَاتَّهَمْتُهُ أَنَّهُ يُرَائِي بِبُكَائِهِ، فَحُرِمْتُ الْبُكَاءَ سَنَةً**». اهـ من "حلية الأولياء" (٥/ ١٨٤).

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: (**حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب واحد، قيل: ما هو؟ قال رأيت رجلاً يبكي فقلت هذا مرائي**). اهـ من "حلية الأولياء" (٧/ ١٧).

قلت: والأصل أن الإنسان لا يحكم إلا على الظاهر على ما ظهر له من هذا الإنسان أما باطنه فأمره إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو المطلع عليه، وهو الذي يحاسبه وكفى بالله حسيبا، فإياك أن يحملك المرض أو الحسد على الطعن في

---

(١) **متفق عليه**. (خ ٤٣٥١ - م ١٠٦٤)، من حديث **أبي سعيد الخدري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نيات الآخرين فبعض الناس ممن لا يخاف من الله، يحمله الحسد والمرض على الطعن، واللمز، والهمز في نيات الآخرين الذين فتح الله عليهم من أبواب الخير، والعلم، والدعوة، والتأليف، وخدمة الإسلام والمسلمين، فجزى الله خيراً من أعان على خدمة الإسلام ولو بشطر كلمة. **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وجزى الله من أعان الاسلام ولو بشطر كلمة خيراً)**.اهـ من "إعلام الموقعين" (٤/ ٢١٧).

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ورحم الله من أعان على الدين ولو بشطر كلمة، وإنما الهلاك في ترك ما يقدر عليه العبد من الدعوة إلى هذا الدين)**.اهـ من "القول السديد شرح كتاب التوحيد" (٣٦).

وما أحسن ما قال أبو الأسود الدؤلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حسدوا الفتى إذا لم ينالوا سعيه * فالناس أعداء له وخصوم** (١)

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في "صحيحه" (٢٦٤١)، حَدَّثَنَا الحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُتْبَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «**إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمُ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا، أَمِنَّاهُ،**

(١) اهـ من "جامع بيان العلم وفضله" (١١١٣).

وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ اللهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ».

❊❊❊

من أذية المسلم تخويفه وترويعه

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ، فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا**». رواه أبو داود في "سننه" (٥٠٠٤).

***

من أذية المسلم أخذ ماله بغير حق

عن حنيفة الرقاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه**». رواه البيهقي في "سننه" (٥١٠٥)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الجامع" (٧٦٦٢ - ٢٧٨٠).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «**فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ**» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «**قَاتِلْهُ**» **قَالَ**: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «**فَأَنْتَ شَهِيدٌ**»، **قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ**: «**هُوَ فِي النَّارِ**». رواه مسلم في "صحيحه" (١٤٠).

❊❊❊

من أذية المسلم أخذ أرضه بغير حق

عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، طَوَّقَهُ اللهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ». متفق عليه.(خ٢٤٥٢-م١٦١٠).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ، إِلَّا طَوَّقَهُ اللهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». رواه مسلم في "صحيحه" (١٦١١).

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ، حَدَّثَهُ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ خُصُومَةٌ فِي أَرْضٍ، وَأَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا أَبَا سَلَمَةَ اجْتَنِبِ الْأَرْضَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ». متفق عليه. (خ٢٤٥٣-م١٦١٢).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: من كرامات الأولياء أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يجيب دعوتهم، حتى يدركوها بأعينهم فهذا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد العشرة المبشرين بالجنة، خاصمته امرأة ادعت أنه أخذ شيئًا من

أرضها فخاصمته عند مروان، فقال: أنا آخذ من أرضها شيئًا بعد ما سمعت من رسول الله ﷺ؟ قالوا: وماذا سمعت؟ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من اقتطع شبراً من الأرض ظلمًا طوقه الله به يوم القيامة من سبع أرضين - أو - طوقه يوم القيامة من سبع أرضين**». (١) يعني فكيف آخذ منها بعد أن سمعت هذا من النبي ﷺ؟ كل مؤمن يؤمن بالله ورسوله إذا سمع مثل هذا الخبر الصادر عن الصادق المصدوق ﷺ، فإنه لا يمكن أن يظلم أحداً من أرضه ولا شبراً، فالرسول ﷺ يخبر أنك لو أخذت شبراً من الأرض وقيده بالشبر من باب المبالغة وإلا فإن أخذ أقل من ذلك ولو سنتيمتر واحدًا، فإنه يطوق به يوم القيامة من سبع أرضين، إذا كان يوم القيامة جاءت هذه القطعة التي أخذها مطوقة في عنقه من سبع أرضين؛ لأن الأرضين سبع طباق، كما قال الله تعالى الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن.

والإنسان إذا ملك أرضـًا، ملك قعرها إلى أسفل السافلين، إلى الأرض السابعة، وإذا ملكها أيضـًا ملك هواءها إلى الثريا، لا أحد يستطيع أن يبني فوقه

---

(١) تقدم تخريجه.

جسراً أو أن يحفر تحته خندقًا، لأن الأرض له إلى أسفل السافلين، وإلى أعلى السماء، كلها له، إذا كان يوم القيامة وهذا قد اقتطع شبراً من الأرض بغير حق، فإنه يأتي يوم القيامة مطوق به عنقه نسأل الله العافية.

وعند جميع العالم كل شيء محشور يوم القيامة حتى الوحوش تحشر حتى الإبل حتى البقر حتى الغنم كلها تحشر يوم القيامة، وهذا يشاهد حاملاً هذه الأرض والعياذ بالله من سبع أرضين، ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**لعن الله من غير منار الأرض**». [1] غير منارها: أي غير مراسيمها فأدخل شيئًا ليس له، وفي هذا دليل على أن قصف الأرض أو أخذ شيء بغير الحق من كبائر الذنوب لأن عليه هذا الويل العظيم، اللعن وأنه يحمل به يوم القيامة، فما بالك بقوم اليوم يأخذون أميالاً بل أميال الأميال والعياذ بالله بغير الحق، يأخذونها يضيقون بها مراعي المسلمين، ويحرمون المسلمين من مراعيهم أو من طرقهم أو ما أشبه ذلك، هؤلاء سوف يطوقون ما أخذوا يوم القيامة والعياذ بالله، لأنهم أخذوها بغير الحق، المراعي للمسلمين عمومًا، الخطوط الطرقات للمسلمين عمومًا، الأودية أودية الأمطار للمسلمين عمومًا، ولهذا

---

(١) **رواه مسلم** في "صحيحه" (١٩٧٨) من حديث **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال العلماء: إن الإنسان لا يملك بالأحياء ما قرب من عامر وهو يتعلق بمصلحة هذا العامر، حتى لو أحياها وغرسها يقلع غرسه ويهدم بناؤه إذا كان هذا يتعلق بمصالح البلد، والبلد ليست ملكًا لفلان أو علان بل هي لعموم المسلمين، حتى لو فرضنا أن ولي الأمر أقطع هذا الرجل من الأرض التي يحتاجها أهل البلد فإنه لا يملكها بذلك لأن ولي الأمر إنما يفعل لمصالح المسلمين، لا يخص أحدًا بمصالح المسلمين دون أحد، وهذه المسألة خطيرة للغاية، ولهذا لما ارتفعت قيم الأراضي صار الناس والعياذ بالله يعتدي بعضهم على بعض، يدعي أن الأرض له وهي ليست له يكون جاراً لشخص ثم يدخل شيئًا من أرضه إلى أرضه، وهذا على خطر عظيم إن العلماء – أقول لكم كلامًا تعجبون منه قالوا: لو أن الإنسان بني جدارًا ثم زاد في لياصته (المحارة) إذا زاد في لياصته دخل على السور سنتيمتراً في لياصته فإنه يكون ظالمًا ويكون بذلك معاقبًا عند الله يوم القيامة، إلى هذا الحد الناس الآن والعياذ بالله يبلعون أميالاً أو أمتاراً مع هذا الوعيد الشديد، سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لما حدث مروان بهذا الحديث قال الآن لا أطلب عليك بينة، لأنه عارف أن سعيدًا لا يمكن أبدًا أن يأخذ من أرض هذه المرأة بدون حق أما المرأة؟ فقال **سعيد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها وأهلكها في

أرضها، فماذا كان، كانت هذه المرأة أعماها الله عز وجل قبل أن تموت وبينما هي تمشي في أرضها ذات يوم إذ سقطت في بئر فماتت فكانت البئر قبرها في نفس الأرض التي كانت تخاصم **سعيد بن زيد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيها، وهذا من كرامة الله عز وجل لسعيد بن زيد أن الله أجاب دعوته وشاهدها حيـًا قبل أن يموت، وقد سبق لنا أن المظلوم تجاب دعوته ولو كان كافراً إذا كان مظلومـًا، لأن الله تعالى ينتصر للمظلوم من الظالم؛ لأن الله تعالى حكم عدل لا يظلم ولا يمكن أحدًا من الظلم وقد قال الله تعالى في القرآن الكريم إنه لا يفلح الظالمون فالظالم لا يفلح أبدًا، ولذلك انظر إلى هذه القصة وإلى قصة سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التي ذكرناها سابقـًا وكيف أجاب الله الدعوة؟ وهذه هي عادة الله سبحانه وتعالى في عباده نسأل الله أن يحمينا وإياكم من الظلم.اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٦/ ٨٦).

***

من أذية المسلم نبزه بالألقاب السيئة والطعن في نسبه

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة الحجرات: ١١].

عن أبي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ**». رواه مسلم في "صحيحه" (٩٣٤).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**». رواه مسلم في "صحيحه" (٦٧).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: الطعن في النسب فمعناه التعيير بالنسب أو أن ينفي نسبه، فمثلا يقول في التعيير: أنت من القبيلة الفلانية التي لا تدفع العدو ولا تحمي الفقير.

ويذكر فيها معايب، أو مثلاً يقول: أنت تدعي أنك من آل فلان ولست منهم، أنت ما فيك خير هؤلاء، القبيلة ولو كنت منهم لكان فيك خير، أو ما أشبه ذلك.اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٦/ ٢٦٤).

***

من أذية المسلم أن تقول فيه ما ليس فيه

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ». رواه أبو داود في "سننه" (٣٥٩٧)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح أبي دواد" (٣٥٩٧).

ومعنى ردغة الخبال: عصارة أهل النار المجل والصديد.

***

من أذية المسلم أن تحسده على ما أنعم الله عليه

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا يَجْتَمِعَانِ فِي النَّارِ مُسْلِمٌ قَتَلَ كَافِرًا ثُمَّ سَدَّدَ وَقَارَبَ، وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي جَوْفِ مُؤْمِنٍ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَفَيْحُ جَهَنَّمَ، وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ الْإِيمَانُ وَالْحَسَدُ**». رواه النسائي في "سننه" (٣١٠٩)، وابن حبان في "صحيحه" (٤٦٠٦)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الترغيب والترهيب" (٢٨٨٦).

قال السندي رَحِمَهُ اللَّهُ **شرح هذا الحديث مبينًا أن فيه: تقبيح للحسد، وَبَيَان أَنه لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤمنِ أَن يحْسد، فَإِنَّهُ لَيْسَ من شَأْنه ذَلِك فَمَعْنَى لَا يَجْتَمِعَانِ هَا هُنَا أَنه لَيْسَ من شَأْن الْمُؤمن أَن يجمعهما، وَيحْتَمل أَن الْمُرَاد بِالْإِيمَان كَمَاله فَلْيتَأَمَّل، وَالله تَعَالَى أعلم**.اهـ من "حاشية السندي على سنن النسائي" (٦/ ١٣).

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قيل لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أيّ الناس أفضل؟ قال: «**كلّ مخموم القلب، صدوق اللسان**» قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: **هو التقيّ النقيّ، لا إثم فيه ولا بغي ولا**

غلّ ولا حسد». **رواه ابن ماجه** في "سننه" (٤٢١٦)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٩٤٨).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(القلب السليم: هو الذى سلم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرياسة، فسلم من كل آفة تبعده من الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، ومن كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطعه عن الله فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا وفى جنة في البرزخ وفي جنة يوم المعاد ولا يتم له سلامته مطلقًا حتى يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر وهو يناقض التجريد، والإخلاص يعم وهذه الخمسة حجب عن الله وتحت كل واحد منها)**.اهـ من "الجواب الكافي" (٨٤).

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واختلف في معنى القلب السليم فقيل السليم من الشرك؛ فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد قاله أكثر المفسرين، وقال سعيد بن المسيب القلب السليم الصحيح، وهو: قلب المؤمن لأن قلب الكافر والمنافق مريض، وقيل: هو القلب الخالي عن البدعة المطمئن إلى السنة، وقيل: السالم من آفة المال والبنين، وقال الضحاك: السليم الخالص، وقال الجنيد: السليم**

في اللغة اللديغ فمعناه أنه قلب كاللديغ من خوف الله تعالى وهذا تحريف وتعكيس لمعنى القران، قال الرازي: أصح الأقوال أن المراد منه سلامة النفس عن الجهل والأخلاق الرذيلة).اهـ من "فتح القدير" (٤/ ١٠٦).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في وصف ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَكَانَ حَسَنَ الْقِرَاءَةِ وَالْخُلُقِ، كَثِيرَ التَّوَدُّدِ، لَا يَحْسُدُ أَحَدًا، وَلَا يُؤْذِيهِ، وَلَا يَسْتَعِيبُهُ، وَلَا يَحْقِدُ عَلَى أَحَدٍ، وَكُنْتُ مِنْ أَصْحَبِ النَّاسِ لَهُ، وَأَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَلَا أَعْرِفُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي زَمَانِنَا أَكْثَرَ عِبَادَةً مِنْهُ، وَكَانَتْ لَهُ طَرِيقَةٌ فِي الصَّلَاةِ يُطِيلُهَا جِدًّا، وَيَمُدُّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا، وَيَلُومُهُ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ فَلَا يَرْجِعُ، وَلَا يَنْزِعُ عَنْ ذَلِكَ، رَحِمَهُ اللهُ).اهـ من "البداية والنهاية" (١٨/ ٥٢٣).

وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **بعض السلف: أفضل الأعمال سلامة الصدور وسخاوة النفوس، والنصيحة للأمة وبهذه الخصال بلغ من بلغ لا بكثرة الإجتهاد في الصوم والصلاة**.اهـ من "لطائف المعارف" (١٣٩).

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَقَوْلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا [١] لَهُ هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِك وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ يُشِيرُ إلَى خُلُوِّهِ وَسَلَامَتِهِ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْحَسَدِ.

---

(١) **قلت**: وهذا الحديث الذي ذكره **شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في "مجموع فتاواه" (١/ ٢٧)، هو حديث: **أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

«**يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**» فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى. فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبِعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ، حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ. قَالَ عَبْدُ اللهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْقِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: «**يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**». فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ، فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ. قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: «**مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ**». رواه أحمد في "مسنده" (١٢٦٩٧).

قال الإمام الالباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أخرجه عبد الله بن المبارك في "الزهد" (٢٤١/ ٦٩٤)، والروايتان مع الزيادتين له، وعبد الرزاق في " المصنف " (١١/ ٢٨٧/ ٢٠٥٥٩)، وعنه أحمد (٣/ ١٦٦) والسياق له.

وَبِهَذَا أَثْنَى اللهُ تَعَالَى عَلَى الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ﴾ [سورة الحشر:٩].

أَيْ: مِمَّا أُوتِيَ إِخْوَانُهُمْ الْمُهَاجِرُونَ، قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: لَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً أَيْ حَسَدًا وَغَيْظًا مِمَّا أُوتِيَ الْمُهَاجِرُونَ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ: مِنْ مَالِ الْفَيْءِ، وَقِيلَ: مِنْ الْفَضْلِ وَالتَّقَدُّمِ.اهـ من "مجموع فتاواه" (١/ ٢٧).

وفي ترجمة العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "كتاب الإنجاز في ترجمة **الإمام عبد العزيز بن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ" (٢٨٢)، لعبد الرحمن بن يوسف الرحمة: أن الشيخ عبد العزيز بن محمد السدحان، سأل **الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لماذا نجد لك كلَّ هذا القبول والحُبَّ في قلوب الناس؟

وإسناده صحيح على شرط الشيخين؛ كما قال المنذري، ورواه غيرهم كما في "الترغيب" (٤/ ١٣)، وقد قال ابن تيمية- رحمه الله- عقب الحديث في "الفتاوى" (١٠/ ١١٩): "فقول عبد الله بن عمرو له: "هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق" يشير إلى خلوِّه وسلامته من جميع أنواع الحسد. وبهذا أثنى الله تعالى على الأنصار، فقال: "وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ". أي: مما أوتي إخوانهم المهاجرون، قال المفسرون: "لَا يَجِدُونَ فِي صُدورِهِمْ حَاجَةً"؛ أي: حسداً وغيظاً مما أوتي المهاجرون". فهلا اقتديت بهم أيها الأنصاري؟!.ا هـ من "السلسلة الضعيفة" (١/ ٢٦).

غير أن **الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يجبه ورغب الإعراض عن مثل هذا السؤال إلا أن الشيخ عبد العزيز السدحان ألحّ عليه في ذلك، موضحاً أن الغاية من هذا أن يستفيد الجميع فكان مما قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **إنني لا أحمل في قلبي شيئًا**.اهـ.[1]

وعن ضمرة بن ثعلبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا**». **رواه الطبراني** في "المعجم الكبير" (٨١٥٧)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "صحيح الترغيب والترهيب" (٢٨٨٧).

❊❊❊

(١) **وانظر**: "موسوعة إمام المسلمين في القرن العشرين" (١/ ١٠٣).

من الإحسان إلى الخلق كف الأذى عنهم

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(حسن الخلق بسط الوجه وبذل النّدى وكفّ الأذى)**.اهـ من "نضرة النعيم" (٥/ ١٥٨٤).

وقال العلامة الفوزان حفظه الله: وأما الإحسان بين العبد والخلق فمعناه: بذل المعروف لهم، وكف الأذى عنهم، بأن تطعم الجائع، وتكسو العاري، وتعين بجاهك المحتاج، وتشفع لمن احتاج الشفاعة، تبذل المعروف، جميع وجوه المعروف، تكرم الضيف، تكرم الجار، لا يصدر منك إلا خير لجارك، وتكف أذاك عنه أيضاً فلا يصدر منك أذى له ولا لغيره، من الناس من لا يصدر منه إلا أذى، ومن الناس من يصدر منه أذى وخير، ومن الناس من لا يصدر منه إلا خير، فهذا في أعلى الطبقات.

بذل الخير للناس وكف الأذى عنهم هو الإحسان للناس: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة البقرة:١٩٥].

البهائم يجب أن تحسن إليها بأن تهيئ لها ما تحتاج إليه، وتمنع الأذى عنها، وترفق بها، هذا من الإحسان إلى البهائم، حتى المستحق للقتل لا تعذبه، بل تقتله قتلة حسنة ومريحة، من وجب عليه القصاص، ومن وجب عليه الحد، فإنه ينفذ فيه برفق، لا تمثيل، ولا تعذيب، ولا صبر.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح**». (١) في القصاص أو غير ذلك مما يلزم الحد.

فإذ ذبحتم: أي، ذبحتم الحيوانات المأكولة، فأحسنوا الذبحة: «**وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته**». فتحسن حتى للبهائم، وقد: «**غفر الله للبغي من بني إسرائيل بسبب أنها سقت كلبا رأته يلهث من العطش، فسقته فشكر الله لها، فغفر الله لها**». اهـ من "شرح الأصول الثلاثة" (٢٢٨).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (**هذا هو الإحسان إلى الناس، أن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، من حسن الخلق، وطلاقة الوجه، وكف**

---

(١) **وراه مسلم** في "صحيحه" (١٩٥٥) من حديث **شداد بن أوس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تنبيه: ليس لشداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح مسلم إلا هذا الحديث فقط.

الأذى، وبذل الندى إلى غير ذلك مما هو معروف، فهؤلاء محسنون في عبادة الله، ومحسنون إلى عباد الله).اهـ من "تفسيره" (١/ ١٢٥).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أما حسن الخلق مع المخلوق فعرفه بعضهم، ويذكر عن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه: «**كف الأذى، وبذل الندى، وطلاقة الوجه**».

ثلاثة أمور:

١ـ كف الأذى.

٢ـ بذل الندى.

٣ـ طلاقة الوجه.

الأول: كف الأذى: ومعنى كف الأذى: أن الإنسان يكف أذاه عن غيره سواء كان هذا الأذى يتعلق بالمال، أو يتعلق بالنفس، أو يتعلق بالعرض، فمن لم يكف أذاه عن الخلق فليس من حسن الخُلق، بل هو سيئ الخُلق.

وقد أعلن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أعظم مجمع اجتمع به في أمته، قال: «**إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في**

شهركم هذا، في بلدكم هذا». [(١)]، إذا كان رجل يعتدي على الناس بالخيانة، أو يعتدي على الناس بالضرب والجناية، أو يعتدي على الناس في العرض، أو بالسب والغيبة، فهذا ليس بحسن الخلق مع الناس؛ لأنه لم يكف أذاه عنهم، ويعظم إثم ذلك كلما كان موجهًا إلى من له حق عليك أكبر، فالإساءة إلى الوالدين مثلاً أعظم من الإساءة إلى غيرهما، والإساءة إلى الأقارب أعظم من الإساءة إلى الأباعد، والإساءة إلى الجيران أعظم من الإساءة إلى من ليسوا من جيرانًا لك، ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: مَن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه**». [(٢)]

وفي رواية لمسلم: «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**». والبوائق هي: الشرور.

الثاني: بذل الندى:

الندى هو الكرم والجود يعني أن تبذل الكرم والجود، والكرم ليس كما يظنه بعض الناس هو أن تبذل المال، بل الكرم يكون في بذل النفس، وفي بذل الجاه، وفي بذل المال، إذا رأينا شخصًا يقضي حوائج الناس يساعدهم يتوجه في شئونهم إلى من لا يستطيعون الوصول إليه، ينشر علمه بين الناس، يبذل

---

(١) **متفق عليه**.(خ٤٤٠٦-م١٦٧٩) من حديث **أبي بكرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **رواه البخاري** في "صحيحه" (٦٠١٦) من حديث **أبي شريح** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ماله بين الناس، فإنا نصفه بحسن الخلق؛ لأنه بذل الندى، ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**». ومعنى ذلك أنك إذا ظُلمت أو أُسيء إليك فإنك تعفو وتصفح، وقد امتدح الله العافين عن الناس فقال في الجنة: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة آل عمران:١٣٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ﴾ [سورة البقرة:٢٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ﴾ [سورة النور:٢٢].

وكل إنسان يتصل بالناس فلا بد أن يجد من الناس شيئًا من الإساءة، فموقفه من هذه الإساءة أن يعفو ويصفح، وليعلم علم اليقين أنه بعفوه وصفحه ومجازاته بالحسنى سوف تنقلب العداوة بينه وبين أخيه إلى ولاية وصداقة. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [سورة فصلت:٣٤].

فما هو الأحسن، السيئة أم الحسنة؟ الحسنة. وتأملوا أيها العارفون باللغة العربية كيف جاءت النتيجة بـ إذا الفجائية تدل على الحدث الفوري في نتيجتها: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ ولكن هل كل أحد يوفق إلى ذلك؟ قال: لا ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [سورة فصلت:٣٥].

والحاصل: أن من حسن الخلق العفو عن الناس، وهو بذل الندى؛ لأن بذل الندى: إما إعطاء، وإما إسقاط، والعفو من الإسقاط.

الثالث: طلاقة الوجه.

وأما طلاقة الوجه فهي أن يكون الإنسان طليق الوجه، وضد طليق الوجه عبوس الوجه، ولهذا قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لا تحقرنّ من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**». (١)

طلاقة الوجه تُدخل السرور على من قابلك، وعلى من اتجه لك، وتجلب المودة والمحبة، وتوجب انشراح القلب، بل توجب انشراح الصدر منك وممن يقابلك ـ وجرب تجد ـ لكن إذا كنت عبوسًا فإن الناس ينفرون منك،

---

(١) رواه مسلم في "صحيحه" (٢٦٢٦) من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ولا ينشرحون بالجلوس إليك، ولا بالتحدث معك، وربما تصاب بمرض خطير يسمى بالضغط، فإن انشراح الصدر وطلاقة الوجه من أكبر العقاقير المانعة من هذا الداء داء الضغط، ولهذا فإن الأطباء ينصحون ابتلي بهذا الداء بأن يبتعد عما يثيره ويغضبه؛ لأن ذلك يزيد في مرضه، فطلاقة الوجه تقضي على هذا المرض؛ لأن الإنسان يكون منشرح الصدر محبوبًا إلى الخلق.

هذه الأصول الثلاثة التي يدور عليها حسن الخلق في معاملة الخلق.

ومما ينبغي أن يعرف من حسن الخلق حسن المعاشرة بأن يكون الإنسان مع من يعاشره من أصدقاء، وأقارب، وأهل، يكون حَسَن العشرة معهم لا يضيق بهم ولا يُضِّيق عليهم، بل يدخل السرور عليهم بقدر ما يمكنه في حدود شريعة الله، وهذا القيد لا بد منه أعني أن يكون في حدود شريعة الله؛ لأن من الناس من لا يسير إلا بمعصية الله والعياذ بالله وهذا لا يوافق عليه.

لكن إدخال السرور على من يتصل بك من أهل وأصدقاء وأقارب من حسن الخلق، ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إن خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**». [1] كثير من الناس مع الأسف الشديد يحسن الخلق مع

---

(١) **رواه الترمذي** في "سننه" (٣٨٩٥) وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (١/ ٥٧٥) من حديث **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

الناس، ولكنه لا يحسن الخلق مع أهله وهذا خطأ وقلب للحقائق، كيف تحسن الخلق مع الأباعد وتسيء الخلق مع الأقارب؟ فالأقارب أحق الناس بأن تحسن إليهم الصحبة والعشرة، ولهذا قال رجل: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال:«**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**» في الثالثة أو الرابعة [١]

والحاصل: أن إحسان العشرة مع الأهل والأصحاب والأقارب كل ذلك من حسن الخلق، وينبغي لنا في هذه المراكز الصيفية أن نستغل وجود الشباب بحيث نمرنهم على إحسان الخلق لتكون هذه المراكز مراكز تعليم وتربية؛ لأن العلم بدون تربية يكون ضرره أكثر من نفعه، لكن مع التربية يكون العلم مؤديًا لنتيجته المقصودة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [سورة آل عمران:٧٩].

---

(١) **متفق عليه**.(خ٥٩٧١-م٢٥٤٨) من حديث **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هذه فائدة العلم أن يكون الإنسان ربانيًّا بمعنى مُرَبِّيًا لعباد الله على شريعة الله، فهذه المراكز التي نأمل من القائمين عليها أن يجعلوها ميدانًا للتسابق في الأخلاق الفاضلة ومنها حسن الخلق، فحسن الخلق يكون بالطبع ويكون بالتطبع ـ كما تقدم ـ وحسن الخلق بالطبع أكمل من حسن الخلق بالتطبع، وأتينا على ذلك بدليل وهو قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «**بل جبلك الله عليهما**». (١)

وحسن الخلق بالتطبع قد يفوت الإنسان في مواطن كثيرة؛ لأن حسن الخلق بالتطبع يحتاج إلى ممارسة وإلى معاناة وإلى تذكر عند وجود كل ما يثير الإنسان، ولهذا جاء رجل إلى الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: يا رسول الله أوصني، قال: «**لا تغضب**» فردد مرارًا قال: «**لا تغضب**». (٢) وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**». (٣)

---

(١) **رواه البيهقي** في "سنن الكبرى" (١٣٥٨٧).

(٢) **رواه البخاري** في "صحيحه" (٦١١٦) من حديث **أبي هريرة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) **متفق عليه**.(خ٦١١٤-م٢٦٠٩) من حديث **أبي هريرة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

والصرعة: هو الذي يغلب الرجال عند المصارعة. "إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"، الذي يصرع نفسه ويملكها عند الغضب هو الشديد، وملك الإنسان نفسه عند الغضب يعتبر من أحسن الأخلاق، فإذا غضبت فلا تنفذ الغضب، استعذ بالله من الشيطان الرجيم، وإذا كنت قائمًا فاجلس وإذا كنت جالسًا فاضجع، وإذا زاد بك الغضب فتوضأ حتى يزول عنك.

والمقصود أننا نقول: إن حسن الخلق طبع وتطبع وأن حسن الخلق بالطبع هو الأفضل؛ لأنه يكون سجية الإنسان ويسهل عليه في كل موطن، ولكن التطبع قد يفوته في بعض المواقف.

كذلك نقول: إن حسن الخلق يكون بالاكتساب بمعنى أن الإنسان يمرن نفسه، فكيف يكون الإنسان حسن الخلق؟ يكون الإنسان حسن الخلق بالآتي:

أولًا: بأن ينظر في كتاب الله وسنة رسوله الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينظر النصوص الدالة على مدح ذلك الخلق العظيم، والمؤمن إذا رأى النصوص تمدح شيئًا من الأخلاق أو من الأعمال فإنه سوف يقوم به.

ثانيًا: مجالسة الأخيار والصالحين الموثوق بعلمهم وأمانتهم يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كمثل صاحب المسك**

وكير الحداد لا يَعدمُك من صاحب المسك: إما تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد: يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحًا خبيثة». (١)

فعليكم أيها الشباب أن تصاحبوا من عُرفوا بحسن الأخلاق، والبعد عن مساوئ الأخلاق وسفاسف الأعمال، حتى تأخذوا من هذه الصحبة مدرسة تستعينون بها على حسن الخلق.

ثالثًا: أن يتأمل الإنسان ماذا يترتب على سوء خلقه، فسيئ الخلق ممقوت، وسيئ الخلق مهجور، وسيئ الخلق مذكور بالوصف القبيح.

فإذا علم الإنسان أن سوء الخلق يفضي به إلى هذا فإنه يبتعد عنه.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المتمسكين بكتابه وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظاهرًا وباطنًا وأن يتوفانا على ذلك، وأن يتولانا في الدنيا والآخرة، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب. اهـ من "كتاب العلم" (١٨٠).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: كف الأذى بألا يؤذي الناس لا بلسانه ولا بجوارحه، وبذل الندى يعني العطاء، يبذل العطاء من مال وعلم وجاه

---

(١) **متفق عليه**.(خ٥٥٣٤-م٢٦٢٨) من حديث **أبي موسى الأشعري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وغير ذلك، وطلاقة الوجه بأن يلاقي الناس بوجه منطلق، ليس بعبوس، ولا مصعّرٍ خده، وهذا هو حسن الخلق.

ولا شك أن الذي يفعل هذا؛ فكيف الأذى ويبذل الندى ويجعل وجه منطلقـًا؛ لا شكل أنه سيصبر على أذى الناس أيضـًا، فإن الصبر على أذى الناس لا شك أنه من حسن الخُلق، فإن من الناس من يؤذي أخاه، وربما يعتدي عليه بما يضرّه؛ بأكل ماله، أو جحد حق له، أو ما أشبه ذلك، فيصبر ويحتسب الأجر من الله سبحانه وتعالى، والعاقبة للمتقين، وهذا كله من حسن الخلق مع الناس.اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٣/ ٥٥٧).

❊❊❊

من حسن الخلق مع المرأة تحمل الأذى منها

قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس حسن الخلق مع المرأة كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها، والحلم على طيشها وغضبها، اقتداءً برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففي "الصحيحين"، [1] من حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن أزواج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كن يراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل.اهـ من "مختصر منهاج القاصدين" (١/ ٧٨).

***

(١) **متفق عليه**.(خ٥١٩١-١٤٧٩) من حديث **ابن عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

ينبغي على المرأة أن تعلم أن ما يصيبها من أذى أو ألم وصبرت عليه فهي مأجورة

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولتعلم المرأة أن ما يصيبها من أذىً أو ألم في حال الحمل أو عند الوضع أو في الحضانة بعد ذلك فإنما هو رفعةٌ في درجاتها وكفارةٌ لسيئاتها إذا احتسبت هذا على الله سبحانه وتعالى).اهـ من "فتاوى نور على الدرب" (٢٢/ ٢).

***

من أذية الناس وضع الأذى في طريقهم

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ». رواه أحمد في "مسنده" (٣٠٥٠)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٥/ ٣٧٢).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: وإذا كان هذا من المحاسن ومن الصدقات، فإن وضع الأذى في طريق المسلمين من مساوئ الأعمال، فهؤلاء الناس الذين يلقون القشور في الأسواق، في ممرات الناس؛ لا شك أنهم إذا آذوا المسلمين فإنهم مأزورون، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [سورة الأحزاب:٥٨].

قال العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ: لو زلق به حيوان أو إنسان فانكسر، فعلى من وضعه ضمانه، يضمنه بالدية أو بما دون الدية إذ كان لا يحتمل الدية، المهم أن هذا من أذية المسلمين.

ومن ذلك أيضاً ما يفعله بعض الناس من إراقة المياه في الأسواق فتؤذي الناس، وربما السيارات من عندها، فتفسد على الإنسان ثيابه، وربما يكون فيها فساد لا شك للإسفلت؛ لأن الإسفلت كلما أتى عليه الماء وتكرر؛ فإنه يذوب ويفسد.

فالمهم أننا ـ مع الأسف الشديد ونحن أمة مسلمة ـ لا تبالي بهذه الأمور، وكأنها لا شيء، يلقى الإنسان الأذى في الأسواق، ولا يهتم بذلك، يكسر الزجاجات في الأسواق، ولا يهتم بذلك، الأعواد يلقيها؛ لا يهتم بذلك، حجر يضعه لا يهتم بذلك، إذن يستحب لنا كلما رأينا ما يؤذي أن نزيله عن الطريق؛ لأن ذلك صدقة، ومن محاسن الأعمال.اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٢/ ١٥٨).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه الصيغة صيغة تحذير، يعني أحذركم من الجلوس على الطرقات، وذلك لأن الجلوس على الطرقات يؤدي إلى كشف عورات الناس؛ الذاهب والراجع، وإلى النظر فيما معهم من الأغراض التي قد تكون خاصة مما لا يحبون أن يطلع عليها أحد، وبما يفضي أيضاً إلى الكلام والغيبة فيمن يمر، إذا مرَّ من عندهم أحد أخذوا يتكلمون في عرضه.

المهم أن الجلوس على الطرقات يؤدي إلى مفاسد، ولكن لما قال: «**إياكم والجلوس في الطرقات**». وحذرهم. قالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بدّ،

يعني أننا نجلس نتحدث، ويأنس بعضنا ببعض، ويألف بعضنا بعضاً، ويحصل في ذلك خير.

فلما رأى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنهم مصّممون على الجلوس قال: «**فإن أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه**». ولم يشدّد عليهم عليه الصلاة والسلام، ولم يمنعهم من هذه المجالس التي يتحدث بعضهم فيها إلى بعض، ويألف بعضهم بعضاً، ويأنس بعضهم ببعض، ولم يشق عليهم في هذا، وكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من صفته أنه بالمؤمنين رؤوف رحيم فقال: «**إن أبيتم إلا المجلس**» يعني إلا الجلوس «**فاعطوا الطريق حقه**». قالوا: وما حقه يا رسول الله؟ قال «**غض البصر، وكفُّ الأذى، وردُ السلام، والأمرُ بالمعروف، والنهي عن المنكر**». (١) خمسة أشياء:

أولاً: غض البصر: أن تغضوا أبصاركم عمن يمر، سواء كان رجلاً أو امرأة، لأن المرأة يجب أن يغض الإنسان من بصره عنها، والرجل كذلك، تغض المرأة البصر عنه، لا تُحد البصر فيه حتى تعرف ما معه، وكان الناس في السابق يأتي الرجل بأغراض البيت يومياً فيحملها في يده، ثم إذا مرّ بهؤلاء شاهدوها

---

(١) **متفق عليه**.(خ٢٤٦٥-م٢١٢١) من حديث **أبي سعيد الخدري** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وجاء بنحوه في "صحيح مسلم" (٢١٦١) من حديث **أبي طلحة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وقالوا: ما الذي معه؟ وما أشبه ذلك، وكانوا إلى قوت غير بعيد إذا مرّ الرجل ومعه اللحم لأهل بيته صاروا يتحدثون: فلان قد أتى اليوم بلحم لأهله، فلان أتي بكذا، فلان أتى بكذا، فلهذا أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه بغض البصر.

ثانيًا: كف الأذى: أي كفّ الأذى القولي والفعلي.

أما الأذى القولي: فبأن يتكلموا على الإنسان إذ مرّ، أو يتحدثوا فيه بعد ذلك بالغيبة والنميمة.

والأذى الفعلي: بان يضايقوه في الطريق، بحيث يملؤون الطريق حتى يؤذوا المارة، ولا يحصل المرور إلا بتعب ومشقة.

ثالثًا: ردُّ السلام: إذا سلم أحد فردوا عليه السلام، هذا من حق الطريق؛ لأن السنة أن المار يسلم على الجالس، فإذا كانت السنة أن يسلم المار على الجالس فإذا سلم فردوا السلام.

رابعًا: الأمر المعروف: فالمعروف هو كلّ ما أمر الله تعالى به أو أمر به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنك تأمر به، فإذا رأيتم أحداً مقصراً سواء كان من المارين أو من غيرهم فأمروه بالمعروف، وحثوه على الخير ورغبوه فيه،

خامسًا: النهي عن المنكر: فإذا رأيتم أحداً مرّ وهو يفعل المنكر، مثل أن يمرّ وهو يشرب الدخان أو ما أشبه ذلك من المنكرات، فأنهوه عن ذلك، فهذا حق الطريق.

ففي هذا الحديث يُحذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلمين من الجلوس على الطرقات، فإن كان لابد من ذلك، فإنه يجب أن يعطى الطريق حقَّه.

وحق الطريق خمسة أمور؛ بينها النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهي: «**غضُّ البصر، وكف الأذى، وردُّ السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**». هذه حقوق الطريق لمن كان جالسًا فيه كما بينها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٢/ ٤٤١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ**» قَالَ: «**تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ**» قَالَ: «**وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**». متفق عليه.(خ ٢٩٨٩-م١٠٠٩)

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وتميط الأذى عن الطريق صدقة؛ يعني إذا رأيت ما يؤلم المشاة فأمطته أي: أزلته فهذه صدقة، سواء كان حجراً، أم زجاجًا، أم قشر بطيخ، أم ثيابًا يلتوي بعضها على بعض، أو ما أشبه ذلك.

والحاصل: أن كل ما يؤذي أَزِلْه عن الطريق، فإنك بذلك تكون متصدقًا، وإذا كان إماطة الأذى عن الطريق صدقة؛ فإن إلقاء الأذى في الطريق سيئة.

ومن ذلك من يلقون قمامتهم في وسط الشارع، أو يتركون المياه تجري في الأسواق فتؤذي الناس، مع أن في ترك المياه مفسدة أخرى، وهي استنفاد الماء؛ لأن الماء مخزون في الأرض، قال الله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ [سورة الحجر:٢٢]. والمخزون ينفد.

ولهذا نرى أن الذي يترك المياه ويسرف في صرفها ولا يبالي في ضياعها مسيء إلى كل الأمة؛ لأن الماء مشترك، فإذا أسأت في تصريفه وأنفقته ولم تبال به كنت مسرفًا، والله لا يحب المسرفين، وكنت مسيئًا لتهديد الأمة في نقص مائها أو زواله، وهذا ضرر عام.

والحاصل: أن الذين يلقون في الأسواق ومسار الناس ما يؤذيهم هم مسيئون، والذين يزيلون ذلك هم متصدقون. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٣/ ٣٧).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ**» قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ**». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٦٩).

قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ **قَالَ الْخَطَّابِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: يُرِيدُ بِاللَّعَّانَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْجَالِبَيْنِ لِلَّعْنِ، الْحَامِلَيْنِ لِلنَّاسِ عَلَيْهِ؛ وَالدَّاعِيَيْنِ إِلَيْهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ فَعَلَهَا لُعِنَ وَشُتِمَ؛ يَعْنِي أَنَّ عَادَةَ النَّاسِ لَعْنُهُ، فَهُوَ سَبَبٌ؛ فَانْتِسَابُ اللَّعْنِ إِلَيْهِمَا مِنْ الْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ؛ قَالُوا: وَقَدْ يَكُونُ اللَّاعِنُ بِمَعْنَى الْمَلْعُونَ، فَاعِلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، فَهُوَ كَذَلِكَ مِنْ الْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ.

وَالْمُرَادُ بِالَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ، أَيْ: يَتَغَوَّطُ فِيمَا يَمُرُّ بِهِ النَّاسُ؛ فَإِنَّهُ يُؤْذِيهِمْ بِنَتْنِهِ وَاسْتِقْذَارِهِ، وَيُؤَدِّي إِلَى لَعْنِهِ؛ فَإِنْ كَانَ لَعْنُهُ جَائِزًا فَقَدْ تَسَبَّبَ إِلَى الدُّعَاءِ عَلَيْهِ بِإِبْعَادِهِ عَنْ الرَّحْمَةِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ جَائِزٍ فَقَدْ تَسَبَّبَ إِلَى تَأْثِيمِ غَيْرِهِ بِلَعْنِهِ، فَإِنْ قُلْتَ: فَأَيُّ الْأَمْرَيْنِ أُرِيدَ هُنَا؟ قُلْتُ: أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ بِإِسْنَادٍ حَسَّنَهُ الْحَافِظُ الْمُنْذِرِيُّ، عَنْ **حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ**». (١)

---

(١) تقدم تخريجه.

وَأَخْرَجَ فِي الْأَوْسَطِ، وَالْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرِهِمَا بِرِجَالٍ ثِقَاتٍ إِلَّا مُحَمَّدَ بْنَ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيَّ، وَقَدْ وَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْت رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: «**مَنْ سَلَّ سَخِيمَتَهُ عَلَى طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ النَّاسِ الْمُسْلِمِينَ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**».(١) وَالسَّخِيمَةُ بِالسِّينِ الْمَفْتُوحَةِ الْمُهْمَلَةِ وَالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ فَمُثَنَّاةٍ تَحْتِيَّةٍ: الْعَذِرَةُ.

فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ دَالَّةٌ عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ اللَّعْنَةَ، وَالْمُرَادُ بِالظِّلِّ هُنَا مُسْتَظَلُّ النَّاسِ الَّذِي اتَّخَذُوهُ مَقِيلًا، وَمُنَاخًا يَنْزِلُونَهُ، وَيَقْعُدُونَ فِيهِ، إِذْ لَيْسَ كُلُّ ظِلٍّ يَحْرُمُ الْقُعُودُ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ تَحْتَهُ، فَقَدْ «**قَعَدَ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **تَحْتَ حَائِشِ النَّخْلِ لِحَاجَتِهِ**»،(٢) وَلَهُ ظِلٌّ بِلَا شَكٍّ.اهـ من "سبل السلام" (١/ ١٠٩).

***

(١) **هذا الحديث ضعيف؛** ضعفه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الضعيفة" (١١/ ٢٥٢).

(٢) **رواه مسلم** في "صحيحه" (٣٤٢) من حديث **عبد الله بن جعفر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فضل إماطة الأذى عن طريق الناس

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللهِ لَأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ». رواه مسلم في "صحيحه" (١٩١٤).

الشاهد من الحديث قوله: «وَاللهِ لَأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ».

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: فيما نقله عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لقد أريت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين». [1] وفي الرواية الأخرى: «أنه دخل الجنة، وغفر الله له». بسبب غصن أزاله عن طريق المسلمين، وسواء كان هذا الغصن من فوق، يؤذيهم من عند رؤوسهم، أو من أسفل يُؤذيهم من جهة أرجلهم، المهم أنه غصن شوك يؤذي المسلمين فأزاله عن الطريق، أبعده ونحاه، فشكر الله له ذلك، وأدخله الجنة، مع أن هذا الغصن إذا آذى المسلمين

(١) رواه مسلم في "صحيحه" (١٩١٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فإنما يؤذيهم في أبدانهم، ومع ذلك غفر الله لهذا الرجل، وأدخله الجنة. ففيه دليل على فضيلة إزالة الأذى عن الطريق، وأنه سبب لدخول الجنة.

وهذا الحديث دليل: على أن من أزال عن المسلمين الأذى فله هذا الثواب العظيم في أمر حسيٍّ، فكيف بالأمر المعنوي؟ هناك بعض الناس ـ والعياذ بالله ـ أهل شر وبلاء، وأفكار خبيثة، وأخلاق سيئة، يصدون الناس عن دين الله، فإزالة هؤلاء عن طريق المسلمين أفضل بكثير وأعظم أجراً عند الله، فإذا أزيل أذى هؤلاء، إذا كانوا أصحاب أفكار خبيثة سيئة إلحادية، يرد عليها، وتبطل أفكارهم.

والواجب على ولاة الأمور أن يزيلوا الأذى عن طريق المسلمين، أي أن يزيلوا كل داعية إلى شر، أو إلى إلحاد، أو إلى مجون، أو إلى فسوق بحيث يمنع من نشر ما يريد من أي شيء كان من الشر والفساد، وهذا هو الواجب.

ولكن لا شك أن ولاة الأمور الذين ولاهم الله على المسلمين في بعضهم تقصير، وفي بعضهم تهاون، يتهاونون بالأمر في أوله حتى ينمو ويزداد، وحينئذ يعجزون عن صده، فالواجب أن يقابل الشر من أول أمره بقطع دابره، حتى لا ينتشر ولا يضل الناس به.

المهم أن إزالة الأذى عن الطريق، والطريق الحسي، طريق الأقدام، والطريق المعنوي، طريق القلوب، والعمل على إزالة الأذى عن هذا الطريق كله مما

يقرب إلى الله، وإزالة الأذى عن طريق القلوب، والعمل الصالح أعظم أجراً، وأشد إلحاحًا من إزالة الأذى عن طريق الأقدام. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٢/ ١٧٥).

وعن أبي بَرْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَنْتَفِعُ بِهِ، قَالَ: «اعْزِلِ الْأَذَى، عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ». رواه مسلم في "صحيحه" (٢٦١٨).

الشاهد من الحديث قوله: «يَا نَبِيَّ اللهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَنْتَفِعُ بِهِ».

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ، لَا تُدْفَنُ». رواه مسلم في "صحيحه" (٥٥٣).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: عرضت علي: يعني بلغت عنها، وبينت لي، والذي بينها له هو الله ـ عز وجل ـ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الذي يحلل ويحرم ويوجب، فعرض الله ـ عز وجل ـ على نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المحاسن والمساوئ من أعمال الأمة، فوجد من محاسنها: الأذى يماط عن الطريق، ويماط: يعني يزال، والأذى ما يُؤذي المارة؛ من شوك، وأعواد، وأحجار، وزجاج، وأرواث، وغير ذلك. كل ما يؤذي فإماطته من محاسن الأعمال.

وقد بين النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن إماطة الأذى عن الطريق صدقة، فهو من محاسن الأعمال، وفيه ثواب الصدقة، وبين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أن الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**». (١) **فإذا وجدت في الطريق أذى فأماطته؛ فإن ذلك من محاسن أعمالك، وهو صدقة لك، وهو من خصال الإيمان وشعب الإيمان، وإذا كان هذا من المحاسن ومن الصدقات، فإن وضع الأذى في طريق المسلمين من مساوئ الأعمال، فهؤلاء الناس الذين يلقون القشور في الأسواق، في ممرات الناس؛ لا شك أنهم إذا آذوا المسلمين فإنهم مأزورون، قال الله تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [سورة الأحزاب:٥٨].

قال العلماء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **لو زلق به حيوان أو إنسان فانكسر، فعلى من وضعه ضمانه، يضمنه بالدية أو بما دون الدية إذ كان لا يحتمل الدية، المهم أن هذا من أذية المسلمين.**

---

(١) **متفق عليه**.(خ٩-م٣٥). من حديث **أبي هريرة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ومن ذلك أيضًا ما يفعله بعض الناس من إراقة المياه في الأسواق فتؤذي الناس، وربما السيارات من عندها، فتفسد على الإنسان ثيابه، وربما يكون فيها فساد لا شك للإسفلت؛ لأن الإسفلت كلما أتى عليه الماء وتكرر؛ فإنه يذوب ويفسد.

فالمهم أننا مع الأسف الشديد ونحن أمة مسلمة لا تبالي بهذه الأمور، وكأنها لا شيء، يلقى الإنسان الأذى في الأسواق، ولا يهتم بذلك، يكسر الزجاجات في الأسواق، ولا يهتم بذلك، الأعواد يلقيها؛ لا يهتم بذلك، حجر يضعه لا يهتم بذلك، إذن يستحب لنا كلما رأينا ما يؤذي أن نزيله عن الطريق؛ لأن ذلك صدقة، ومن محاسن الأعمال. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٢/ ١٥٧).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ». متفق عليه. (خ٩-م٣٥).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (يعني إزالة الأذى عن الطريق، وهو كل ما يؤذي المارين، من حجر، أو شوك، أو زجاج، أو خرق، أو غير ذلك، كل ما يؤذي المارين إذا أزلته فإن ذلك من الإيمان). اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٢/ ١٧٠).

إماطة الأذى عن طريق الناس من الصدقات الجارية:

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن الصدقات الجارية إصلاح الطرق، فإن الإنسان إذا أصلح الطرق وأزال عنها الأذى واستمر الناس ينتفعون بهذا، فإن ذلك من الصدقات الجارية والقاعدة في الصدقة الجارية كل عمل صالح يستمر للإنسان بعد موته)**.اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٥/ ٤٣٨).

❊❊❊

من حقوق الجلوس في الطريق كف الأذى

عن أبي طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كُنَّا قُعُودًا بِالْأَفْنِيَةِ نَتَحَدَّثُ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «**مَا لَكُمْ وَلِمَجَالِسِ الصُّعُدَاتِ اجْتَنِبُوا مَجَالِسَ الصُّعُدَاتِ، فَقُلْنَا إِنَّمَا قَعَدْنَا لِغَيْرِ مَا بَاسٍ قَعَدْنَا نَتَذَاكَرُ وَنَتَحَدَّثُ**» قَالَ: «**إِمَّا لَا فَأَدُّوا حَقَّهَا غَضُّ الْبَصَرِ، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَحُسْنُ الْكَلَامِ**». رواه مسلم في "صحيحه" (٢١٦١).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ**» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فَقَالَ: «**إِذْ أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ**» قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ**». متفق عليه.(خ٦٢٢٩-م٢١٢١).

❊❊❊

الصبر على أذى المؤذي أو معاقبته

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما الأذى فيما يتعلق بأمور الدنيا ومعاملة الناس؛ فأنت بالخيار إن شئت فاصبر، وإن شئت فخذ بحقك، والصبر أفضل، إلا إذا كان في الصبر عدوان واستمرار في العدوان، فالأخذ بحقك أولى.

ولنفرض أن لك جاراً يؤذيك؛ بأصوات مزعجة، أو دق الجدار، أو إيقاف السيارة أمام بيتك، أو ما أشبه ذلك، فالحق إذاً لك، وهو لو يؤذك في ذات الله، فإن شئت فاصبر وتحمل وانتظر الفرج، والله سبحانه وتعالى يجعل لك نصيراً عليه، وإن شئت فخذ بحقك؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [سورة الشورى: ٤١].

ولكن الصبر أفضل ما لم يحصل بذلك زيادة عدوان من المعتدي، فحينئذٍ الأفضل أن يأخذ بحقه ليردعه عن ظلمه. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٣/ ٦١١).

***

احذر من المن والأذى في بذل الصدقة

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة:٢٦٣].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: الذين ينفقون أموالهم في طاعة الله وسبيله، ولا يتبعونها بما ينقصها ويفسدها من المن بها على المنفق عليه بالقلب أو باللسان، بأن يعدد عليه إحسانه ويطلب منه مقابلته، ولا أذية له قولية أو فعلية، فهؤلاء لهم أجرهم اللائق بهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فحصل لهم الخير واندفع عنهم الشر لأنهم عملوا عملاً خالصاً لله سالماً من المفسدات. {قول معروف} أي: تعرفه القلوب ولا تنكره، ويدخل في ذلك كل قول كريم فيه إدخال السرور على قلب المسلم، ويدخل فيه رد السائل بالقول الجميل والدعاء له {ومغفرة} لمن أساء إليك بترك مؤاخذته والعفو عنه، ويدخل فيه

العفو عما يصدر من السائل مما لا ينبغي، فالقول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التي يتبعها أذى، لأن القول المعروف إحسان قولي، والمغفرة إحسان أيضا بترك المؤاخذة، وكلاهما إحسان ما فيه مفسد، فهما أفضل من الإحسان بالصدقة التي يتبعها أذى بمنّ أو غيره، ومفهوم الآية أن الصدقة التي لا يتبعها أذى أفضل من القول المعروف والمغفرة، وإنما كان المنّ بالصدقة مفسدا لها محرما، لأن المنّة لله تعالى وحده، والإحسان كله لله، فالعبد لا يمنّ بنعمة الله وإحسانه وفضله وهو ليس منه، وأيضـًا فإن المانّ مستعبِدٌ لمن يمنّ عليه، والذّل والاستعباد لا ينبغي إلا لله، والله غني بذاته عن جميع مخلوقاته، وكلها مفتقرة إليه بالذات في جميع الحالات والأوقات، فصدقتكم وإنفاقكم وطاعاتكم يعود مصلحتها إليكم ونفعها إليكم، {والله غني} عنها، ومع هذا فهو {حليم} على من عصاه لا يعاجله بعقوبة مع قدرته عليه، ولكن رحمته وإحسانه وحلمه يمنعه من معاجلته للعاصين، بل يمهلهم ويصرّف لهم الآيات لعلهم يرجعون إليه وينيبون إليه، فإذا علم تعالى أنه لا خير فيهم ولا تغني عنهم الآيات ولا تفيد بهم المثلات أنزل بهم عقابه وحرمهم جزيل ثوابه).اهـ من "تفسيره" (١١٣).

❊❊❊

احذر من إبطال صدقتك بالمن والأذى

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٤].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ينهى عباده تعالى لطفاً بهم ورحمة عن إبطال صدقاتهم بالمنّ والأذى ففيه أن المنّ والأذى يبطل الصدقة، ويستدل بهذا على أن الأعمال السيئة تبطل الأعمال الحسنة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [سورة الحجرات: ٢].

فكما أن الحسنات يذهبن السيئات فالسيئات تبطل ما قابلها من الحسنات، وفي هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [سورة محمد: ٣٣].

حث على تكميل الأعمال وحفظها من كل ما يفسدها لئلا يضيع العمل سدى، وقوله: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ أي: أنتم وإن قصدتم بذلك وجه الله في ابتداء الأمر، فإن المنة والأذى مبطلان لأعمالكم، فتصير أعمالكم بمنزلة الذي يعمل لمراءاة الناس ولا يريد به الله والدار الآخرة، فهذا لا شك أن عمله من أصله مردود، لأن شرط العمل أن يكون لله وحده وهذا في الحقيقة عمل للناس لا لله، فأعماله باطلة وسعيه غير مشكور، فمثله المطابق لحاله ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ وهو الحجر الأملس الشديد ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ أي: مطر غزير ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾{فتركه صلدا} أي: ليس عليه شيء من التراب، فكذلك حال هذا المرائي، قلبه غليظ قاس بمنزلة الصفوان، وصدقته ونحوها من أعماله بمنزلة التراب الذي على الصفوان، إذا رآه الجاهل بحاله ظن أنه أرض زكية قابلة للنبات، فإذا انكشفت حقيقة حاله زال ذلك التراب وتبين أن عمله بمنزلة السراب، وأن قلبه غير صالح لنبات الزرع وزكائه عليه، بل الرياء الذي فيه والإرادات الخبيثة تمنع من انتفاعه بشيء من عمله، فلهذا ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ من أعمالهم التي اكتسبوها، لأنهم وضعوها في غير موضعها وجعلوها لمخلوق مثلهم، لا

يملك لهم ضرراً ولا نفعاً وانصرفوا عن عبادة من تنفعهم عبادته، فصرف الله قلوبهم عن الهداية، فلهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.اهـ من "تفسيره" (١١٣).

***

تسمية الحيض بالأذى

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [سورة البقرة:٢٢٢].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يخبر تعالى عن سؤالهم عن المحيض، وهل تكون المرأة بحالها بعد الحيض، كما كانت قبل ذلك، أم تجتنب مطلقا كما يفعله اليهود؟. (١)

---

(١) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا، وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ [سورة البقرة:٢٢٢]. إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ**» فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ، فَقَالُوا: مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ، فَجَاءَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ فَقَالَا يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الْيَهُودَ تَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، فَلَا نُجَامِعُهُنَّ؟ فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِمَا، فَخَرَجَا فَاسْتَقْبَلَهُمَا هَدِيَّةٌ مِنْ لَبَنٍ إِلَى النَّبِيِّ

فأخبر تعالى أن الحيض أذى، وإذا كان أذى، فمن الحكمة أن يمنع الله تعالى عباده عن الأذى وحده، ولهذا قال: ﴿فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ﴾ أي: مكان الحيض، وهو الوطء في الفرج خاصة، فهذا هو المحرم إجماعاً، وتخصيص الاعتزال في المحيض، يدل على أن مباشرة الحائض وملامستها، في غير الوطء في الفرج جائز.

لكن قوله: ﴿وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ﴾ يدل على أن المباشرة فيما قرب من الفرج، وذلك فيما بين السرة والركبة، ينبغي تركه كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أراد أن يباشر امرأته وهي حائض، أمرها أن تتزر، فيباشرها.

وحد هذا الاعتزال وعدم القربان للحُيَّض ﴿حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ﴾ أي: ينقطع دمهن، فإذا انقطع الدم، زال المنع الموجود وقت جريانه، الذي كان لحله شرطان، انقطاع الدم، والاغتسال منه.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْسَلَ فِي آثَارِهِمَا فَسَقَاهُمَا، فَعَرَفَا أَنْ لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِمَا. **رواه مسلم** في "صحيحه" (٣٠٢).

فلما انقطع الدم، زال الشرط الأول وبقي الثاني، فلهذا قال: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي: اغتسلن ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: في القبل لا في الدبر، لأنه محل الحرث.

وفيه دليل على وجوب الاغتسال للحائض، وأن انقطاع الدم، شرط لصحته، ولما كان هذا المنع لطفا منه تعالى بعباده، وصيانة عن الأذى قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ أي: من ذنوبهم على الدوام ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ أي: المتنزهين عن الآثام وهذا يشمل التطهر الحسي من الأنجاس والأحداث، ففيه مشروعية الطهارة مطلقا، لأن الله يحب المتصف بها، ولهذا كانت الطهارة مطلقًا، شرطًا لصحة الصلاة والطواف، وجواز مس المصحف، ويشمل التطهر المعنوي عن الأخلاق الرذيلة، والصفات القبيحة، والأفعال الخسيسة.اهـ من "تفسيره" (١٠٠).

❊❊❊

بعض الأشياء التي تسبب الأذية

(١): أن يتناجى اثنان دون الثالث:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ**». متفق عليه.(خ٦٢٩٠-م٢١٨٤).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني إذا كانوا ثلاثة فإنه لا يحل لاثنين أن يتناجيا دون الثالث، لأن الثالث يحزن، ويقول لماذا ما كلموني، هذا إذا أحسن بهما الظن، وربما يسيء بهما الظن، ولكن إذا أحسن بهما الظن قال لماذا أنا ليس لي قيمة؟ يتناجيان دوني؟ فلذلك نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذا، ولا شك أن هذا من الآداب.

فإن قال قائل: إذا كانت بيني وبين صاحبي مسألة لا أحب أن يطلع عليها أحد، مسألة خاصة؟ قلنا: افعل كما فعل عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ادع واحداً لتكونوا كم؟ أربعة، فيتناجى اثنان، واثنان يتكلمان فيما بينهما، كما كان ابن عمر يفعل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكما دل عليه الحديث: حتى تختلطوا بالناس في حديث ابن مسعود، فإذا اختلطا بالناس زالت المشكلة، ومن ذلك من التناجي بين

اثنين دون الثالث، إذا كانوا ثلاثة واثنين يجيدان لغة أجنبية والثالث لا يجيدها، فجعلا يتحدثان بلغتهما، والثالث يسمع ولا يفهم ما يقولان، هذا نفس الشيء، لأن ذلك يحزنه، لماذا تركاني وصارا يتحدثان وحدهما؟ أو ربما يسيء الظن بهما، مثل أن يتكلم واحد مع آخر باللغة الإنجليزية، والثالث لا يعرفها، فهذا كالمتناجيين إذ أن رفع الصوت لا يفيدهم شيئا، فينهى عن ذلك، فإذا قال قائل: إذا كان له حاجة في أخيه؟ قلنا: يفعل كما فعل ابن عمر، وإذا لم يمكن ولم يقابلهم أحد، فإنهما يستأذنان منه، يقولان له أتأذن لنا أن نتكلم؟ فإذا أذن لهم في ذلك فالحق لهم، وحينئذ لا يحزن ولا يهتم بالأمر.اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٦/ ٢٨٩).

(٢): تخطي رقاب الناس يوم الجمعة:

عَنْ أَبِي الزَّاهِرِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: كُنَّا مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَاحِبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ بُسْرٍ: جَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ**». **رواه أبو داود** في "سننه" (١١١٨)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح أبي داود" (١١١٨).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والصحيح: أن تخطي الرقاب حرام في الخطبة وغيرها؛ لقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرجل رآه يتخطى رقاب الناس: «**اجلس فقد آذيت**». [١] ولا سيما إذا كان ذلك أثناء الخطبة؛ لأن فيه أذية للناس، وإشغالاً لهم عن استماع الخطبة، إشغال لمن باشر تخطي رقبته، وإشغال لمن يراه ويشاهده، فتكون المضرة به واسعة. اهـ من "الشرح الممتع" (٥/ ٩٥).

(٣): أكل البصل أو الكراث أو الثوم:

عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**من أكل ثومًا، أو بصلاً، فليعتزلنا أو ليعتزل مسجدنا، وليقعد في بيته**». متفق عليه. (خ٨٥٥- م٥٦٤).

تنبيه: متى يحرم على الإنسان أكل الثوم والبصل والكرّاث؟

الجواب: قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: البصل والثوم ليسا حرامًا يجوز للإنسان أن يأكلهما لكن إذا أكلهما فلا يدخل المسجد ولا يصلي مع جماعة ولا يحضر درس علم لأن الملائكة تتأذى منه برائحته الخبيثة، وكذلك قال العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ من كان به رائحة أسنان أو بخر في الفم أو رائحة كريهة أو ما أشبه ذلك، فإنه لا يقرب المسجد حتى يزيل هذه الرائحة لأن العلة قائمة وهي

---

(١) تقدم تخريجه.

تأذي الملائكة بالروائح الكريهة، فإن قال قائل لو أن الإنسان استعمل شيئاً تذهب به الرائحة فهل يجوز أن يدخل نقول: نعم يجوز إذا أكل ما يذهب الرائحة إذهاباً كاملاً ولا صار يخرج من المعدة رائحة فلا بأس؛ لأن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً فإن قال إنسان هل يجوز للإنسان أن يأكلهما لئلا يحضر المسجد قلنا لا حرام لا يجوز للإنسان أن يتوصل إلى إسقاط الفرض بأي سبب كان لكن لو أكلهما لأنه يشتهيهما فإننا نقول الأكل مباح ولكن لا تقرب المسجد حتى تزول رائحتهما، والله الموفق. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٦/ ٤٤٦).

تنبيه: هل الذي يتناول الأشياء التي فيها الروائح الكريهة يعتزل أماكن اجتماعات الناس مثل المجالس وغيرها؟

الجواب: قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقوله: (فلا يقربنّا ولا يصلّ معنا) يدل على أن مجتمع الناس حيث كان لصلاة أو غيرها؛ كمجالس العلم والولائم وما أشبهها، لا يقربها، وَمِنْ حَدِيثِ: **أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «فَلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، وَلا يُؤْذِيَنَا بِرِيحِ الثُّومِ»**. [1] أكل الثوم وما في معناه؛ مما له رائحة كريهة تؤذي

(١) رواه مسلم في "صحيحه" (٥٦٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الناس، ولذلك جمع بين الثوم والبصل والكراث في حديث جابر. اهـ من "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" (٥/ ٩٥).

تنبيه: هل الذي يشرب الدخان والشمة والشيشة يدخل في هذا النهي؟

الجواب: قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ونأسف فإن بعض الناس، نسأل الله لنا ولهم الهداية والعصمة، يشرب الدخان أو الشيشة ويأتي إلى المسجد ورائحة الدخان والشيشة في فمه أو على ثيابه، مع أن هذه رائحة كريهة كلٌ يكرهها، حتى إن بعض الناس لا يستطيع أن يصلي جنب مثل هؤلاء، وهؤلاء يحرم عليهم أن يدخلوا المسجد والروائح الكريهة بفيهم، وكذلك من به إصنان، والاصنان رائحة كريهة تفوح من إبطيه، أو تفوح من أذنيه، أو تفوح من رأسه وتؤذي، فإنه لا يجوز أن يصلي ما دامت الرائحة المؤذية فيه، لا يجوز أن يدخل المسجد بل يبتعد.

والحمد لله، فإن هذه من المصائب والبلاوي، فهذا ابتلي بمثل هذا لا يقول كيف أحرم نفسي المسجد، فهذا من الله عز وجل، فاحرم نفسك المسجد ولا تؤذي الناس والملائكة، وحاول بقدر ما تستطيع أن تتخلص من هذه الرائحة؛ أما بالتنظيف التام، أو بأن تضع رائحة طيبة تغطي الرائحة الكريهة، وبهذا يمكن أن تعالج هذه الروائح فلا يشم منك إلا الرائحة الطيبة. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٣/ ١٦٣).

وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن أول تلك الملحقات بالثوم: النبات الخبيث المعروف ب (التتن) لأن نتن ريحه أشد إيذاء للمسلمين من الثوم وغيره مما نص عليه في الحديث كما يشهد بذلك كل من عافاه الله من هذه البلية التي لا يكاد ينجو منها إلا القليل بل يشهد بذلك المبتلون أنفسهم عافاهم الله منه ولن يعافيهم الله إلا إذا سلكوا سبيلها: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [سورة الليل:٥-٧]. تلك هي سنة الله في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلاً. اهـ من "الثمر المستطاب" (٢/ ٦٦٤).

تنبيه: ما هي العلة من هذا النهي؟

الجواب: قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كذلك قال العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ من كان به رائحة أسنان أو بخر في الفم أو رائحة كريهة أو ما أشبه ذلك فإنه لا يقرب المسجد حتى يزيل هذه الرائحة؛ لأن العلة قائمة وهي تأذي الملائكة بالروائح الكريهة فإن قال قائل لو أن الإنسان استعمل شيئًا تذهب به الرائحة فهل يجوز أن يدخل نقول نعم يجوز إذا أكل ما يذهب الرائحة إذهابًا كاملاً ولا صار يخرج من المعدة رائحة فلا بأس لأن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدمًا. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٦/ ٤٤٦).

تنبيه: ما هي الأشياء التي تُذهب رائحة الثوم والبصل والكرّاث؟

الجواب: التمر والبقدونس وغيرها، من الفواكه، لكن التمر والبقدونس، أشهرها وهي مجربة في إزالة هذه الروائح الكريهة.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن قال قائل لو أن الإنسان استعمل شيئاً تذهب به الرائحة فهل يجوز أن يدخل نقول نعم يجوز إذا أكل ما يذهب الرائحة إذهاباً كاملاً ولا صار يخرج من المعدة رائحة فلا بأس؛ لأن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٦/ ٤٤٨).

***

قد يكون الأذى مطهرا للإنسان من الذنوب والمعاصي

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ، وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، وَقُلْتُ: إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، قُلْتُ: إِنَّ ذَاكَ بِأَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: «**أَجَلْ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى إِلَّا حَاتَّ اللهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ، كَمَا تَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ**». **متفق عليه**.(خ ٥٦٤٧-م ٢٥٧١).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا الذي ينال الإنسان من الأذى والمرض وغيره لا يدوم، لابد أن ينتهي، فإذا انتهى وأنت تكسب حسنات باحتساب، الأجر على الله عز وجل ويكفر عنك من سيئاتك بسببه؛ صار خيراً لك، كما ثبت عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه قال: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له،

وإن أصابته سراء شكر فكان خير له»، [1] **فالمؤمن على كل حال هو خير، في ضراء أو في سراء.** اهـ من "شرح رياض الصالحين" (١/ ٢٥٠).

وعَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ فِي جَسَدِهِ يُؤْذِيهِ، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ عَنْهُ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ**». **رواه أحمد** في "مسنده" (١٦٨٩٩)، وإسناده صحيح.

❊❊❊

(١) **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٩٩٩) من حديث **صهيب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأمر بإماطة الأذى عن بعض الأشياء

إماطة الأذى من النعال:

عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ إِذْ خَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَنْ يَسَارِهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْقَوْمُ أَلْقَوْا نِعَالَهُمْ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ، قَالَ: «**مَا حَمَلَكُمْ عَلَى إِلْقَاءِ نِعَالِكُمْ**»، قَالُوا: رَأَيْنَاكَ أَلْقَيْتَ نَعْلَيْكَ فَأَلْقَيْنَا نِعَالَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ جِبْرِيلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِمَا قَذَرًا - أَوْ قَالَ: أَذًى**» وَقَالَ: «**إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلْيَنْظُرْ: فَإِنْ رَأَى فِي نَعْلَيْهِ قَذَرًا أَوْ أَذًى فَلْيَمْسَحْهُ وَلْيُصَلِّ فِيهِمَا**». **رواه أبو داود** في "سننه" (٦٥٠)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح أبي داود" (١/ ٢)، وهو في "الصحيح المسند" (١/ ٣٤٩) **للإمام الوادعي** رَحِمَهُ اللَّهُ.

الشاهد من الحديث قوله: «**إِنَّ جِبْرِيلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِمَا قَذَرًا - أَوْ قَالَ: أَذًى**».

إماطة الأذى من اللقمة إذا سقطت:

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا، فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ، وَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ بِالْمِنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ**». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٠٣٣).

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ، قَالَ: وَقَالَ: «**إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ عَنْهَا الْأَذَى وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ**»، وَأَمَرَنَا أَنْ نَسْلُتَ الْقَصْعَةَ، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ الْبَرَكَةُ**». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٠٣٤).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: فإذا سقطت اللقمة أو التمرة أو ما أشبه ذلك على السفرة؛ فخذها وأزل ما فيها من الأذى إن كان فيها أذى من تراب أو عيدان وكلها؛ تواضعاً لله عز وجلّ، وامتثالاً لأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحرماناً للشيطان من الأكل معك، لأنك إذا تركتها أكلها الشيطان.اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٣/ ٥٣٠).

❋❋❋

احذر من أذية البهائم والحيوانات بتجوعها أو تحميلها فوق طاقتها أو حبسها عن الطعام والشراب

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا، أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ، قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: «**مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ، لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟**»، فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللهِ. فَقَالَ: «**أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا؟، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ**». رواه الترمذي في "سننه" (٢٥٤٩)، وهو في "الصحيح المسند" (١/ ٤٧٦) للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وعَنْ سَهْلِ ابْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ، فَقَالَ: «**اتَّقُوا اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ، فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً،**

وَكُلُوهَا صَالِحَةً». **رواه أبو داود** في "سننه" (٢٥٤٨)، وهو في "الصحيح المسند" (١/ ٣٩٠) **للإمام الوادعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جَمَلٌ يُقَالُ لَهُ الدَّمُونُ، فَكَانَ إِذَا اسْتَعَارَهُ مِنْهُ رَجُلٌ قَالَ: لَا تَحْمِلْ عَلَيْهِ إِلَّا طَاقَتَهُ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الْمَوْتِ، قَالَ: «**يَا دَمُونُ لَا تُخَاصِمْنِي عِنْدَ رَبِّي؛ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ أَحْمِلْ عَلَيْكَ، إِلَّا مَا كُنْتَ تُطِيقُ**». **رواه ابن أبي الدنيا** في كتابه "الورع" (١٧٩).

وعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**». **متفق عليه**. (خ ٢٣٦٥_م ٢٢٤٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عذبت امرأة في هرة، لم تطعمها، ولم تسقها، ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض**». **متفق عليه**. (خ ٣٣١٨_م ٢٢٤٣).

تنبيه: هل يجوز اقتناء بعض الحيوانات في البيت للزينة وحبسها في الأقفاص؟

الجواب: نعم، يجوز لكن بشرط أن يوفّر لها طعامها، وشرابها، وما تحتاج إليه.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو جعلت عندها طعاماً وشراباً، يكفي فإن ذلك لا بأس به.

ومن هذا الطيور التي تحبس في الأقفاص، إذا وضع عندها الطعام والشراب، ولم يقصر عليها وحفظها من الحر، والبرد فلا بأس. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٦/ ٣٩٣).

وقال العلامة العباد حفظه الله: فيجوز حبسه مع الإحسان إليه، وعدم إيذائه، وحبسها في أقفاص يترتب على ذلك نسيانها وإهمالها، فيعرض الإنسان نفسه للإثم، والحديث صحيح [(١)]: «**يا أبا عمير! ما فعل النغير**»، ولا يلزم أن هذا النغير محبوس في قفص، بل يكون مثل الدجاج الذي يكون في البيوت مرسلاً يذهب، ويأتي ويأكل، بخلاف الذي يكون في القفص، فإنه قد يغفل عنه، وليس مطلقاً بحيث يذهب، ويأكل مما في البيت، ففرق بين هذا وهذا.اهـ من "شرح سنن أبي داود" (٣٩٦/ ٤٢).

❊❊❊

(١) **متفق عليه**. (خ٦٢٠٣-م٢١٥٠)، من حديث **أنس بن مالك** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ليس من الأذى قتل الحيوانات المؤذية

قتل الحية:

عن أبي السَّائِبِ، مَوْلَى هِشَامِ بْنِ زُهْرَةَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَيْتِهِ، قَالَ: فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى يَقْضِيَ صَلَاتَهُ، فَسَمِعْتُ تَحْرِيكًا فِي عَرَاجِينَ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا حَيَّةٌ فَوَثَبْتُ لِأَقْتُلَهَا، فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنِ اجْلِسْ فَجَلَسْتُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَشَارَ إِلَى بَيْتٍ فِي الدَّارِ، فَقَالَ: أَتَرَى هَذَا الْبَيْتَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: كَانَ فِيهِ فَتًى مِنَّا حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، قَالَ: فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْخَنْدَقِ فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُذْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ سِلَاحَهُ، ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَابَيْنِ قَائِمَةً فَأَهْوَى إِلَيْهَا الرُّمْحَ لِيَطْعُنَهَا بِهِ وَأَصَابَتْهُ غَيْرَةٌ، فَقَالَتْ لَهُ: اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمْحَكَ وَادْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي، فَدَخَلَ فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ فَانْتَظَمَهَا بِهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَرَكَزَهُ فِي الدَّارِ فَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ، فَمَا يُدْرَى

أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الْحَيَّةُ أَمِ الْفَتَى، قَالَ: فَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ وَقُلْنَا ادْعُ اللهَ يُحْيِيهِ لَنَا فَقَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ**» ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا، فَآذِنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ**». رواه مسلم في "صحيحه" (١٣٩).

وفي رواية:(١٤٠) «**إِنَّ لِهَذِهِ الْبُيُوتِ عَوَامِرَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْهَا فَحَرِّجُوا عَلَيْهَا ثَلَاثًا، فَإِنْ ذَهَبَ، وَإِلَّا فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّهُ كَافِرٌ**" وَقَالَ لَهُمْ: «**اذْهَبُوا فَادْفِنُوا صَاحِبَكُمْ**».

الشاهد من الحديث قوله: «**إِنَّ لِهَذِهِ الْبُيُوتِ عَوَامِرَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْهَا فَحَرِّجُوا عَلَيْهَا ثَلَاثًا، فَإِنْ ذَهَبَ، وَإِلَّا فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّهُ كَافِرٌ**». وَقَالَ لَهُمْ: «**اذْهَبُوا فَادْفِنُوا صَاحِبَكُمْ**».

تنبيه: كيف يكون التحْريج؟

الجواب: أن تقول أُحرج عليك أن تخرجي، أُحرج عليك أن تخرجي، أُحرج عليك أن تخرجي، ونحو ذلك.

تنبيه: إذا وجد الإنسان هذه الحية خارج البيت فهل يُحرّج عليها ثلاثة أيام أم أن التحْريج لا يكون إلا داخل بالبيت؟

الجواب: هذا التحْريج خاص بداخل البيت، والله أعلم، وهكذا إذا وجدها خارج البيت فله أن يقتلها مباشرة، **بدليل** حديث: **ابن بن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقْتُلُوا الحَيَّاتِ؛ فَإِنَّا لَمْ نُسَالِمْهُنَّ مُنْذُ حَارَبْنَاهُنَّ**». **رواه الطبراني** في "المعجم الكبير" (١٤٠٩٨)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الجامع" (١/ ٢٥٥).

تنبيه: هل يجوز للإنسان أن يقتل الذرة والحشرات المؤذية التي توجد في البيوت؟

الجواب: إن كانت مؤذية فله أن يقتُلها، وإن لم تكن مؤذيه فلا تقتل.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: **وعند العلماء** رَحِمَهُمُ اللَّهُ قاعدة تقول: ما آذى طبعـًا قتل شرعـًا، يعني ما كان طبيعته الأذى فإنه يقتل شرعـًا، وما لم يؤذ طبعـًا ولكن صار منه أذية فلك قتله، لكن هذا الأخير مقيد، فلو آذاك النمل في البيت، وصار يحفر البيت ويفسده فلك قتله وإن كان منهيـًا عنه في الأصل، لكن إذا آذاك فلك قتله، وكذلك غيره مما لا يؤذي طبعـًا ولكن تعرض منه الأذية فاقتله

إذا لم يندفع إلا بالقتل، فمثلاً إذا أردت أن تقتل فأرة وقتلها مستحب فأحسن القتلة، أقتلها بما يزهق روحها حالاً، ولا تؤذها. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٣/ ٥٩٥).

قلت: ومما يدل على جواز قتل الذرة في البيت، إن حصل منها أذية، حديث: **أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«أَنَّ نَمْلَةً قَرَصَتْ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَفِي أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَهْلَكْتَ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ؟»**.

وفي رواية: **«نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ، فَأَمَرَ بِجِهَازِهِ فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا، فَأُحْرِقَتْ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ، فَهَلَّا نَمْلَةً وَاحِدَةً»**.

متفق عليه. (خ ٣٠١٩-م٢٢٤١).

قلت: والنملة، هي صغار الذر.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فيه دليل على جواز قتل النمل وكل مؤذ)**. اهـ من "إكمال المعلم بفوائد مسلم" (٧/ ١٧٦).

وقال العلامة العباد حفظه الله: **(ورد أبو داود باباً في قتل الذر، والذر: هو صغار النمل، وإذا كان مؤذياً فإنه يقتل؛ لأن كل ما آذى فإنه يجوز قتله، وإذا لم تكن مؤذية فإنها تترك، ولا يتعرض لها، لكن إن وجد منها الإيذاء فإنها تقتل)**. اهـ من "شرح سنن أبي داود" (٩/ ٥٩٦).

وقال العلامة العباد حفظه الله: وقد أورد أبو داود حديث [١] أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أن نبيًا نزل تحت شجرة فلدغته نملة، فأحرق القرية التي فيها تلك النملة، فأوحى الله إليه: هلاَّ نملة واحدة؟**» يعني: هلا حصلت العقوبة لهذه النملة الواحدة التي حصل منها الإيذاء، وألا يعاقب غيرها بعقوبتها؟! وكان ذلك بالإحراق، ففيه أن التعذيب بالنار غير محرم في تلك الشريعة؛ لأنه إنما أنكر عليه عقابه لغيرها، ولم ينكر عليه أنه فعل ذلك بالنار، وأنه أحرقها، وإنما أنكر عليه أن الحق غيرها بها وعاملها معاملتها، ومن المعلوم في هذه الشريعة أن الأمر منوط بالضرر، فإذا كان الذر أو النمل يحصل منه إيذاء للناس فلهم أن يقتلوه، وإذا لم يكن مؤذيًا فإنهم يتركونه، وهكذا سائر الحيوانات التي يعرف إيذاؤها بطبعها، والتي لم يرد نص في قتلها مثل الوزغ الذي مر قتله، والحيات والعقارب التي أمر بقتلها، فالدواب والحيوانات التي لا تعرف بالأذى لا تقتل، وإنما إن وجد منها الأذى فتقتل بسبب أذاها. اهـ من "شرح سنن أبي داود" (٩/ ٥٩٦).

---

(١) **رواه أبو داود** في "سننه" (٥٢٦٥)، وهو حديث صحيح من حديث **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تنبيه: هل يجوز قتل الهرة في البيت؟

الجواب: إن كانت مؤذية فإنها تقتل، وإذا لم تكن مؤذية فلا تقتل لأنها ليست نجسه.

دليل ذلك: عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الهرة: «**إِنَّهَا لَيْسَتْ بِنَجَسٍ، هِيَ مِنَ الطَّوَّافِينَ عليكم، أَوِ الطَّوَّافَاتِ**». **رواه أحمد** في "مسنده" (٢٢٥٨٠)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "إرواء الغليل" (١/ ١٩١).

وفي رواية: عند أبي داود في "سننه" (١/ ١٣٥): «**إنها ليست بنجس؛ هي كبعض أهل البيت**»، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح أبي داود" (٧٥).

وقال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: **قَالَ الْمُنْذِرِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ **ثُمَّ النَّوَوِيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ **ثمَّ بن دَقِيق الْعِيد** رَحِمَهُ اللَّهُ ثمَّ بن سَيِّدِ النَّاسِ مَفْتُوحُ الْجِيمِ مِنَ النَّجَاسَةِ قَالَ تَعَالَى إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجس إِنَّمَا هِيَ مِنَ الطَّوَّافِينَ عَلَيْكُمْ، قَالَ الْبَغَوِيُّ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ: يَحْتَمِلُ أَنَّهُ شَبَّهَهَا بِالْمَمَالِيكِ مِنْ خَدَمِ الْبَيْتِ الَّذِينَ يَطُوفُونَ عَلَى بَيْتِهِ لِلْخِدْمَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: طَوَّافُونَ عَلَيْكُم وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ شَبَّهَهَا بِمَنْ يَطُوفُ لِلْحَاجَةِ يُرِيدُ أَنَّ الْأَجْرَ فِي مُوَاسَاتِهَا كَالْأَجْرِ فِي مُوَاسَاةِ مَنْ يَطُوفُ لِلْحَاجَةِ، وَالْأَوَّلُ هُوَ الْمَشْهُورُ، وَقَوْلُ الْأَكْثَرِ، وَصَحَّحَهُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ أَبِي دَاوُدَ وَقَالَ وَلَمْ يَذْكُرْ

جَمَاعَةٌ سِوَاهُ وَالطَّوَّافَاتِ فِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ أَوِ الطَّوَّافَاتِ وَكِلَا الْوَجْهَيْنِ يُرْوَيعَن مَالك. اهـ من "حاشية السيوطي على النسائي" (١/ ٥٥).

وعَنْ أُمِّ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَمَرَهَا بِقَتْلِ الْأَوْزَاغِ**». **متفق عليه**. (خ ٣٣٠٧-م ٢٢٣٧).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: والوزغ سام أبرص هذا الذي يأتي في البيوت يبيض ويفرخ، ويؤذي الناس أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتله، وكان عند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رمح بها تتبع الأوزاغ وتقتلها وأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن من قتله في أول مرة فله كذا وكذا من الأجر، وفي الثانية أقل، وفي الثالثة أقل، كل ذلك تحريضاً للمسلمين على المبادرة لقتله، وأن يكون قتله بقوة ليموت في أول مرة، وسماه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاسقًا، وأخبر أنه كان ينفخ النار على إبراهيم، والعياذ بالله حين ألقاه أعداؤه في النار جعل هذا الخبيث الوزغ ينفخ النار على إبراهيم من أجل أن يشتد لهبها مما يدل على عدواته التامة لأهل التوحيد والإخلاص، ولذلك ينبغي للإنسان أن يتتبع الأوزاغ في بيته، في السوق، في المسجد، ويقتلها، والله الموفق. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٢/ ٦٩٢).

قلت: وقد بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن من قتل هذه الوزغ حصل على الحسنات: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَتَلَ وَزَغَةً فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً، وَمَنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّانِيَةِ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً، لِدُونِ الْأُولَى، وَإِنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّالِثَةِ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً، لِدُونِ الثَّانِيَةِ**». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٢٤٠).

تنبيه: ما هي الحكمة من قتل الوزغ؟

الجواب: الحكمة من ذلك؛ أنه كان ينفخ النار على نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

بدليل: حديث أُمِّ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَمَرَ بِقَتْلِ الوَزَغِ، وَقَالَ: كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ**» **متفق عليه**. (خ ٣٣٥٩-م٢٢٣٧)، **وهذا لفظ البخاري**.

قتل الفأرة لإنها مؤذية:

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: الفأرة تسرق الذهب من البيت، وهذا جربناه عندنا في البيت، فقد فقدنا خاتماً من الخواتم للنساء، وبحثنا عنه فإذا في الجدار شقّ، وكان عندي علم بأنها تسرق الذهب، فكبرنا الشق ووجدنا الخاتم في هذا الشقّ، **وحدثنا شيخنا السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:** أن رجلاً كان يكتب في

حجرته فجاءت فأرة نزلت من السقف جاءت حوله فوضع عليها إناءه حبسه لما تأخرت عن زميلاتها جاءت واحدة منهم تبحث عنها أين ذهبت؟ وعلمت أنها تحت الإناء، فصعدت إلى السقف وأتت بدينار أخر، وضعته، ولكن الرجل قال: وراء الأكمة ما وراءه فجاءت بثالث ورابع وخامس إلى عشرة عشرة دنانير سرقتها؛ يقول في النهاية جاءت بالكيس إشارة إلى أيش خلاص يقول لما جاءت بالكيس فتح الإناء وقتله قتل الفأر، والثاني هرب فعلى كل حالٍ أنا أتيت بهذا الذي حدثني به **شيخنا السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدث طلبة حدثهم للإشارة إلى أن الفأرة من أذية الفأر أنها تسرق الذهب، وهكذا أيضاً تأتي على الدقيق وتلوثه بالبعض، وغير ذلك، فهي من أفسق الحيوان، فيسن قتلها ولو في وسط المسجد الحرام. اهـ من "شرح صحيح البخاري" **للعلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥/ ٧٦١).

قلت: وقد أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتل الفواسق الخمْس، أينما وجِدت وحلّت، ومنها الفأرة، جاء **عن عَائِشَةَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**أَرْبَعٌ كُلُّهُنَّ فَاسِقٌ، يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ: الْحِدَأَةُ، وَالْغُرَابُ، وَالْفَأْرَةُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ**» قَالَ: فَقُلْتُ لِلْقَاسِمِ: أَفَرَأَيْتَ الْحَيَّةَ؟ قَالَ: «**تُقْتَلُ بِصُغْرٍ لَهَا**». **متفق عليه**. (خ١٨٢٩- ١١٩٨).

وعَنْ ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**خَمْسٌ لَا جُنَاحَ عَلَى مَنْ قَتَلَهُنَّ فِي الْحَرَمِ وَالْإِحْرَامِ: الْفَأْرَةُ، وَالْعَقْرَبُ، وَالْغُرَابُ، وَالْحِدَأَةُ وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ**» وقَالَ ابْنُ أَبِي عُمَرَ فِي رِوَايَتِهِ: «**فِي الْحُرُمِ وَالْإِحْرَامِ**». **متفق عليه**. (خ ١٨٢٦-١١٩٩).

وعن حَفْصَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ كُلُّهَا فَاسِقٌ لَا حَرَجَ عَلَى مَنْ قَتَلَهُنَّ: الْعَقْرَبُ، وَالْغُرَابُ، وَالْحِدَأَةُ، وَالْفَأْرَةُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ**». **متفق عليه**. (خ ١٨٢٨ - م١٢٠٠).

الشاهد من هذه الأحاديث: ذكر الفأرة، وأنها تقتل أينما وجِدت، وحلّت.

***

متى تضرك أذية الناس

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن الأمور النافعة: أن تعرف أن أذية الناس لك وخصوصاً في الأقوال السيئة، لا تضرك، بل تضرهم، إلا إن أشغلت نفسك في الاهتمام بها، وسوغت لها أن تملك مشاعرك، فعند ذلك تضرك كما ضرتهم، فإن أنت لم تضع لها بالاً لم تضرك شيئاً)**.اهـ من "الوسائل المفيد في للحياة السعيدة" (٣٠).

***

إذا أردت أن تسلم من أذية الناس فلا تخبرهم بكل شيء حتى لا تؤذى ولا تحسد منهم

قال أحد الصالحين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إذا أردت أن تسلم من الناس، فاجعل لسانك وراء قلبك، وسرك في صدرك**»، ولا تُظهر نعمة الله عند من لا يحب لك الخير، فقد قال يعقوب عليه السلام لابنه: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [سورة يوسف:٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَمِنْ هَذَا يُؤْخَذُ الْأَمْرُ بِكِتْمَانِ النِّعْمَةِ حَتَّى تُوجَدَ وَتَظْهَرَ، كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثٍ [١] : «**اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ الْحَوَائِجِ بِكِتْمَانِهَا، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ**». اهـ من "تفسيره" (٤/ ٣٧١).

---

(١) **رواه الطبراني** في "المعجم الكبير" (١٨٣)، وفي "الأوسط" (٢٤٥٥)، وفي "المعجم الصغير" (١١٨٦) وفي "مسند الشاميين" (٤٠٨) من حديث **معاذ بن جبل** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وجاء جمع من الصحابة، وقد تكلمت على هذا الحديث بكلامٍ مفصلٍ مع الحكم عليه من حيث الصحة والضعف في: «**الحسد – أقسامه – مفاسده – علاماته – علاجه**» (صفحة ٢٥٥-٢٧٧)،

وقال ابن مفلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الْحُسَّادُ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَطَّلِعُوا عَلَى النِّعَمِ، فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ، وَمُدَارَاتُهُمْ لَازِمَةٌ)**.اهـ من "الآداب الشرعية" (٣/ ٥٨٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَا بُد لكل نعْمَة من حَاسِد، وَلكُل حق من جَاحد ومعاند)**.اهـ من "مفتاح دار السعادة" (١/ ٤٧).

وقال عمر بن الخطّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **(ما كانت نعمة الله على أحد إلّا وجّه لها حاسدا)**.اهـ من "أدب الدينا والدين" (١٧٧).

وقال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **قال بعض البلغاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الناس حاسد ومحسود، ولكل نعمة حسود)**.اهـ من "أدب الدنيا والدين" (٢٦٩).

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **أَعْظَمَ النِّعْمَةِ الْإِقْبَالُ وَالتَّعَبُّدُ، وَلِكُلِّ نِعْمَةٍ حَاسِدٌ عَلَى قَدْرِهَا دَقَّتْ أَوْ جَلَّتْ وَلَا نِعْمَةَ أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ، فَإِنَّ أَنْفُسَ الْحَاسِدِينَ مُتَعَلِّقَةٌ بِهَا وَلَيْسَ لِلْمَحْسُودِ أَسْلَمُ مِنْ إخْفَاءِ نِعْمَتِهِ عَنْ الْحَاسِدِ، وَقَدْ قَالَ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:** ﴿لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ [سورة يوسف:٥].

فراجعه إن شئت، **والراجح:** فيه أنه حديث حسن حسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **وشيخنا العلامة يحيى الحجوري** حفظه الله.

وَكَمْ مِنْ صَاحِبِ قَلْبٍ وَجَمْعِيَّةٍ وَحَالٍ مَعَ اللهِ تَعَالَى قَدْ تَحَدَّثَ بِهَا وَأَخْبَرَ بِهَا فَسَلَبَهُ إِيَّاهَا الْأَغْيَارُ؛ وَلِهَذَا يُوصِي الْعَارِفُونَ وَالشُّيُوخُ بِحِفْظِ السِّرِّ مَعَ اللهِ تَعَالَى وَلَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ أَحَدٌ وَالْقَوْمُ أَعْظَمُ شَيْئًا كِتْمَانًا لِأَحْوَالِهِمْ مَعَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا وَهَبَ اللهُ مِنْ مَحَبَّتِهِ وَالْأُنْسِ بِهِ وَجَمْعِيَّةِ الْقَلْبِ وَلَا سِيَّمَا فِعْلُهُ لِلْمُهْتَدِي السَّالِكِ، فَإِذَا تَمَكَّنَ أَحَدُهُمْ وَقَوِيَ وَثَبَّتَ أُصُولَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ فِي قَلْبِهِ - بِحَيْثُ لَا يَخْشَى عَلَيْهِ مِنْ الْعَوَاصِفِ فَإِنَّهُ إِذَا أَبْدَى حَالَهُ مَعَ اللهِ تَعَالَى لِيُقْتَدَى بِهِ وَيُؤْتَمَّ بِهِ - لَمْ يُبَالِ، وَهَذَا بَابٌ عَظِيمُ النَّفْعِ إِنَّمَا يَعْرِفُهُ أَهْلُهُ. اهـ من "مجموع الفتاوى" (١٥/ ١٨).

وقال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَاعْلَمْ أَنَّ بِحَسَبِ فَضْلِ الْإِنْسَانِ وَظُهُورِ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ يَكُونُ حَسَدُ النَّاسِ لَهُ، فَإِنْ كَثُرَ فَضْلُهُ كَثُرَ حُسَّادُهُ، وَإِنْ قَلَّ قَلُّوا؛ لِأَنَّ ظُهُورَ الْفَضْلِ يُثِيرُ الْحَسَدَ، وَحُدُوثَ النِّعْمَةِ يُضَاعِفُ الْكَمَدَ)**. اهـ من "أدب الدينا والدين" (٢٧١).

وقال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: (النَّاسُ حَاسِدٌ وَمَحْسُودٌ، وَلِكُلِّ نِعْمَةٍ حَسُودٌ)**.اهـ من "أدب الدينا والدين" (٢٦٩).

وقَتَادَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مَا كَثُرَتِ النِّعَمُ عَلَى قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا كَثُرَ أَعْدَاؤُهُمْ)**.اهـ من "شعب الإيمان للبيهقي" (٩/ ٣٤).

***

كيفية التعامل مع المؤذي والحاسد

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر عشرة أسباب لدفع شر الحاسد قال:

السبب التاسع: وهو من أصعب الأسباب على النفس، وأشقها عليها، ولا يوفق له إلا من عظم حظه من الله، وهو إطفاء نار الحاسد، والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلما ازداد أذى وشراً وبغيًا وحسداً ازددت إليه إحسانًا، وله نصيحة، وعليه شفقة، وما أظنك تصدق بأن هذا يكون فضلاً عن أن تتعاطاه فاسمع الآن، قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأعراف:٢٠٠].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [سورة القصص:٥٤].

وتأمل حال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي حكى عنه نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**أنه ضربه قومه حتى أدموه فجعل يسلت الدم عنه، ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**». رواه البخاري ومسلم [١] كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان قابل بها إساءتهم العظيمة إليه **أحدها**: عفوه عنهم **والثاني**: استغفاره لهم **الثالث**: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون **الرابع**: استعطافه لهم بإضافتهم إليه فقال اغفر لقومي كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به هذا، ولدي هذا غلامي هذا صاحبي فهبه لي، واسمع الآن ما الذي يسهل هذا على النفس، ويطيبه إليها، وينعمها به اعلم أن لك ذنوبًا بينك وبين الله تخاف عواقبها، وترجوه أن يعفو عنها، ويغفرها لك ويهبها لك، ومع هذا لا يقتصر على مجرد العفو والمسامحة حتى ينعم عليك، ويكرمك، ويجلب إليك من المنافع والإحسان فوق ما تؤمله، فإذا كنت ترجو هذا من ربك أن يقابل به إساءتك فما أولاك وأجدرك أن تعامل به خلقه وتقابل به إساءتهم ليعاملك الله هذه المعاملة، فإن الجزاء من جنس العمل فكما تعمل مع الناس في إساءتهم في حقك يفعل الله معك في ذنوبك وإساءتك جزاء وفاقًا فانتقم بعد

---

(١) **متفق عليه**. (خ٣٤٧٧-م١٧٩٢)، من حديث **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ذلك أو اعف وأحسن أو اترك فكما تدين تدان، وكما تفعل مع عباده يفعل معك فمن تصور هذا المعنى وشغل به فكره هان عليه الإحسان إلى ما أساء إليه هذا مع ما يحصل له بذلك من نصر الله ومعيته الخاصة كما، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للذي شكى إليه قرابته، وأنه يحسن إليهم، وهم يسيئون إليه فقال: «**لا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك**». رواه مسلم [١] هذا مع ما يتعجله من ثناء الناس عليه، ويصيرون كلهم معه على خصمه، فإنه كل من سمع أنه محسن إلى ذلك الغير، وهو مسيء إليه وجد قلبه ودعاءه وهمته مع المحسن على المسيء، وذلك أمر فطري فطر الله عباده فهو بهذا الإحسان قد استخدم عسكراً، لا يعرفهم، ولا يعرفونه، ولا يريدون منه إقطاعاً ولا خبراً هذا مع أنه لا بد له مع عدوه، وحاسده من إحدى حالتين: إما أن يملكه بإحسانه، فيستعبده، وينقاد له، ويذل له، ويبقى من أحب الناس إليه، وإما أن يفتت كبده، ويقطع دابره إن أقام على إساءته إليه، فإنه يذيقه بإحسانه أضعاف ما ينال منه بانتقامه، ومن جرب هذا عرفه حق المعرفة، والله هو الموفق المعين بيده الخير كله لا إله غيره، وهو المسئول أن يستعملنا، وإخواننا في

---

(١) **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٥٥٨)، من حديث **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ذلك بمنه وكرمه، وفي الجملة ففي هذا المقام من الفوائد ما يزيد على مائة منفعة للعبد عاجلة وآجلة سنذكرها في موضع آخر إن شاء الله تعالى اهـ من "بدائع الفوائد" (٢/ ٢٣٨-٢٤٥).

وقال العلامة السّعديّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فمَن أبغضك وعاداك وهجرك، فعامله بضدِّ ذلك، لتكسب الثَّواب، وتكتسب هذا الخُلق الفاضل، وتتعجَّل راحة قلبك، وتخفِّف عن نفسك همَّ المُعاداة، وربَّما انقلب العدوُّ صديقًا، والمُبغِضُ مُحِبًّا كما هو الواقع، واعفُ عمَّا صدر منهم لله، فإنَّ مَن عفا عن عباد الله، عفا الله عنه، ومَن سامحهم سامحه الله، ومَن تفضَّل عليهم، تفضَّل الله عليه، والجزاء مِن جنس العمل)**.اهـ من "الرِّياضُ النَّاضرة" (١٩١-١٩٢).

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مما أفادتني تجارب الزمان أنه لا ينبغي لأحد أن يظاهر بالعداوة أحداً ما استطاع، ولقد احتجت في عمري إلى ملاحظة أقوام ما خطر لي قط وقوع الحاجة إلى التلطف بهم)**.اهـ من "صيد الخاطر" (١٩٧).

❊❊❊

الوصية بالصبر على الأذى

عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ**». **متفق عليه**.(خ٦٠٩٩-م٢٨٠٤).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: **قال العلماء** رَحِمَهُمُ اللَّهُ معناه أن الله تعالى واسع الحلم حتى على الكافر الذي ينسب إليه الولد والند، **قال المازري** رَحِمَهُ اللَّهُ: حقيقة الصبر منع النفس من الانتقال أو غيره فالصبر نتيجة الامتناع فأطلق اسم الصبر على الامتناع في حق الله تعالى لذلك، **قال القاضي** رَحِمَهُ اللَّهُ: والصبور من أسماء الله تعالى وهو الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام وهو بمعنى الحليم في أسمائه سبحانه وتعالى والحليم هو الصفوح مع القدرة على الانتقام.اهـ من "شرح مسلم" (١٧/ ١٤٦).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [سورة لقمان:١٧].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الأنعام:٣٤].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [سورة آل عمران:١٨٦].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [سورة إبراهيم:١٢].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ، إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللهِ، قَالَ فَقُلْتُ: وَاللهِ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ، ثُمَّ قَالَ: «**فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللهُ**

وَرَسُولُهُ»، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ» قَالَ قُلْتُ: «لَا جَرَمَ لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا». متفق عليه.(خ٣٤٠٥-م١٠٦٢).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفيه: أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يعتبر بمن مضى من الرسل، ولهذا قال: «لقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر»، (١) لأن الله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة يوسف:١١١].

ويقول: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [سورة الأنعام:٩٠].

فأمر الله نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقتدي بهدي الأنبياء قبله، وهكذا ينبغي لنا نحن أن نقتدي بالأنبياء عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الصبر على الأذى، وأن نحتسب الأجر على الله، وأن نعلم أن هذا زيادة في درجاتنا مع الاحتساب، وتكفير لسيئاتنا.اهـ من "شرح رياض الصالحين" (١/ ٢٥٧).

وعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ».رواه أحمد في "مسنده" (٢٣٠٩٨)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٣٨٨) وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٩٣٩).

---

(١) تقدم تخريجه.

وعَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَلَغَنِي عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَدِيثٌ، فَكُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَلْقَاهُ فَلَقِيتُهُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، بَلَغَنِي عَنْكَ حَدِيثٌ فَكُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَلْقَاكَ فَأَسْأَلَكَ عَنْهُ، فَقَالَ: قَدْ لَقِيتَ فَاسْأَلْ. قَالَ: قُلْتُ: بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللهُ، وَثَلَاثَةٌ يُبْغِضُهُمُ اللهُ**» قَالَ: نَعَمْ، فَمَا أَخَالُنِي أَكْذِبُ عَلَى خَلِيلِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا يَقُولُهَا، قَالَ: قُلْتُ: مَنِ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ يُحِبُّهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: رَجُلٌ غَزَا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَلَقِيَ الْعَدُوَّ مُجَاهِدًا مُحْتَسِبًا فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، وَأَنْتُمْ تَجِدُونَ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [سورة الصف:٤].

وَرَجُلٌ لَهُ جَارٌ يُؤْذِيهِ، فَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُ وَيَحْتَسِبُهُ حَتَّى يَكْفِيَهُ اللهُ إِيَّاهُ بِمَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ، وَرَجُلٌ يَكُونُ مَعَ قَوْمٍ فَيَسِيرُونَ حَتَّى يَشُقَّ عَلَيْهِمُ الْكَرَى وَالنُّعَاسُ، فَيَنْزِلُونَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ فَيَقُومُ إِلَى وُضُوئِهِ وَصَلَاتِهِ: «قَالَ: قُلْتُ: مَنِ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ يُبْغِضُهُمُ اللهُ؟ قَالَ: «الْفَخُورُ الْمُخْتَالُ، وَأَنْتُمْ تَجِدُونَ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [سورة لقمان:١٨].

وَالْبَخِيلُ الْمَنَّانُ، وَالتَّاجِرُ أَوِ الْبَيَّاعُ الْحَلَّافُ».**رواه أحمد** في "مسنده" (٢١٥٣٠)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "صحيح الترغيب والترهيب" (٢/ ١٦٤).

الشاهد من الحديث قوله: «**وَرَجُلٌ لَهُ جَارٌ يُؤْذِيهِ، فَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُ وَيَحْتَسِبُهُ حَتَّى يَكْفِيَهُ اللهُ إِيَّاهُ بِمَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ**».

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **حكي نبينا** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن نبي من الأنبياء عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن قومه ضربوه، ولم يضربوه إلا حيث كذبوه حتى أدموا وجهه، فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**». [1] وهذا غاية ما يكون من الصبر، لأن الإنسان وضرب على شيءٍ من الدنيا لاستشاط غضبًا، وانتقم ممن ضربه، وهذا يدعو إلي الله، ولا يتخذ على دعوته أجراً، مع هذا يضربونه حتى يدموا وجهه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «**اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**».

وهذا الذي حدثنا به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يحدثنا به عبثًا أو لأجل أن يقطع الوقت علينا بالحديث، وإنما حدثنا بذلك من أجل أن نتخذ منه عبرة

---

(١) **متفق عليه**.(خ٣٤٧٧-م١٧٩٢)، من حديث **عبد الله ابن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

نسير عليها، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة يوسف: ١١١].

والعبرة من هذا أن نصبر على ما نؤذي به من قول أو فعل في سبيل الدعوة إلي الله، وأن نقول متمثلين: هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت، وأن نصبر على ما يصيبنا مما نسمعه أو ينقل إلينا مما يقال فينا بسبب الدعوة إلي الله، وأن نرى أن هذا رفعة لدرجاتنا وتكفير لسيئاتنا، فعسي أن يكون في دعوتنا خلل من نقص في الإخلاص أو من كيفية الدعوة وطريقها، فيكون هذا الأذى الذي نسمع، يكون كفارة لما وقع منا، لأن الإنسان مهما عمل فهو ناقص لا يمكن أن يكمل عمله أبداً، إلا أن يشاء الله، فإذا أصيب وأوذي في سبيل الدعوة إلي الله فإن هذا من باب تكميل دعوته ورفعة درجته، فليصبر وليحتسب ولا ينكص عليَّ عقبيه، لا يقول لست بملزم، أنا أصابني الأذى، أنا تعبت، بل الواجب الصبر، والدنيا ليست طويلة! أيام ثم تزول، فاصبر حتى يأتي الله بأمره.

وفي قول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**كأني انظر إلى النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وهو يحكي لنا**» فيه دليل على أن المحدث أو المخبر يخبر بما يؤيد ضبطه

للخبر والحديث، وهذا أمر شائع عند الناس، يقول: كأني أنظر إلى فلان وهو يقول لنا كذا وكذا، أي: كأني أنظر إليه الآن، وكأني اسمع كلامه الآن.

فإذا استعمل الإنسان مثل هذا الأسلوب لتثبيت ما يحدث به فله في ذلك أسوة من السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والله الموفق. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٢/ ٢٤١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وتأمل حال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي حكى عنه نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**أنه ضربه قومه حتى أدموه فجعل يسلت الدم عنه، ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**». رواه البخاري ومسلم [(١)] كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان قابل بها إساءتهم العظيمة إليه **أحدها**: عفوه عنهم، **والثاني**: استغفاره لهم، **الثالث**: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون، **الرابع**: استعطافه لهم بإضافتهم إليه فقال اغفر لقومي، كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به هذا، ولدي هذا غلامي هذا صاحبي فهبه لي، واسمع الآن ما الذي يسهل هذا على النفس، ويطيبه إليها، وينعمها به اعلم أن لك ذنوبًا بينك وبين الله تخاف عواقبها، وترجوه أن يعفو عنها، ويغفرها لك ويهبها لك، ومع هذا لا يقتصر على مجرد العفو والمسامحة

---

(١) **متفق عليه**. (خ٣٤٧٧-م١٧٩٢)، من حديث **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حتى ينعم عليك، ويكرمك، ويجلب إليك من المنافع والإحسان فوق ما تؤمله، فإذا كنت ترجو هذا من ربك أن يقابل به إساءتك فما أولاك وأجدرك أن تعامل به خلقه وتقابل به إساءتهم ليعاملك الله هذه المعاملة، فإن الجزاء من جنس العمل فكما تعمل مع الناس في إساءتهم في حقك يفعل الله معك في ذنوبك، وإساءتك جزاء وفاقا فانتقم بعد ذلك أو اعف وأحسن أو اترك فكما تدين تدان، وكما تفعل مع عباده يفعل معك فمن تصور هذا المعنى وشغل به فكره هان عليه الإحسان إلى ما أساء إليه هذا مع ما يحصل له بذلك من نصر الله ومعيته الخاصة كما، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للذي شكى إليه قرابته، وأنه يحسن إليهم، وهم يسيئون إليه فقال: «**لا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك**». رواه مسلم [1] هذا مع ما يتعجله من ثناء الناس عليه، ويصيرون كلهم معه على خصمه، فإنه كل من سمع أنه محسن إلى ذلك الغير، وهو مسيء إليه وجد قلبه ودعاءه وهمته مع المحسن على المسيء، وذلك أمر فطري فطر الله عباده فهو بهذا الإحسان قد استخدم عسكراً، لا يعرفهم، ولا يعرفونه، ولا يريدون منه إقطاعاً ولا خبراً هذا مع أنه لا بد له مع عدوه، وحاسده من إحدى

(١) رواه مسلم في "صحيحه" (٢٥٥٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حالتين: إما أن يملكه بإحسانه، فيستعبده، وينقاد له، ويذل له، ويبقى من أحب الناس إليه، وإما أن يفتت كبده، ويقطع دابره إن أقام على إساءته إليه، فإنه يذيقه بإحسانه أضعاف ما ينال منه بانتقامه، ومن جرب هذا عرفه حق المعرفة، والله هو الموفق المعين بيده الخير كله لا إله غيره، وهو المسئول أن يستعملنا، وإخواننا في ذلك بمنه وكرمه، وفي الجملة ففي هذا المقام من الفوائد ما يزيد على مائة منفعة للعبد عاجلة وآجلة سنذكرها في موضع آخر إن شاء الله تعالى.

اهـ من "بدائع الفوائد" (٢/ ٢٣٨-٢٤٥).

***

ختاما نصيحة لكل مسلم

قال أبو عبد الرحمن نورالدين الحبيشي وفقه الله

يا من تتلذذ بأذية الناس أو بأذية إخوانك تذكر أن الله ليس بغافلٍ عنك، وأنك بفعلك هذا ظالم لنفسك: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [سورة إبراهيم:٤٢].

واعلم أن الله يستدرجك استدراج ويملي لك؛ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة هود:١٠٢]. **متفق عليه**.(خ٤٦٨٦-م٢٥٨٣).

وتذكر قول الله تعالى في الحديث القدسي: «من عادى لي وليًا فقد أذنته بالحرب». (١)

---

(١) تقدم تخريجه.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لَا تعادي أَوْلِيَاء الله فَإِنَّك تنام وهم مستيقظون فَرُبمَا دعوا عَلَيْك فاستجيب فِيك وَأَنت لَا تشعر احذر سِهَام الله حِين تنام، والمظلوم ساهر يَدْعُو عَلَيْك وَأَنت فِي غمض وَرب الْعَرْش نَاظر لَو بت فِي حضن سما فِي الجو لَا يعلوه طَائِر من حوله الْأَبْطَال فِي أَيْديهم الْبيض البواتر وَعَلَيْك أدرعة الْحَدِيد وحولك الْأسد الكواسر ودعا عَلَيْك مظلوم لم يلق غير الله نَاصِر لأصاب سهم دُعَائِهِ مِنْك الْفُؤَاد وَأَنت صاغر)**. اهـ من "التذكرة في الوعظ" (١٧٠).

وقد تجد اتباع لك يعينونك على أذية الناس بقولهم أو بفعلهم ثم بعد ذلك يتبرأ منك هؤلاء الناس: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [سورة البقرة:١٦٧].

لذلك أقول لك أخي الكريم: لا تستغرب أن تُؤذى من أقرب الناس إليك وأحب الناس إليك فلم يسلم النبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عمه أبي جهل ولا من أبي لهب، وهما أعمامه، وهكذا لم يسلم الخليل **إبراهيم** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من أبيه آزر، وهكذا **نبي الله يوسف** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **لم يسلم من إخوته.**

فقد تأتي الأذية لك من إنسانٍ محب أو من صديقٍ أو من قريبٍ لذا كن على حذر، وليكن تعاملك مع هؤلاء، كما قال **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عسى أن يكون حبيبك يوما ما». **رواه البخاري** في "الأدب المفرد" (٥٦٤)، وصححه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الأدب المفرد" (٥٦٤).

قال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: فقه هذا الحديث أن الإنسان يجب عليه أن يكون وسطا في كل شيء: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [سورة البقرة:١٤٣].

وخير الأمور الوسط، وحب التناهي غلط أن يكون وسطًا في الحب، وفي البغض لا ينبغي للمسلم أن يكون حبه مبالغا فيه خشية أن ينقلب يومًا ما إلى ضده والعكس بالعكس أن لا يكون بغضه شديداً لاحتمال أن يصير هذا البغيض يومًا ما حبيبًا، فأصل هذا الحديث وغايته واضحة جداً، وهو الاعتدال في الخير، وفي الشر في الخير وفي الشر). اهـ من "سلسلة فتاواه" (٨/ ١٣).

لذا أقول من أراد أن يكف شره عنه الناس فليتأمل في هذا الكتاب وما حواه مما هو متعلق بالأذية.

فقد ذكرت في هذا الكتاب ما فيه الكافية مما هو متعلق بالأذية ولا أدعي الكمال فيه فقد أبى الله إلا يكونَ كتابًا صحيحًا متكاملاً ليس فيه نقص ولا خطأ غير كتابه وهو القرآن الكريم: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء:٨٢].

وما من كاتب أو مؤلف إلا ويعتري كتابه النقص والخطأ والزلل لذا نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعاملنا بلطفه ورحمته:

وما أحسن ما قاله معمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو عرض الكتاب مائة مرة ما كاد يسلم من أن يكون فيه سقط، أو قال: خطأ.

وعن المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **تلميذ الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو عرض كتاب سبعين مرة، لوجد فيه خطأ، أبى الله أن يكون كتاب صحيحًا غير كتابه.

ويقول المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قرأت كتاب: (الرسالة) على **الإمام الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثمانين مرة، فما من مرة إلا كان يقف على خطأ، فقال: **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هيه أي حسبك، واكْفُفْ أبى الله أن يكون كتاب صحيحًا غير كتابه، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء:٨٢].

وقول الشاعر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كم من كتابٍ قد تصفحتُه *** وقلت في نفسي أصلحتُه
حتى إذا طالعتُه ثانيًا *** وجدت تصحيفًا فصححتُه [1]

وقال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عند قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء:٨٢].

(العذر للمصنفين (والمؤلفين) فيما يقطع لهم من الاختلاف والتناقض (في كتبهم وتأليفهم)؛ لأن السلامة عن ذلك من خصائص القرآن).اهـ من "الإكليل في استنباط التنزيل" (١/ ٩٥).

وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثم إني حين وضعت هذا المنهج لنفسي وهو التمسك بالسنة الصحيحة، وجريت عليه في هذا الكتاب وغيره مما سوف ينتشر بين الناس إن شاء الله تعالى؛ كنت على علم أنه سوف لا يُرْضِي ذلك كلَّ الطوائف والمذاهب، بل سوف يوجه بعضهم أو كثير منهم ألسنة الطعن، وأقلام اللوم إليَّ، ولا بأس من ذلك عليَّ؛ فإني أعلم أيضًا أن إرضاء الناس

---

(١) اهـ من "جامع بيان العلم وفضله" تحقيق **أبي الأشبال**(١/ ٢٩١).

غاية لا تدرك، وأن: «**من أرضى الناس بسخط الله؛ وكَلَه الله إلى الناس**»؛ كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١).

ولله دَرُّ من قال:

ولســـت بـنـاجٍ مـن مـقـالـةِ طـاعِـنٍ ❊❊❊ ولـو كـنـتُ في غـارٍ عـلـى جـبـلٍ وعـرِ

ومن ذا الذي ينجو من الناسِ ســالمـًا ❊❊❊ ولـو غـابَ عـنـهـم بـين خـافِـيَـتَـي نسـرِ

---

(١) **أخرجه عبد بن حميد** في "المنتخب من المسند" (١٦٢ / ١ - ٢)، والجوزجاني في "كتابه أحوال الرجال" (رقم ٢ - منسوختي)، وعنه ابن حبان (١٥٤١): حدثنا عثمان بن عمر أخبرنا شعبة عن واقد عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة مرفوعـًا، ومن هذا الوجه رواه البيهقي في "الزهد" (ق ١٠٨ / ١)، وقال: " ربما رفعه عثمان، وربما لم يرفعه ". يعني أن عثمان بن عمر كان تارة يرفعه وتارة يوقفه، ولا شك أن الرفع هو الأرجح لسببين:

الأول: أن فيه زيادة، وهي مقبولة إذا كانت من ثقة مثل عثمان بن عمر هذا وهو ابن فارس العبدي - فإنه ثقة من رجال الشيخين، والراوي قد ينشط تارة فيرفع.

الحديث، ولا ينشط أخرى فيوقفه.

الثاني: أنه قد رواه غيره مرفوعا أيضـًا، وهو النضر بن شميل حدثنا شعبة به، أخرجه البيهقي، والنضر ثقة ثبت من رجال الشيخين أيضـًا، نعم قد رواه علي بن الجعد: أخبرنا شعبة به موقوفـًا. أخرجه البغوي في "حديث علي بن الجعد" (٨ / ٧٦ / ١). فالجواب: أن الرفع زيادة من ثقة، فيجب قبولها كما تقدم. ولاسيما وقد توبع شعبة على رفعه، فرواه عثمان بن واقد العمري عن أبيه عن محمد بن المنكدر عن عروة عن عائشة مرفوعـًا نحوه. أخرجه ابن حبان (١٥٤٢) (٢٤ / ٢)، ومشرق بن عبد الله في "حديثه" (٦١ / ٢)، وابن عساكر (١٥ / ٢٧٨ /).

[1].اهـ من "أصل صفة الصلاة" (١/ ٢٢).

كان الإبتداء بهذا العمل بتاريخ، (١٣ شهر شعبان/ ٨ / ١٤٤٧هـ.

وكان الإنتهاء منه بتاريخ (٢٣ شهر شعبان/ ٨/ ١٤٤٧هـ.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد

****

(١) (**الخوافي**: ريشات إذا ضم الطائر جناحيه؛ خفيت، وتكون وراء القوادم.

الفهرس

.....٥

مقدمة فضيلة الشيخ: أبي محمد عبد الحميد الزعكري ٦

صورة مقدمة فضيلة الشيخ: أبي محمد عبد الحميد الزعكري ٧

مقدمة فضيلة الشيخ: أبي عبد الله فيصل الحاشدي ٨

صورة مقدمة فضيلة الشيخ: أبي عبد الله فيصل الحاشدي ١٠

مقدمة فضيلة الشيخ: أبي عبد الرحمن ردمان الحبيشي ١١

مقدمة فضيلة الشيخ: أبي اليمان عدنان المصقري ١٦

صورة مقدمة فضيلة الشيخ: أبي اليمان عدنان المصقري ١٨

أبيات شعرية في مدح هذا الكتاب بعنوان السلسبيل في بيان أنه ليس إلى السلامة من الناس سبيل للشاعر: أبي أحمد صالح العجيلي وفقه الله ١٩

محتوى هذا الكتاب ٢٢

مقدمة المؤلف ٢٦

سبب تأليف هذا الكتاب ٢٨

كلمة شكر ٢٩

ما سلم الله سبحانه وتعالى من أذية خلقه ٤٠

فرعون الطاغية ينازع رب العالمين في ربوبيته، ويقول للناس أنا ربكم الأعلى: ٤٠

وهكذا تقول النصارى قبحهم الله أن الله ثالث ثلاثة: ٤١

ومما قالوا قبحهم الله أن الله هو المسيح ابن مريم: ٤٤

ومما قالوا قبحهم الله أن الله تعالى فقير وهم أغنياء: ٤٥

ومما قالوا قبحهم الله أن يد الله مغلولة لا تنفق: ٤٦

ومما قالوا قبحهم الله أنهم أبناء الله وأحبائه: ٤٧

ومما قالوا إن عزيز ابن الله، والمسيح ابن الله: ٤٧

ومما قالوا قبحهم الله أن الله أمرهم بفعل الفاحشة: ٤٨

وهكذا اتهام إبليس عليه لعنة الله أن الله أغواه: ٤٩

ومما قالوا إن الله اتخذ له ولداً: ٤٩

ومن قبح صنيعهم أنهم أضافة البنات إلى الله: ٥٠

ومما قالوا في قولهم قبحهم الله أن الملائكة بنات الله: ٥٤

ومن أذية الله تعالى سب الدهر: ٥٥

ما سلم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أذية أقوامهم فهم أشد الناس بلاء وأذية ٥٩

فمن الأذية التي حصلت للأنبياء، القتل: ٦٠

اتهامهم أنهم سحرة ومجانين: ٦١

ما من نبيٍ إلا وله عدوٌ يُعاديه: ٦١

نبي الله آدم عليه الصلاة والسلام لم يسلم من أذية إبليس: ٦٢

نبي الله نوح عليه الصلاة السلام لم يسلم من أذية قومه: ٦٦

نبي الله موسى عليه السلام لم يسلم من أذية قومه: ٦٧

نبي الله إبراهيم عليه السلام لم يسلم من أذية قومه: ٧١

نبي الله يوسف عليه السلام لم يسلم من أذية إخوته أرادوا قتله والتخلص منه؛ لإن أباه يعقوب عليه الصلاة والسلام يُحبه أكثر منهم: ٧٧

نبي الله هود عليه الصلاة والسلام لم يسلم من أذية قومه: ٧٨

نبي الله لوط عليه الصلاة والسلام لم يسلم من أذية قومه: ٧٨

نبي الله صالح عليه الصلاة والسلام لم يسلم من أذية قوله: ٧٩

نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام لم يسلم من أذية قومه عندما أرادوا إخراجه: ٧٩

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ما سلم من أذية قومه: ٧٩

ومن الأذية التي تعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم أن وضع له المشركون سلا الجزور وهو الشيء مستقبح الذي يخرج من بطن الحيوان بعد أن يلد: ٨٤

ومن الأذية التي تعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم ما قام به أبو لهب قبحه الله من اتهامه أنه كذاب ورماه بالحجارة: ٨٧

ومن الأذية التي تعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم أن قام عقبة بن أبي معيط قبحه الله بخنقه خنقًا شديداً وهو يصلي: ٨٧

ومن الأذية التي تعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً يقال له غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ أراد قتله بالسيف: ٨٨

ومن الأذية التي تعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم من قبل الكفار أن أرادوا أن يصيبوه بالعين: ٨٩

همة الصحابة رضي الله عنهم في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم: ٩٠

ما سلم جبريل عليه السلام ولا الملائكة عليهم السلام من الأذية ٩٦

ما سلم الصحابة رضي الله عنهم من الأذية ٩٨

أبو بكر الصديق رضي الله عنه لم يسلم من الأذية: ٩٨

أبو ذر الغفاري رضي الله عنه لم يسلم من أذية قريش:..... ١٠٢

بلال بن رباح رضي الله عنه لم يسلم من الأذية: ١٠٥

عمار بن ياسر رضي الله عنه لم يسلم من الأذية: ١٠٥

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لم يسلم من التهم الباطلة: ١٠٥

سعيد بن زيد رضي الله عنه من أرى التي ادعت أنه أخذ شيئًا من أرضها: ١١١

عبد الله بن سلام رضي الله عنه لم يسلم من أذية قومه بعد أن أسلم: ١١٥

ما سلم العلماء من الأذية ١١٨

الإمام الشوكاني رحمه الله ما سلم من أذية الرجل الزيدي: ... ١١٨

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ما سلم من الرجل الهندي: ١١٩

الإمام البخاري رحمه الله لم يسلم من شيخه محمد بن يحيى الذهلي: ١٢١

إسماعيل الهروي رحمه الله: ١٢١

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ١٢٣

الإمام الألباني رحمه الله: ١٢٧

شيخنا العلامة يحيى الحجوري حفظه الله لم يسلم من الأذية والحسد: ١٢٨

ما سلم أهل الخير من الأذية والألقاب السيئة ١٣٥

لم يسلم الغلام من أذية الساحر ١٣٦

من ظن أن يسلم من كلام الناس فهو مجنون فرضا الناس غاية لا تدرك ١٥٤

استمر أيها الداعي إلى الله في دعوتك ولا تبالي بمن يؤذيك ١٥٩

كل من تمسك بالسنة حصل له الأذى ١٦٤

أيها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا بد أن تؤذى ١٦٥

معنى الأذى ١٦٧

إياك أيها المسلم أن تؤذي أو تعادي وليًا من أولياء الله ١٦٨

خطر أذية المسلمين ١٧١

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ١٧٤

أذية الجار من أسباب دخول النار ١٧٨

أذية الناس وظلمهم سبب للإفلاس يوم القيامة ١٨٢

إياكِ أيتها المرأة أن تؤذي زوجك ١٨٥

كن أيها المسلم ممن يرجى خيره ويؤمن شره ١٨٦

كن أيها المسلم مفتاحا للخير مغلاقا للشر ١٨٨

الغيبة من أعظم الأذية ١٨٩

سؤال: قد يقول قائل ما هي الحكمة من النهي عن الغيبة وما مناسبة ذلك؟ ١٩٠

سؤال: هل الغيبة محرمة مطلقـًا؟ ١٩٢

تنبيه: ما هي الكيفية الصحيحة للتحلُّل من الغيبة؟ ١٩٨

تنبيه: ما صحة قول القائل: لا غيبة لفاسق؟ ٢٠٣

تنبيه: ما هي الطريقة الصحيحة للتخلُّصِ من الغيبة؟ ٢٠٥

النميمة من أعظم الأذية ٢٠٦

ما ينبغي لمن حُمِلت إليه النميمة: ٢١١

من أعظم الأذية التفريق بين الزوج وزوجته ٢١٣

سوء الظن من أعظم الأذية ٢١٦
التجسس على الناس من أعظم الأذية ٢١٨
لا يجوز أذية الحيوان فكيف بالذي يؤذي إنسان ٢١٩
ما ينفعك أن يعذب أخاك المسلم بسببك ٢٢٠
إن لم تنفع أخاك فلا تضره ٢٢١
لا تطلب من الناس اليوم الخير اطلب منهم كف الأذى ٢٢٢
إياك أن تظلم غيرك بقوتك فيدعو عليك ٢٢٣
كف شرك عن الناس أيها المسلم ٢٢٦
من أذية المسلم لأخيه المسلم تعيره بالذنوب والمعاصي ٢٢٨
من أذية الناس استحقارهم والسخرية منهم ٢٣٢
من أذية الناس الطعن في نياتهم ٢٣٧
من أذية المسلم تخويفه وترويعه ٢٤٠
من أذية المسلم أخذ ماله بغير حق ٢٤١
من أذية المسلم أخذ أرضه بغير حق ٢٤٢

من أذية المسلم نبزه بالألقاب السيئة والطعن في نسبه ٢٤٧

من أذية المسلم أن تقول فيه ما ليس فيه ٢٤٩

من أذية المسلم أن تحسده على ما أنعم الله عليه ٢٥٠

من الإحسان إلى الخلق كف الأذى عنهم ٢٥٦

من حسن الخلق مع المرأة تحمل الأذى منها ٢٦٨

ينبغي على المرأة أن تعلم أن ما يصيبها من أذى أو ألم وصبرت عليه فهي مأجورة ٢٦٩

من أذية الناس وضع الأذى في طريقهم ٢٧٠

فضل إماطة الأذى عن طريق الناس ٢٧٨

من حقوق الجلوس في الطريق كف الأذى ٢٨٤

الصبر على أذى المؤذي أو معاقبته ٢٨٥

احذر من المن والأذى في بذل الصدقة ٢٨٦

احذر من إبطال صدقتك بالمن والأذى ٢٨٨

تسمية الحيض بالأذى ٢٩١

بعض الأشياء التي تسبب الأذية ٢٩٤

(١): أن يتناجى اثنان دون الثالث: ٢٩٤

(٢): تخطي رقاب الناس يوم الجمعة: ٢٩٥

(٣): أكل البصل أو الكراث أو الثوم: ٢٩٦

تنبيه: متى يحرم على الإنسان أكل الثوم والبصل والكرّاث؟ . ٢٩٦

تنبيه: هل الذي يتناول الأشياء التي فيها الروائح الكريهة يعتزل أماكن اجتماعات الناس مثل المجالس وغيرها؟ ٢٩٧

تنبيه: هل الذي يشرب الدخان والشمة والشيشة يدخل في هذا النهي؟ ٢٩٨

تنبيه: ما هي العلة من هذا النهي؟ ٢٩٩

تنبيه: ما هي الأشياء التي تُذهب رائحة الثوم والبصل والكرّاث؟ ٣٠٠

قد يكون الأذى مطهرا للإنسان من الذنوب والمعاصي ٣٠١

الأمر بإماطة الأذى عن بعض الأشياء ٣٠٣

إماطة الأذى من النعال: ٣٠٣

إماطة الأذى من اللقمة إذا سقطت: ٣٠٤

احذر من أذية البهائم والحيوانات بتجوعها أو تحميلها فوق طاقتها أو حبسها عن الطعام والشراب ٣٠٥

تنبيه: هل يجوز اقتناء بعض الحيوانات في البيت للزينة وحبسها في الأقفاص؟ ٣٠٦

ليس من الأذى قتل الحيوانات المؤذية ٣٠٨

تنبيه: كيف يكون التحْريج؟ ٣٠٩

تنبيه: إذا وجد الإنسان هذه الحية خارج البيت فهل يُحرّج عليها ثلاثة أيام أم أن التحْريج لا يكون إلا داخل بالبيت؟ ٣١٠

تنبيه: هل يجوز للإنسان أن يقتل الذرة والحشرات المؤذية التي توجد في البيوت؟ ٣١٠

تنبيه: هل يجوز قتل الهرة في البيت؟ ٣١٣

تنبيه: ما هي الحكمة من قتل الوزغ؟ ٣١٥

متى تضرك أذية الناس ٣١٨

إذا أردت أن تسلم من أذية الناس فلا تخبرهم بكل شيء حتى لا تؤذى ولا تحسد منهم ٣١٩

كيفية التعامل مع المؤذي والحاسد ٣٢٢

الوصية بالصبر على الأذى ٣٢٦

ختاما نصيحة لكل مسلم ٣٣٥

الفهرس ٣٤٢

مؤلفات: نور الدين الحبيشي ٣٥٥

مؤلفات: نور الدين الحبيشي

(١) كتاب: أحكام البيوت «جاهز مطبوع». (٦٢٠ صفحة)

(٢) كتاب: مفاسد في طريق الداعية إلى الله وعلاجها «جاهز مطبوع». (٢٦٠صفحة)

(٣) كتاب: الحكمة في بيان الأحكام الشرعية «جاهز مطبوع».(٥٠٠ صفحة)

(٤) كتاب: الهمة العالية في جوانب مختلفة «جاهز مطبوع». (٤٣٠صفحة).

(٥) كتاب: الحسد أقسامه مفاسده علاماته علاجه «جاهز مطبوع». (٣٣٠ صفحة)

(٦) كتاب: النية فضائل وأحكام «جاهز مطبوع». (٣٢٠ صفحة)

(٧) كتاب: صلاة النوافل فضل وأحكام «جاهز مطبوع». (٦٢٠ صفحة)

(٨) كتاب: حليةُ المريض آدابٌ وفوائدُ وأحكام «تحت التجهيز». (٥٠٠ صفحة)

(٩) كتاب: التلبية لأحكام ومسائل الأضحية «جاهز مطبوع».(١٨٠ صفحة)

(١٠) كتاب: المحجة في فضائل وأحكام عشر ذي الحجة «جاهز مطبوع». (١٤٠ صفحة)

(١١) كتاب: البنات رياحين البيوت «جاهر مطبوع». (٢٨٠ صفحة)

(١٢) كتاب: السلامة من أذى الخلق «جاهز مطبوع». (٣٦٠صفحة)

(١٣) كتاب: أعمالٌ يسيرةٌ وأجورٌ عظيمة «تحت التجهيز».

(١٤) كتاب: المعاملة الحسنة بين الراعي والرعية «تحت التجهيز».

وهناك مؤلفات أخرى للمؤلف تحت التجهيز بإذن الله تعالى